إضاءات في الطريق

قراءة في أحاديث عقائدية

مروان خليفات

سرشناسه	:	خلیفات، مروان، ١٩٧٣ - م. Khalifat, Marwan
عنوان و نام پدیدآور	:	اضاءات فی‌الطریق قراءه فی احادیث عقایدیه/ مروان خلیفات.
مشخصات نشر	:	قم: انتشارات محلاتی، ١۴۴٠ق.= ١٣٩٧.
مشخصات ظاهری	:	٣۶٠ص.
شابک	:	٩٧٨-٩٦٤-٧٤٥٥-٩٧-٨
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپا
یادداشت	:	عربی.
موضوع	:	شیعه -- عقاید -- احادیث
موضوع	:	Shi'ah -- Doctrines -- Hadiths
موضوع	:	شیعه -- عقاید -- تاریخ
موضوع	:	Shi'ah -- Doctrines -- History
موضوع	:	احادیث شیعه -- قرن ١۴
موضوع	:	th century٢٠Hadith (Shiites) -- Texts --
رده بندی کنگره	:	BP٢١١/۵/۶١٣٩٧خ٨الف
رده بندی دیویی	:	٢٩٧/۴١٧٢
شماره کتابشناسی ملی	:	۵۵٧٠٠٣۵



الكتاب: إضاءات في الطريق، قراءة في أحاديث عقائدية

المؤلف: مروان خليفات

الناشر: محلاتي

الاخراج الفني: كومبيوتر المجتبى عليه السلام ـ ٣٧٨٣٠١٦٢

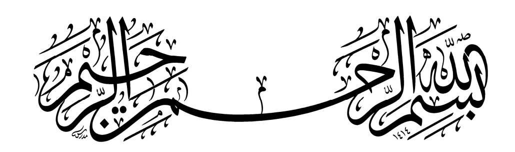
المطبعة: فردوس / الكمية: ١٠٠٠ نسخة

الطبعة: الاولى ١٣٩٧ هـ . ش ـ ١٤٤٠ هـ ق

الشابك: ٨ ـ ٩٧ ـ ٧٤٥٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

مركز التوزيع: المركز العالمي للمستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأفضل الخلق أجمعين محمّد خاتم المرسلين وآله أشرف الأوصياء الطاهرين المطهّرين.

إنّ ممّا يتعرّض له المؤمنون المستبصرون بنور الهداية هي تفاقم الشُبَه من المخالفين وتراكم الأسئلة من غيرهم. فالمعاندون يهدفون إلى الصدّ عن صدى ظاهرة الاستبصار، وعن انتشارها في أوساط مجتمعاتهم وبين عموم الناس ممّن لا عناد له ولا جحود أمام ما دلّ على الصواب من العقيدة والفكر، فيلجأون إلى إلقاء كلّ ما يمكنه بثّ الترديد فيما يطرحه المحقّق المستبصر.

وغيرهم من طالبي الحقّ يأمل في الوصول إلى الواقع وتصحيح المخزونات الفكريّة الباطلة من خلال عرض ذلك على من نحى نفس المنحى بجديّة فوصل إلى النتيجة الصحيحة، ومن خلال اكتساب ما

حصّله من خبرة في هذا المجال.

فقد تصدّى الأستاذ مروان خليفات للإجابة عن شبَه أولئك وتساؤلات هؤلاء بجدارة وموضوعية وتتبّع واف.

وحيث إنّ الأسئلة الملقاة هي أقوى ما يستشكل به على المذهب الحقّ بزعم من طرحها، مع أنّها الأبسط بزعم أتباع المذهب، فقد استعرض المؤلف مسائل هامّة في العقيدة وأثبتها ببيان سهل ومستدَلّ، ممّا زاد التأليف هذا فائدةً وقيمةً. ويعود الفضل في ذلك كلّه إلى عناية أهل البيت عليهم السلام وتنويرهم الطريق لأتباعهم.

وعمد مركز المستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام إلى طبعه بعد مراجعته وتقييمه، وكما هو دأبه في الإرشاد العلمي سيّما بما يختصّ بمطارحات الأخوة الفضلاء وبالهدف المشترك وهو إضائة الضياء بعصر الظلام للأمّة التائهة بين تضليل الإعلام وظلم الحكّام.

فنسأل الله تبارك تعالى أن يرشدنا إلى صوابه ويثبّت قلوبنا على هدايته ويوفّقنا لمرضاته إنّه سميع بصير والحمدلله ربّ العالمين.

مركز المستبصرين التابع لمؤسسة الإمام الهادي عليه السلام

المقدّمة

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ. أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ. (1)

بعد أن منّ الله علينا بركوب سفينة آل البيت عليهم السلام وكتبت في ذلك العديد من المؤلفات، تباينت الآراء واختلفت، فبعضهم أنكر شخصيّتي، وبعضهم اتّهمني وسبَّني..

---

(1) نهج البلاغة، محمد عبدة، ج1 ص14. الاحتجاج للطبرسي، ج1 ص294-295.

وهذه حجّة العاجز، وهي طبيعة البشر التي ينبغي أن نتعامل معها بحكمة وتروّي.

لقد نشرت أبحاثا ومقالات عديدة، في أكثر من وسيلة تواصل، كان يتخلّلها حوار أحياناً من المعترضين، وأحيانا كان يراسلني البعض ويرسل لي أسئلته. ولأهمية تلك الطروحات خاصّة لمن يتعرّفون حديثاً على نهج أهل البيت عليهم السلام، ارتأيت أن أجمع ما ألّفته في كتاب يستفيد منه الباحث والمُحاور والسالك إلى الله عزّ وجلّ. وقد ألحّ عليّ بعض القرّاء لطبعها، فقمت بتهذيب تلك المنشورات، وجعلت الموضوعات المشتركة في فصل يناسبها، لتسهيل قراءتها ولتكتمل الفكرة التي طُرحت، وأضفت ما يمكن إضافته حتّى يكون العمل أكثر نضجاً.

هذه أبحاث عقائدية تاريخية حديثية مختلفة، توضح بعض الغموض الذي قد يجده المرء في أثناء المسير، أبحاث تعطي قارئها شيئاً من الحصانة العقائدية. آمل أن تكون ملاذاً لعشّاق المعرفة الفكرية في وقت تتكاثر الفتن والشبهات من الداخل والخارج.

ومنه سبحانه وتعالى نستمدّ العون والتوفيق.

الفصل الأوّل

معرفة الحقّ بالرجال (حوار)

سؤال وردني من الأردن

بعث إليّ أحدهم سؤالا قال فيه: (**قرأت كتاب نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام، وسمعت على اليوتيوب حلقات كثيرة من حقائق التاريخ التي جمعت حسن المالكي وسهيل زكّار وهم من أهل السنّة والذي يتحدثون به بحيادية مطلقة ومهنية، وتكاد تكون كلّ النقاط الخلافية بين السنّة والشيعة تصبّ بمصلحة الشيعة حيث إنّهم هم الأحق.**

أيضا قرأت كتاب (ليالي بيشاور) لسلطان الواعظين وها أنا سأبدأ بقراءة كتابك (وركبت السفينة). أوصلني عقلي والتفكير المنطقي والهندسي الذي أحبه والواقع السياسي الذي نعيش به متمثلا بخنوع مطلق لأهل السنّة للعدوّ الأمريكي الصهيوني، والمقاومة الشيعية لهذا العدوّ، إلى أنّ مذهب أهل البيت هو المعين النقيّ للإسلام المحمّدي، ولكن التحدّي الأكبر والسؤال الأصعب: مَنْ أنا حتّى أصل لشيء لم يصل إليه أحمد الرفاعي ولا عبد القادر الجيلاني ولا محيي الدين ابن عربي ولا ابن أبي الحديد ولا سليم البشري ولا الشعراوي ولا البوطي ولا رجب ديب

رحمهم الله جَميعا وقدس أرواحهم؟ (لماذا لم يتشيّعوا) علما أنّي من خلفية صوفية وأعلم وتعلم معي أخي حبّ الصوفية لأهل البيت ولله ورسوله، ومداومتهم على الأذكار بهذا الزمن الصعب والمليء بالفتن، وكما تعلم المداومة على الذكر من أفضل العبادات لله تعالى. صدّقْني هذا السؤال يكاد يأكل عقلي. علما أنني لن أختلف معك على أيّ نقطة عقائدية أو فقهية عند الشيعة، لأنني اطّلعت جيداً على أدلّتهم القويّة المأخوذة من كتب أهل السنّة.

لو كنت من خلفية سلفية وبعد اطّلاعي على كلّ النقاط الخلافية وصدق الشيعة فيها لكنت تشيّعت فوراً، ولكنّي أنتمي لمدرسة حقّاً محبّة لله ورسوله وأهل بيته، وفيها أولياء وصالحون، ومنهم من يقول: والله لو غاب ّعني رسول الله ﷺ لحظة لما عددت نفسي من الأحياء. ومنهم من يجتمع إلى يومنا هذا برسول الله ﷺ يقظة ومناماً. أعلم أنّك يمكن أن تجيبني بكلمة واحدة وتقول لي هذا شأنك، ولكن أريد أن تطلعني على أيّ تفصيل من تفاصيل رحلتك إلى التشيّع عَلَّها تكون دافعاً أو مثبّطاً. أعتذر عن الإطالة وأشكرك سلفاً).

الجواب النقضي

لعلّ أغلب من يمرّ بتجربة في التحوّل العقائدي ينقدح له هذا التساؤل. وهذا السؤال طُرح قبل سنين عديدة وطُرح مجددا من هذا الأخ، ولا شكّ أنّ السؤال يجول في أذهان الكثيرين من أبناء أمّتنا المنصفين. فأشكره

على طرحه. ولحسن الحظّ أنّني أحتفظ بجواب على مثل هذا السؤال لأحد الأعلام، سأذكره بتصرّف واختصار مع إضافات منّي، مع العلم: إنّ الحقّ لا يُعرف بالرجال، فاعرف الحقّ تعرف أهله[١].

أخي الكريم إنّ ما سألت عنه، لو فكّرت فيه مليّاً، لوجدته يمثّل فكرة تحمل ضدّها، وهذا يقع حين الغفلة وتعجّل التفكير، وسأبيّن لك كيف ذلك. لو عكست السؤال كما يلي:

لقد عرفنا بأنّ كثيراً من كبار المفكرين الإسلاميين هم من الشيعة، فيهم أعاظم العقلاء والمنصفين، وقد قرأوا الفكر السني واستوعبوا أدلّته، فلماذا لم يقتنعوا به أبداً؟ لماذا لم يقتنع أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي لا يشكّ مسلم بأنّهم من أعاظم علماء المسلمين ومن عقلائهم؟؟

لماذا لم يقتنع الصحابة والتابعين بالأطروحة السنية: عمار بن ياسر، أبو ذرّ، المقداد، مالك الأشتر، الحارث الأعور الهمْداني، وكميل بن زياد، حُجر بن عَديّ، الخ ...

لماذا لم يقتنع أبان بن تغلب أو الشيخ المفيد مع سعة اطّلاعهما، ومئات العلماء المشهود لهم بالعلم والتقوى؟

لماذا لم يتسنّن الشعراء وروّاد العربية الأصيلة مع اتصالهم بالثقافة السنية

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي (الوفاة: ٥٧٣هـ)، ج٣ ص٣٧٤.

بل اتصالهم وصداقتهم للبيوت الحاكمة السنية أمثال: أبي الأسود الدُؤلي، الخليل الفراهيدي، يحيى بن يعمر، السيد الحميري، مجنون ليلى، كُثَيِّر عَزّة، جميل بُثينة، دِعبل الخزاعي، الفرزدق، البحتري، أبو تمام، المتنبّي، الشريف الرضيّ، السيد المرتضى، أبو فراس الحمْداني، المعرّي، ابن الرومي، الصفي، ابن المغربي، ومئات بل ألوف الشعراء العلماء الحكماء؟

لماذا لم يتجّه إلى التسنّن والتصوّف أهمّ دارسي الفلسفة والعقليات وفلاسفة الإسلام وعلماء الكلام أمثال: الكندي، ابن سينا، الفارابي، البيروني، الطوسي، الحلّي، صدر الدين الشيرازي، الداماد، الفيلسوف محمّد باقر الصدر وإلآف الفلاسفة والحكماء والمتكلمين؟

لماذا لم يتسنّن آلاف الفقهاء الذين لا يشقّ لهم غبار؟ ولماذا؟.. ولماذا؟

فهذا هو ما يحتويه سؤالك، إذا كنت تسير به على نفس المنوال؟

أمّا لو كان سؤالك عن فكرة بعينها كالإمامة أو العصمة فسيكون السؤال بالجهة الأخرى أوسع من رفض فكرة بعينها حتّى في أضيق الاتجاهات، فلماذا لم يسلِّم المسلمون مطلقاً بما قاله الأشاعرة من نفي العلاقة السببية والتي بها موت العقل والإسلام[1]؟

---

(١) قال الشيخ البيجوري في تهذيب شرح السنوسية: (فلا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع وهكذا فمن اعتقد أن شيئا يؤثر منها بنفسه فلا نزاع في كفره) ص٥١، تصنيف سعيد عبد اللطيف فودة.

الجواب الحلّي

هكذا ترى أنّ مثل هذا السؤال يحتوي على ضدّه، ولو أردت أن أجيبك حقيقة عن السؤال التالي: لماذا لا يقتنع بعض من رأى الحجّة الشيعية؟ وهو لا يُتّهم بعقله وعلمه؟

فأقول: هذا السؤال شخصيّ جدّاً، فإنّ مدّعي مثل هذا يجب أن يثبت أمرين ضروريّين، وهما:

أولاً: كونه اطلع على كامل الحجّة.

ثانياً: كونه قابلاً لفهم الحجّة.

وهذان أمران لا يتيسّر ادعاءهما وتصديقهما لمجرد الادعاء، بل ينبغي التحقيق؛ فلهذا فإنّ من المجازفة بمكان إطلاق مثل هذا الادعاء من أساسه، لأنّه من المصادرات المنطقية حيث إنّ النتيجة عين الدعوى والبرهان عين المدّعى.

قد يصحّ في أكثر الأحيان بأنّ عدم القناعة بالفكر الآخر هي نتيجة حتميّة لعدم جديّة البحث عن الأفكار الأخرى، لظروف شخصية واجتماعية وسياسية ومصلحية، وهذا ينطبق على كلّ الأفكار بدون تحديد بدين أو مذهب.

وكلّنا يعلم أنّ أوربا قتلت وعذّبت أصحاب أفكار ونبذت أفكارهم، ثمّ بعد ذلك تبنّوها وقالوا: تطوّرنا ووجدنا أنّ هذه الأفكار هي الصحيحة، حين تغيّرت النظم والمفاهيم في العقلية الأوربية. وهذا لا يعني بأنّ المعاصرين

(لجاليليو) والحاكمين عليه هم جهلة أو ليس لديهم إنصاف، لأنّ مخالفي الشيعة لم يبحثوا بجدّ وفهم عميقين لما قاله الشيعة، نتيجة الضغط العام وعدم المصلحة في الوقوف عكس التيّار، وقد وجدنا العزوف الكلي عن بحث الدليل الشيعي من قبل الكثير ممن تصدّى للزعامة العلمية أو للتفرغ العلمي والديني. لنفس الأسباب يضاف إليها الحواجز النفسية.

فأنا شخصياً حاورت بعض الأجلّاء فوجدته حين يكون الدليل ملزماً يتغاضى عنه، ولاحظت تكرّر ذلك، فقلت له لا يمكن أن يكون هذا السلوك من عالم !! فقال بصراحة أنا في داخل نفسي حين اسمع دليلاً مقنعاً لكم، أتذكر ما تعلّمته من أنّكم أصحاب فنون في الكلام وألاعيب، فلا يتعدّى عندي أنّ هذه محاولة فنّية للتلاعب بعقلي، ولذلك من دون شعور أغيّر الموضوع وأهرب من الإلزام.

إذن هناك الحاجز النفسي يسيطر حتّى على الأجلّاء من أهل الفضيلة والعلم والدين.

هذا الحاجز لم يكن وليد صدفة أو حالة نزاع بسيط، وإنما هو نتيجة منهج طويل متشابك بكلّ تعقيداته عبر التأريخ الإسلامي من أول يوم أسّس فيه التاريخ الإسلامي، ولم يكن التحذير من الشيعة عملاً فردياً بل هو عمل مؤسسات السلطة بكلّ جحافلها عبر مئات السنين.

ولا يخفى مقدار الترابط بين السلطة وبين غير المقتنعين بالفكر الشيعي خصوصاً وأنت أتيت بأسماء، هم من قلب السلطة؛ إما وزير أو شيخ إسلام..

وأنت لست ممّن لا يعي هذا؟

وإلاّ لوجّهنا لك السؤال الخطير المبتني على نفس البُنية الفكرية التي بنيت عليها من الاستدلال، لماذا لا نسأل: لماذا لم يؤمن معاوية بأفكار عليّ بن أبي طالب؟؟

أنا اعرف بأنّ لديك الجواب وهو لدينا أيضاً ولكن السؤال مبني على منهج الأطروحة التي طرحتها، ومع ذلك لو رجعت إلى أمثلتك من العلماء الذين ذكرتم لوجدت خللاً في البيانات. وسأبحث في رجلين منهم.. هما ابن أبي الحديد والشيخ سليم البشري رحمهما الله.

ابن أبي الحديد

ابن أبي الحديد المعتزلي (الوزير السياسي) ليس شيعياً عندنا قطعاً، ويقع العديد في مغالطة حين يحتجّون على الإمامية بشرح النهج بِعَدِّه من كتب الشيعة، والتُهم جاهزة له بأنّه شيعي وأنه لا يؤخذ بنقله مع أنّنا نعرف بأنّه بريء من التشيّع.

لقد صرّح ابن أبي الحديد نفسه أنّه معتزلي، كقوله: (**وأما التتمة المروية عن جعفر بن محمّد عليهما السلام فواضحة الألفاظ، وقوله في آخرها: وبنا يختم لا بكم، إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان. وأكثر المحدّثين على أنّه من ولد فاطمة**عليها السلام**. وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرّحوا بذكره في كتبهم، واعترف به شيوخهم، إلاّ أنه عندنا لم يخلق بعد،**

وسيخلق)[١].

وعدَّه أكثر من واحد من الإمامية من المعتزلة، قال الشهيد نور الله التستري في «الصوارم المهرقة»: (**وكذلك فريق من المعتزلة منهم عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني قالوا بجواز تقديم المفضول على الفاضل لمصلحة مّا)**[٢].

غاية ما هنالك هو معتزلي، وهو مفكّر حُرّ وله لقطات فكرية جميلة قد لا تتناسب مع الفكر السُنّي خصوصاً غير المعتزلي؛ بل في كثير من الأحيان جهّز مادة النقد للفكر السنّي، وهذا واضح في كتابه شرح نهج البلاغة؛ ولا ننسى تجاهره بحبّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وسادة آل البيت نثراً وشعراً، كما تفعل أنت الآن من إظهار الحبّ والتقدير لآل الرسولﷺ.

ولكن هل درس ابن أبي الحديد الحجّة الشيعية؟ وهل استوعبها؟

للأسف الجواب سلبيّ للغاية، فإنّ دراسات أجريت لشرح النهج ولفكر ابن أبي الحديد بالذات في هذا الكتاب، وجد بأنّه انتقائي، يعرض من الحجج ما يراه من زاوية معينة، ويترك ما يراه ملزماً، بل وجدناه ينفي أمراً في باب المقارعة الفكرية ويثبته في باب السرد التاريخي مثلاً.

وهذه انتقائية لا تخلو من شائبة، ومجمل ما وجدنا عنده من نقاش ودفعٍ

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (الوفاة: ٦٥٦هـ)، ج١ ص١٨١.

(٢) الصوارم المهرقة، للشهيد نور الله التستري (الوفاة: ١٠١٩هـ)، ص٤٣. انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الوفاة: ٦٥٦هـ)، ج١ ص٣.

مبنيّ على عدم فهم المطالب، وكان في بعضها يناقش ما لا يقوله الشيعي بما يقوله الشيعي وهذا منتهى الخلط بين المعلومات، فعقل ابن أبي الحديد بتقديرنا دائرة معارف تكديسيّة خالية من المنهج القيادي المنطقي، وهذه في الحقيقة مشكلة في المنهج الاعتزالي ونحن أعرف به، لأنّنا نتّفق مع الاعتزال في مناهج التفكير ونعرف الفروق بيننا بدقّة، وأهمّ هذه الفروق هو آليات التحليل اللغوي والمفاهيمي، ومسألة الحدود المعرفيّة عند الإنسان والحجّة فيها (دليل العقل)، ونظرية المعرفة، ومناهج مصادر البيانات. فهذا الرجل لم يكن قادراً على استيعاب الدليل الشيعي ولم تكن له القدرة النفسية على تتبّع الدليل الشيعي بأصوله الدقيقة، وليس المقام هنا مقام التفصيل، ولكن كما تعلم ويعلم كلّ فاضل بأنّه بدأ كتابه بخطبة ضمّنها حمد الله على مخالفته منطق العدل والعقل بتفضيله المفضول على الفاضل[١]..

وهذه قضية يراها الأعمى والمبصر على السواء وهي مخالفة صريحة لمضمون القرآن الكريم ولدليل العقل ومنهج العدل، وهي تحتوي على نظرة تبريرية تحاول أن تسقط الواقع الخارجي على الحجّة العقلية بدل إسقاط الحجّة على ذلك الواقع.

ولو وجدت المكان أهلاً لبحث طريقة تفكير ابن أبى الحديد بطريقة تحليلية علمية جافّة لتبيّن مدى البون الشاسع بين ما هو موجود في مخيّلة

---

(١) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الوفاة: ٦٥٦هـ)، ج١ ص٣.

صغار المثقفين من متانة هذا الرجل وبين واقع الهشاشة الفكرية، وحين تتوفّر شروط البحث فلن أبخل بمثله.

وهذا منهج لا يختلف عن منهج مكيافللي وابن قتيبة الدينوري غيرهم من مفكرين سياسيين يرون أنّ واقع الحاكم هو الحقيقة المطلقة وأنّها اختيارات إلهية تكوينيّة.. وسلوكه يمثّل المصلحة الحقيقية في بقاء الحضارة، بغضّ النظر عن حجم الأخطاء كما يسمّونها. ونحن بصفتنا الشيعية نعتني فقط بالجانب المخالف منها للشريعة؛ لأنّنا من دعاة الشرعية الدستورية للحاكم، وهذا هو مفهوم الإمامة كما نفهمه وليس كما يفهمه الآخرون.

البِشري والمراجعات

أمّا الشيخ سليم البشري رحمه الله، وهو شيخ الأزهر لمرتين كما هو معلوم. وهذا الرجل بالذات لا يمكن الجزم حول عدم قناعته بالفكر الشيعي فلا هو صرّح بذلك وليس له ما يدلّ عليه، بل هناك ما يدلّ على خلاف هذا الكلام من خلال الحوار الذي دار بينه وبين المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الذي ورد في كتاب المراجعات، وهو الكتاب الذي حاول رجال مخابرات إحدى الدول بالاتفاق مع الحركة السلفية نفي أن يكون الشيخ سليم البشري قد حاور هذا الحوار، وذلك اعتماداً على ثلاث حجج.

الأولى: هي عدم معقولية تسليم الشيخ البشري بسلامة الحجج الشيعية وميله إلى الاعتقاد بأنّ المذهب الشيعي يصحّ التعبّد به.

الثانية: هي تصريح السيد في المقدمة بأنّه لا يجزم بأنّ هذا هو عين ما

جرى بينهما.

الثالثة: دعوى نفي ابن البشري لهذه المراجعات.

وبحكم كوني مطلعاً على حقيقة الأمر فإنّ الحوار جرى حقيقة في بداية القرن العشرين الميلادي، وكان الشيخ البشري طاعناً في السن بينما السيد شرف الدين كان شاباً في ريعان شبابه، وقد تعرّضت الأوراق الأصلية إلى الحرق من قبل الفرنسيين في العشرينات من ذلك القرن كما أشار السيد شرف الدين وكاتب المقدمة عن حياته السيد محمّد صادق الصدر، وهو صهره وابن عمه، ولكن السيد كان يحتفظ بدفتر دوّن فيه المراجعات عند أحد أقربائه.

وليس هناك أدنى شكّ في حصول هذا اللقاء الفكري في القاهرة حين زيارة السيد شرف الدين للقاهرة وهذا غير نفيه إليها ـ من قبل الفرنسيين ـ لاحقاً، وقد قيل بأنّ هجرته إلى القاهرة كانت بسبب جمال باشا السفاح، حيث كان شخصية مهمة هو وابن عمه السيد محمّد الصدر في قضية الثورة العربية الكبرى وملابساتها من مطالبة بالشرعية والدستورية من العثمانيين ثمّ الانقضاض على الفرنسيين والإنجليز حين حكموا البلاد.

وقد ساهم شرف الدين والصدر في المطالبة بخليفة مسلم عربي، وكان السيد محمّد الصدر رئيس مجلس النوّاب ورئيس الوزراء في العراق، هو من توّج الملك فيصل باعتباره حلّا لزوال الاستعمار المباشر والدخول بمرحلة الاستقلال بعد هزيمة الجيوش الإسلامية التي حاربوا فيها بشرف، وكان السيد شرف الدين هو من طالب مع ثلّة من علماء جبل عامل الملك فيصل

بإعلان الخلافة الإسلامية برسالتهم الشهيرة له في طريقه إلى الشام، والحديث يطول وهو يعني بأنّ السيد شرف الدين في بداية ذلك القرن كان من الشخصيّات البارزة، ويستغرب منه أن لا يكون بذلك المستوى العلمي والاجتماعي والعلاقات الراقية.

وقد اطّلع الكثير من أهل الفضل على نفس الرسائل من قبل الشيخ البشري وأجوبة السيد شرف الدين كما حدّثني من اطّلع على ذلك الدفتر الذي طبع باسم المراجعات والذي يحوي على أصول كلّ الحوار والمناظرة بينهما، وهنا نأتي إلى الدعاوى الثلاث، التي نقضوا بها المراجعات:

الأولى: هي عدم معقولية بخوع البشري للدليل الشيعي، وهذا الكلام أشبه بكلام الدجّالين لأنّه يفترض أنّ البشري معاند سلفي لا يؤمن بالتسنن نفسه حيث إنّ الحوار كلّه كان على أساس الدليل السني وليس الشيعي، كما هو ظاهر لمن يقرأ المراجعات، فكأنّ شيخ الأزهر عندهم (حاشاه) غبيّ لا يفهم الدليل ولا يعقل الأمور ويكذّب موروثه الثقافي بسهولة، كما يفعل هؤلاء الأدعياء للدين وهم منه براء، وهذا الأمر لا يحتاج إلى مزيد حديث، فإنّ عالماً كالشيخ البشري أقدر على البخع للحقّ وللدليل خصوصاً والدليل من جنس ما يعتمده هو في فنّه وعلمه.

و**الثانية**: تصريح شرف الدين بأنّه لا يدّعي بأنّ هذا هو عين ما جرى. وقد طنطنوا على هذا كثيراً. والحقيقة بأنّ شرف الدين رجل مؤمن صادق متّق يخاف من تغيير حرف أو كلمة جرت أن تكون خادشة بالصدق في الادعاء

بأنّ هذا عين ما جرى، وقد أجرى بعض التصحيحات على رسائله هو للشيخ البشري، من قبيل التصحيح الإملائي، وإضافة رقم مصدر مساند للمصدر السابق، وهو قليل جدّاً حسب ما نقل لي المطّلعون على الدفتر الأصلي؛ ومنهم ولده العلامة الجليل السيد عبدالله شرف الدين، وكان تغييره لصورة الكلمة من صورة الإملاء القرآني إلى ما يسمّى بالصورة الإملائية الحديثة بحسب حاجة المطبعة.

وقد أضاف بعض أرقام المصادر إمّا لتغيّرها بمطبوعات تأخّرت عن زمن الحوار أو لعثوره على ما يناسبه في مكان آخر، وهذا لا يتجاوز بضع مواقع، وللأمانة وللتقوى صرّح بعدم العينية، لأنّه يرى العينية في الصورة نفسها التي تمّت بها المحاورة، وهذا غاية النزاهة، فمن يأتي الان بتأليف أو حوار ويلتزم بحرفيّة النصوص بشكل عيني؟ وهذا ما قصده شرف الدين تماما، وإلاّ فإنّ من اطّلع بعين البصيرة يجد أنّ إشكالات الشيخ البشري على الفكر الشيعي هي من أمتن الإشكالات السنية بأسلوب مؤدّب يليق بعالم جليل كهذا العالم المتقي الأديب الرائع، ومن تتبّع نصوص ما كتب الشيخ البشري يرى وحدة النفس والأسلوب ظاهرة، وليس بمقدور فرد أن يكتب بنفسيين راقيين أبداً، وهو واقع المرجعات، حيث اختلاف النَفَس والصياغة الأدبية ظاهرة، وكانت روعة أسلوب البشري الطاغية على تكلّفات شرف الدين الأدبية في بعض الموارد، وهذا ظاهر لمن له أدنى اطلاع على أساليب البلاغة والنقد الأدبي. وقد أجاب عنها سيدنا شرف الدين لخواصّه أنّ السبب

هو اختلاف العمر بينهما، وهذا ما يفسّر توجّه السيد إلى أسلوب مريح فيه حداثة أسلوبية وانبساط في كهولته وشيخوخته.

الادعاء **الثالث:** هو نفي ابن الشيخ البشري لعلمه بمثل هذه المناظرة، وهذا الادعاء بالإضافة إلى أنّه كذب محض وافتراء رخيص على ابن البشري فهو لا يمكن أن يكون دليلاً أبداً؛ لأنّ عدم علمه ليس علماً بالعدم ولأنه ليس صاحب الموضوع نفسه، فشهادته تبرّعيه في غير محلّها فكم يخفى على الابن ما يفعل الأب... وليس ذلك بعجيب، ولكن هل فعلاً قال ولده ذلك؟

في سنة ١٩٧٨ ميلادية التقى أحد أقاربي بابن الشيخ سليم البشري وهو أستاذ جامعي محترم جداً من دون أن يعرفه؛ فسأله ابن البشري عن السيد محمّد باقر الصدر فمدحه قريبي بقوله هو فاضل ـ وهو اصطلاح على المتانة العلمية عند علماء الشيعة ـ فاعترض عليه ابن الشيخ سليم وقال: لا يجوز أن تصفه بالفاضل بل قل العبقري الحجّة في العلوم الإسلامية، وعرّف نفسه بأنّه ابن الشيخ سليم، وجرت بينهم انبساطات وتعرّف على قرابة من يحدّثه بالسيد الصدر والسيد شرف الدين فسأل عنهم حثيثاً وتذكّر المراجعات بين والده وبين السيد شرف الدين وأهميّتها في إزالة حاجز الخوف من الآخر وإرجاع الاعتبار لشخصية المسلم المتصفة بالأخوّة، واعترف بأنّه يتعبّد بنصوص المذهب الجعفري. وقد حاولت أنا شخصيا في بداية الثمانينات أن أتصل به فلم احصل على جواب، وقيل لي ـ بعد ذلك ـ بأنّ هناك احتمال لوفاته لأنّه طاعن في السن وكان مريضاً وانقطعت أخباره.

وهكذا فاجئنا رجال المخابرات بتصريحهم العجيب الغريب بعد أن انقطعت أخباره.

وهكذا عادة أهل الباطل شهادة الميّت وأخذ التصريحات منه بعد موته بشكل شفوي، يشهدون عليه آلاف الجنود والأعوان بأنّه حدّثه من قبره بكلّ ما يريد السامع.

أخي العزيز فهذا ما استشهدت به، فهو إذن قد أذعن للدليل الشيعي ولا يوجد دليل على عدم إذعانه، وهذا يدلّ على أنّ السؤال تولّد عندك نتيجة فكرة سريعة لم تقم على موازنة صحيحة.

ولكن أشهد بأنّك حاولت التفكير مخلصاً وقد عبّرت عن شكّ وسؤال دار في ذهنك بدون لفّ أو دوران، بعيداً عن نيّة الخبث كما يفعل أعداؤكم السلفية معكم ومعنا من أساليب.

الشيخ البوطي

جاورت مرقد العقيلة زينب عليها السلام في دمشق سنة ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٣، وهناك سمعت من أحد الثقات وهو قاض من الرقّة متخصص في الشريعة الإسلامية بدرجة ماجستير ـ هداه الله إلى منهج أهل البيت عليهم السلام ـ حدثني أنه ذهب مع السيد علي البدري إلى المسجد الذي يدرّس فيه الشيخ البوطي رحمه الله، والسيد علي البدري كان معروفا بسفره وتجواله لنشر فكر أهل البيت عليهم السلام ومحاورة الآخرين، وكان يمتاز بحفظه لمصادر الأدلة بالجزء والصفحة، وحين قابل الشيخ البوطي ذكر له أنه أخطأ في أحد كتبه بإحالة حديث (**كتاب الله**

وسنتي) إلى «صحيح البخاري» وأنّ الحديث الصحيح هو (**كتاب الله وعترتي أهل بيتي...**) وهو في مصادر أخرى غير البخاري.

كان هذا الحوار بينهما أثناء وجود طلاب علم وبحضور جمهور الشيخ البوطي، غضب الشيخ لاحقا من هذا القاضي وعاتبه بشدّة على إحضار السيد البدري إلى درسه وطلب إلاّ يفعل ذلك مجدداً. وأترك ما بين السطور لنباهتك أخي الطيب.

إشكال كرامات الصوفية

بعد البيان المتقدم بعث لنا السائل المهندس إشكاله التالي: (**إنّ ما يحصل من كرامات ومعجزات خاصةً عند ساداتنا أهل التصوف هي رسائل واضحة لأصحاب هذه الكرامات "بأنّك على خير" أو بأنّك تسير بالاتجاه الصحيح. الشيخ أحمد الرفاعي قدس الله روحه عندما امتدّت له يد الحبيب الشريفة من المقام وقبّلها بعدما ردّد قوله وهو مقابل واجهة المقام الشريف: (في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبّل الأرض عنّي فهي نائبتي * وها هي دولة الأشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي**)[1].

---

(١) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي (الوفاة: ٦٦٠هـ)، ج٢ ص٩٨٥. أسنى المطالب لمحمد بن محمد درويش الشافعي (الوفاة: ١٢٧٧هـ)، ج١ ص٣٥٧. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأحمد العدوي العمري (الوفاة: ٧٤٩هـ)، ج٨ ص٣٧٠. غاية الأماني في الرد على النبهاني لأبي المعالي محمود الآلوسي (الوفاة: ١٣٤٢هـ)، ج١ ص٢٩١.

وهذا قد حصل أمام آلاف الحجاج وانتشر الخبر على الرغم من المحاولات السلفية لإخفاء أو تجاهل هذه القصة.

الاستنتاج الوحيد الذي يمكن أن نخرج به أنّ هذا الشخص قريب من الله ورسوله وبأنّه صاحب منهج نقيّ. أيضاً يمكننا أن نستنتج بأنّ رحمة الله واسعة وليست حكراً لمذهب أو حتّى دين معين.

المقصد هنا، إن أردنا أن نشبّه الحق بمركز دائرة وأننا كلّما ابتعدنا عن المركز اقتربنا من الباطل وبأنّ رحلة الإنسان أو الهدف الأسمى هو الاقتراب أو السلوك باتجاه مركز الدائرة، أنا الآن بموقع معين وأنت بموقع معين من هذا المركز والكلّ يدّعي بأنّه الأقرب. عقلي يخبرني بأنّ مروان خليفات بالمنطق وبحسب عقلي هو أقرب ولكنّني عاصرت وشاهدت بعيني وقلبي (والله على ما أقول شهيد) كرامات لبعض أهل الله من الصوفية المعاصرين مثل الشيخ رجب ديب رحمه الله شيخ الطريقة النقشبندية ببلاد الشام، شاهدت الشيء الذي يجعلني أغمض عيني وأسير خلفه.

كيف لي أن أحكم؟ أو السؤال: كيف أستطيع أن أتعبّد الله بأفضل طريقة تجعل ربّي راضياً عنّي؟ أخوتنا الشيعة أصحاب دعوة سامية راقية لا تشوبها شائبة وهي حبّ واتّباع آل البيت سفينة النجاة، على الرغم من الصورة الغير الصحيحة التي يحاول السلفية أن يظهروها لهم وهم أنفسهم يساهمون بترسيخها من خلال ممارسة اللطم والتطبير، والأهمّ من ذلك ذكر آل سيدنا محمّد أكثر من ذكر سيدنا محمّد ﷺ وهذا ما تفوّق به عليهم السادة الصوفية

حيث أشعر أنا شخصيا وأنا منهم أنّ حبّي وعشقي لحبيبي رسول الله ﷺ جعلني أعشق وأغرم بالسيدة الزهراء البتول أوّل الأمر والبحث عن معلومات عنها والأحاديث الشريفة التي تخصها ثمّ انتقلت لمقام آخر بعد هذا الحبّ والإكثار من الصلاة على الحبيب، انتقلت لمقام حبّ الإمام عليّ عليه السلام ومعرفة قدر بسيط من مقامه العالي، وهكذا دواليك، ويبقى رأس النبع هو الحبيب الأعظم ﷺ.

أعتقد شخصياً والله أعلم أنّ للناس مقامات وأنّ الأمور نسبيّة وأنّ رجلاً يسعى لإرضاء الله أيّاً كان مذهبه وبيئته ويعمل ويسعى لابدّ له وأن يجد نتيجة، حتّى لو كان محسوبا على دين غير الإسلام وأنّ من يركن لمذهبه أو بيئته ويفترض بأنّه من الفئة الناجية فقط لأنّه ولد بالمكان الفلاني، فهو يتجرّأ على الله وينسب له الظلم تعالى الله علوّا كبيرا، فكيف يمكن حلّ الإشكال الذي أوردناه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

جواب الإشكال

انحصر سؤال الأخ بمبحث الكرامات والخوارق، وهذا تقدّم جيّد بالموضوع. وخلاصة الإشكال: إنّ هناك كرامات تجري على يدي البعض من أهل التصوّف وهذا يدلّ على أنّهم على خير، ولو لم يكونوا على الهدى لما أجرى الله على أيديهم تلك الكرامات.

لقد ولّدت هذه الفكرة عنده توقّف في فهم الحق ومساره.

أولا: إنّ معرفة معيار النجاة يكون من خلال النصوص الشرعية

الصحيحة، وليس عن طريق غرائب أو كرامات تجري على يد شخص معيّن. ولا يخفى عليك متانة الأدلة التي يسوقها الإمامية أمثال: حديث الثقلين والسفينة والغدير بالإضافة للآيات القرآنية بشأن أهل البيت عليهم السلام.

وعلى العموم فإنّ مجمل وصايا الرسول تدلّ على انحصار النجاة عن طريق محبّة الرسول وأهل بيته واتّباعهم.

ثانيا: إنّ الإسلام قائم على التكليف وليس على معايير بشريّة وعلاقات إنسانية وأنّ هذا جيّد وذلك غير جيّد، والتكليف هو من الله، فينبغي على المكلّف بذل الوسع للامتثال لأمر الله. وليس هناك معيار من تقديم الشخصيات بدون نصّ من الله، وقد ثبت أنّه لا تصحّ أيّ من النصوص في غير آل محمّد المعصومين فقط، والبقية كلّهم خارج النصوص، وإلاّ لوقع الإسلام والرسول في التناقض أو التضاد العملي المبطل للحجّة؛ لأنّ الهدى لا يطلب مِن غير مَن له علم مِن الله، ومَن كان هكذا فلم ينصّ عليه الله، ما عدا الأئمة من آل البيت المعصومين عليهم السلام فهم منصوص عليهم، فالحجّة منحصرة بهم، ولا يعني وجود أخيار وأهل كرامة في الأمّة أن يترك الحجّة التي يحتجّ بها الله بالنصّ عليه.

ثالثا: إذا كان معيارك صحيحا فينبغي القول إنّ فقراء الهنود الذين يعملون العجائب والغرائب وما يسمّونها المعاجز وكذلك رهبانيّي النصارى وسحرة اليهود وروحانيّي التبت البوذيين أهل حقّ وأهل درجة عند الله، بل إنّ كرامات المسلمين مهما بلغوا لا تبلغ ربع ما يحدث للهندوس وغيرهم من

أهل الرياضة من عجائب وتأثير. فإمّا أن يكون معيارك صحيحا، فيكون هؤلاء أهل حقّ، وملّة صادقة بعلاقتها بالله، أو أنّ معيارك باطل فيبقى الهدى قائماً على الحجّة والبلاغ وأوامر الله ورسوله، وليس أمامنا طريق ثالث؛ لأنّه إما أن يكون معيار حق نتبعه أو هو ليس كذلك، وهذا يرجع لتأمّل المكلّف ومعرفة ما يريده الله منه، مع ملاحظة أنّ علماء السنّة قاطبة من صوفية وأشاعرة وسلفيه قالوا بأنّ الشيطان له قدرة تكوينية أن يغيّر بها طبائع الأشياء، بل قال بعضهم: إنّ السحرة يملكون قدرة تكوينية على قلب الأجناس وتغيير سنخ إلى آخر، فهل الشيطان والساحر من أهل الحق والإخلاص عند الله ويجب اتّباعه؟

ستقول إذن: هل نطعن بكرامات بعض أهل العبادة من أخيار المسلمين ممّن لم ينتم لمذهب أهل البيت عليهم السلام؟

فأقول لك: لا نطعن، ولهذه الكرامات تفاسير متعدّدة كلّ بحسبه، وهي لا تثبت حجّة ولا تنفيها، لأنّها بمعزل عن التكليف.

وأما تفسير هذه الكرامات فإنّه بعد أن ثبت بأنّ الحقّ مع عليّ عليه السلام فلا يهمّ أن تكون هناك كرامة أو غير كرامة لأنّنا أتباع التكليف الإلهي. ولكن هل يمكن تفسير هذه القدرات العجيبة مثل الأخبار بالمغيّبات وفعل بعض التكوينيات وشفاء المرضى بل إحياء الموتى؟ نعم فهي بعدة اتجاهات:

الأوّل: إنّ أيّ عبد يقوم بخدمة الله وعبادته فإنّ الله لا يضيع: ﴿**عَمَلَ**

عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[1]، فيجازي الله ذلك العبد المتعبد بتكريمه بما يظهر له قبوله بين الناس، ولا نعلم ما هو حكمه في الآخرة، فعلمه عند الله الرحمن الرحيم.

الثاني: عمل الرياضات الروحية وتقوية طاقة الروح، وهذا ما يفعله المسلم والكافر وينالون جميعا التأثير في الكونيات بلا أدنى شكّ.

الثالث: السحر وتسخير الشياطين والجن، أو خدمة الشيطان وعبادته، فينال من الشيطان بعض ما هو منظر به.

الرابع: الحيل والذكاء والدجل وهو كثير في هذا العالم بحيث يستطيع المحتال اللعوب تشتيت الانتباه وإضعاف التركيز فيقلب الصور بخفّة وما شابه ذلك.

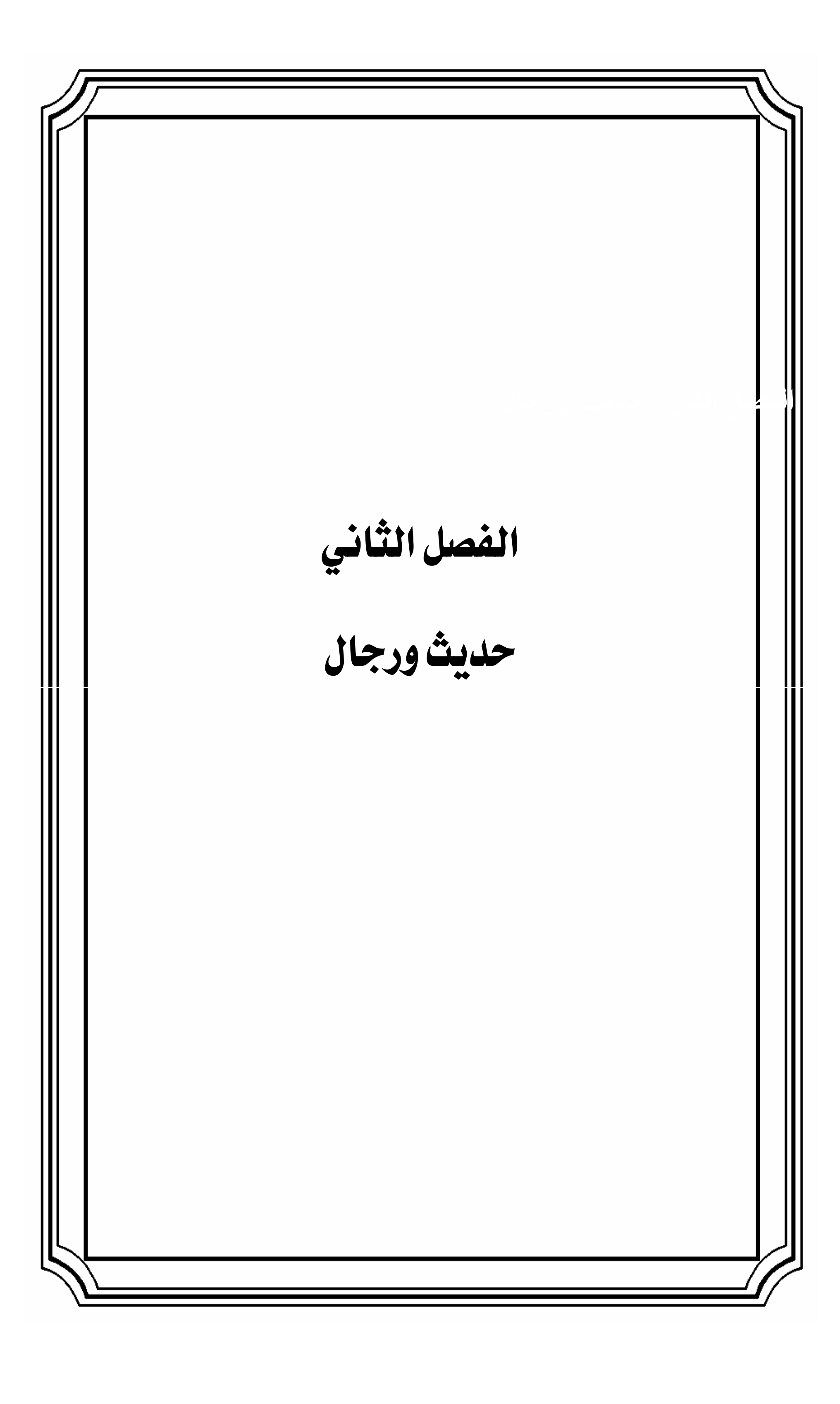
فهذه جملة أسباب وصور وبعضها حق ممدوح وبعضها باطل صريح كما لا يخفى، ولكنها كلها لا تعفينا من العمل وفق الدليل بما كلّفنا الله به.

والسؤال الذي يُطرح: هل نحن مخيّرون بترك ما يريده الله منّا؟ لا أعتقد أنّ هناك مؤمناً يقبل القول بالاستغناء عن طاعة الله والرسول، وما جرى هو ترك الديانة الحقّة واتّباع الأهواء وأقوال الحكام وأصحاب المصالح الكبرى وسماع نغمة وجوب إحسان الظن بالمخالف الصريح لأوامر الله، فهنا مدخل الضلال والطريق الأقصر إلى نار جهنم.

---

(١) آل عمران: ١٩٥.

فأقرب طريق إلى الله هو طريق أهل البيتعليهم السلام الذين لم يبدّلوا ولم يجهلوا شريعة سيد المرسلين، وبهم التوصية بالاتّباع وهو ثقل القرآن بنص رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأنّهم الدعاة إلى الجنّة بل طريق الجنّة اليقيني، بينما غيرهم الدعاة إلى النار بنص رسول اللهصلى الله عليه وآله. فمن يترك طريق الجنّة ويتّبع الدعاة إلى النار فلا يلومنّ إلاّ نفسه حين يدخل نار جهنم بإرادته، فإنّ الله رزقه عقلا وإرادة، وبيّن له الهدى من الضلال فيترك كلّ ذلك لشبهة تتعلّق بصلاح أو كرامات بعض الأشخاص التي لا تؤثر على وجوب اتّباع العترةعليهم السلام؟... فهذا أمر نعيذكم الله منه، فإنّه غاية التعاسة الأبدية، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.



الفصل الثاني

حديث ورجال

قال الحافظ ابن حجر: (**والتشيّع محبّة عليٍّ وتقديمه على الصحابة، فمن قدّمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيّعه ويطلق عليه: رافضي؛ وإلاّ فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السبّ أو التصريح بالبغض فغال في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدّ في الغلوّ**) [1].

وقال الذهبي: (**كلّ من أحبّ الشيخين فليس بغال، بل من تعرّض لهما بشيء من تنقّص فإنّه رافضي غال، فإن سبّ فهو من شرار الرافضة، فإن كفَّر فقد باء بالكفر، واستحقّ الخزي**) [2].

وقال ابن حجر: (**فالتشيّع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليٍّ على عثمان وأنّ عليّا كان مصيبا في حروبه وأنّ مخالفه مخطئ، مع تقديم الشيخين وتفضيلهما وربما اعتقد بعضهم أنّ عليّا أفضل الخلق بعد رسول**

---

(١) مقدمة فتح الباري، ج١ ص٤٦٠.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥١١.

الله ﷺ وإذا كان معتقدا ذلك ورعا ديّنا صادقا مجتهدا فلا تردّ روايته بهذا، لا سيما إن كان غير داعية، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة)[1].

من خلال ما تقدم نخلص إلى التالي:

- الشيعي: من يقدّم عليّا على عثمان.
- الشيعي الغالي (رافضي): من يقدّم عليّا على أبي بكر وعمر، وهو الرافضي باصطلاحهم.
- رافضي غال: من يقدّم عليّا على أبي بكر وعمر ويشتمهما أو يبغضهما، وكذلك من تعرّض لهما بشيء من تنقّص فإنّه رافضي غال.

ضرورة فهم مباني الآخرين

ينبغي لمن يريد أن يُشكل على مذهب مّا أو طائفة أن يتعلّم مبانيه ومصطلحاته، ويحاورهم بناءً على منهجهم ومبانيهم، وأحيانا يقع الكبار في أخطاء كبيرة نتيجة عدم اطّلاعهم. ومثال على ذلك ما قاله الألباني أثناء تخريجه لأحد الأحاديث، حيث قال: (**ثمّ رأيت الحديث في كتاب "الأصول من الكافي" للكليني من علماء الشيعة رواه (١ / ٣٧٧) عن محمّد بن عبد الجبار عن صفوان عن الفضيل عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله**

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٨١.

مرفوعا، وأبو عبدالله هو الحسين بن علي رضي الله عنهما..)[١].

وهذا من عدم اطلاعه، فأبو عبدالله هو جعفر الصادق عليه السلام.

رواية الشيخين البخاري ومسلم عن الرافضة الكفّار!

أنكر عليّ أحدهم من مُكفّري الشيعة رواية البخاري ومسلم عن الرافضة..

فأجبته بأنّكم تكفّرون الإمامية وتأخذون دينكم عنهم، فقد رويتم كثيرا في كتبكم عن الرافضة الثقات، وكان بعض الرافضة من شيوخ البخاري ومسلم، وهذه خلاصة من بعض مشايخ البخاري ومسلم من الرافضة:

١- عبيد الله بن موسى العبسي

جاء في ترجمته: **(كان أحمد بن حنبل يدلّ الناس على عبيد الله، وكان معروفاً بالرفض)**[٢].

قال ابن الأثير: (وعبدالله بن موسى العبسي الفقيه، وكان شيعياً وهو من مشايخ البخاري في صحيحه)[٣].

روي عن هذا الراوي الرافضي الثقة ـ شيخ البخاري ـ ألفان ومائة وخمسة وخمسون حديثاً، روى البخاري منها ٣٦ حديثا وروى مسلم عنه

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج١، ص٥٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٩ ص٥٥٦.

(٣) الكامل في التأريخ لابن الأثير، ج٦، ص٤١١.

١٨ حديثا.

٢ـ خالد بن مخلد القطواني

قال الذهبي: (**خالد بن مخلد القطواني من شيوخ البخاري، صدوقٌ**)[١].

وفي ترفضه يقول: (**ابن سعد كان متشيعا منكر الحديث مفرطا في التشيع... وقال صالح بن محمّد جزرة ثقة في الحديث إلاّ أنّه كان متّهما بالغلوّ. وقال الجوزجاني كان شتّاماً معلناً بسوء مذهبه، وقال الأعين: قلت له: عندك أحاديث في مناقب الصحابة؟ قال: قل في المثالب أو المثاقب**)[٢].

روي عنه ستمائة وأربعة عشر حديثاً، له في صحيح البخاري: واحد وثلاثون حديثا. وفي صحيح مسلم: أربعٌة وعشرون حديثا.

٣ـ سعيد بن محمّد الجرمي

من شيوخ البخاري ومسلم، ثقة[٣].

وصفه السمعاني بالغلوّ في التشيّع أي الترفّض، قال: (**وأبو عبدالله سعيد بن محمّد بن سعيد الجرمي الكوفي من أهل الكوفة، كان من أهل**

(١) المغني في الضعفاء، ج١، ص٣١١.

(٢) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، ج٣، ص١٠١ـ ١٠٢.

(٣) راجع ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج٤، ص٦٨ ـ ٦٩.

الصدق غير أنّه كان غاليا في التشيّع)[١].

له في صحيح البخاري أربعة أحاديث، وفي صحيح مسلم ثلاثة أحاديث وجميع ما روي عنه في كتب السنن أربعة وسبعون حديثاً.

٤ـ مالك بن إسماعيل النهدي

قال ابن حجر: (**من كبار شيوخ البخاري مجمع على ثقته)**[٢].

وقال ابن سعد في الطبقات: (**وكان أبو غسّان ثقةً صدوقاً متشيّعاً شديد التشيّع)**[٣]، أي رافضيا.

روى عنه البخاري ثلاثين مورداً وروى عنه مسلم حديثا واحدا؛ لهذا الرافضي ٢٠٠٠ رواية في كلّ كتب الحديث.

شيوخ مسلم من الرافضة

١ـ عبدالله بن عمر مشكدانة

قال صالح بن محمّد جزرة: (**كان عبدالله ابن عمر بن أبان يمتحن أصحاب الحديث، وكان غالياً في التشيع)**[٤]. أي مترفّضاً.

---

(١) الأنساب، ج٢، ص٤٨.

(٢) مقدّمة فتح الباري، ص٤٤٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٦، ص٤٠٥.

(٤) ميزان الاعتدال، ج٢، ص٤٦٦ ـ ٤٦٧.

قال ابن حجر: (**وقال صاحب حماه**[1]**: كان غالياً في التشيع فكان يمتحن كلّ من يجيئه من أهل الحديث)**[2].

روى ٢٩٠ حديثا، روى مسلم منها ٣٣ حديثا.

٢ـ عمرو بن حماد بن طلحة

قال ابن حجر: (**وقال أبو داود: كان من الرافضة)**[3]، (**صدوقٌ رُمي بالرفض)**[4].

بلغت أحاديثه ستمائة وثمانية وخمسون حديثاً، له في صحيح مسلم حديثٌ واحد.

ابن حنبل ورافضي

كان الإمام أحمد بن حنبل أحد أئمة السلفية الكبار يقرب رجلا شيعيا رافضيا يتحدث بمثالب الصحابة، وكان ابن حنبل يدافع عنه، لم يحزّ رقبته تقرّبا إلى الله، ولم يؤذه أو يدعو عليه كما يفعل الخلف الذين يتّخذونه قدوة.

قال ابن حجر في ترجمة عبد الرحمن بن صالح الأزدي: (**قال يعقوب بن يوسف المطوعي: كان عبد الرحمن بن صالح رافضياً وكان يغشى أحمد**

---

(١) جرأة.

(٢) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٢٩١.

(٣) تهذيب التهذيب، ج٨، ص٢٠ -٢١.

(٤) تقريب التهذيب، ج١، ص٧٣٢.

بن حنبل فيقرّبه ويدنيه، فقيل له فيه، فقال: سبحان الله رجل أحبّ قوماً من أهل بيت النبيّ ﷺ وهو ثقة. وقال سهل بن عليّ الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: يقدم عليكم رجل من أهل الكوفة يقال له: عبد الرحمن بن صالح ثقة صدوق شيعي لئن يخرّ من السماء أحبّ إليه من أن يكذب في نصف حرف... وقال موسى بن هارون: كان ثقة وكان يحدّث بمثالب أزواج رسول الله ﷺ وأصحابه... وقال الآجري عن أبي داود: لم أر أن أكتب عنه، وضع كتاب مثالب في أصحاب رسول الله...) [1].

فضل رواة الحديث الشيعة على جمهور المسلمين

تفاجأت بفقرة كتبها المحدّث عداب الحمش في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، حيث قال: (**الشيعة عالة على أهل السنّة في علوم الحديث كلّها. وأول من بدأ علم الحديث عندهم هو ابن طاوس، واعتمد على كتابي الحاكم والخطيب اعتمادا يعرفه المطّلعون**).

وكلامه لا يصدّقه منصف، فالإمامية لهم خصوصيتهم في علمي الحديث والرجال، وقد فاقوا غيرهم في هذين المجالين.

لقد وقع رواة الشيعة في أكثر من ١٤٧٠٠٠ سند من أسانيد أهل الحديث، حيث إنّنا لو حذفنا أسماء هؤلاء الرواة لعمّت الفوضى كتب الحديث. وبعد دراسة تبيّن أنّ هؤلاء الرواة رووا ما يقارب من ثلث الصحاح

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٦، ص١٧٨ – ١٧٩.

الستة، وهذا يبيّن الفضل الكبير للشيعة على مدرسة جمهور المسلمين. وقد أثبتّ هذه الحقيقة في كتابي: (معجم رواة الشيعة الثقات وعدد أحاديثهم في مصادر أهل السنّة)[1].

اعتماد الجمهور على كتب الرجال الشيعية

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة إبراهيم بن سليمان النهمي: (**وقد ذكره أبو جعفر الطوسي في رجال الشيعة وهو أعلم به...وله تصانيف سرد منها الطوسي جملة**)[2].

لقد اعتمد ابن حجر كثيراً على أقوال الرجاليين الشيعة واستفاد منهم في تراجمه للرواة دون أدنى تشكيك منه، وهذا بيانٌ مختصر للمسألة:

ـ استشهد بـ (رجال الطوسي) مائتين وثماني وسبعين مرّةً في كتابه (لسان الميزان).

ـ استشهد برجال علي بن الحكم إحدى عشرة مرة.

ـ رجع إلى رجال ابن أبي طي ثماني عشرة مرة.

ـ استفاد من (رجال النجاشي) في تسعٍ من تراجمه.

ـ اعتمد على ابن النجاشي ستاً وعشرين مرةً.

---

(١) وفي العناوين القادمة ما يجلي الصورة أكثر حول فضل الشيعة على المحدثين.

(٢) لسان الميزان، ج١، ص٦٦.

ـ أحال إلى الكشي ثلاثاً وثلاثين مرةً.

فيكون هناك أكثر من ثلاثمائة وسبعين راوياً رجع ابن حجر في ترجمتهم إلى مصادر الإمامية التي كانت لديه، علماً بأنّ بعض المصادر التي كانت عنده مفقودة حاليا.

أما عبد الرحمن بن خراش (ت٢٨٣هـ) وهو شيعي رافضي مغالي، فقد ذكره ابن حجر في (تهذيب التهذيب) معتمدا على آرائه الرجالية ١٥٨ مرة، وفي (لسان الميزان) ١٣٣ مرة.

وفي كتب الذهبي اعتمد آراءه، فذكره معتمدا على أقواله في (المغني في الضعفاء) ٢٠ مرة، وفي (تذكرة الحفاظ) ٥ مرات، وفي (ميزان الاعتدال) ٥٠ مرة، وفي (سير أعلام النبلاء) ٦٦٦ مرة.

وقد عدّ الذهبي ابن خراش ضمن الرجاليين المعتمدين الذين يؤخذ بأقوالهم وذاك في رسالة له مطبوعة وهي (ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل)[1].

قال الذهبي في ترجمته: (**ابن خراش الحافظ، الناقد، البارع، أبو محمّد، عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش، المروزي ثمّ البغدادي ... قال ابن المديني: كان من المعدودين المذكورين بالحفظ والفهم للحديث والرجال. قال أبو نعيم بن عدي: ما رأيت أحداً أحفظ من ابن خراش.**

---

(١) ص١٩٩، رقم: ٣٦٤.

وقال ابن عدي: وأرجو أنه لا يتعمّد الكذب)[١].

وفي تاريخ بغداد: (**وقال ابن عدي: سمعت عبد الملك بن محمّد أبا نعيم يثني على ابن خراش هذا، وقال: ما رأيت أحفظ منه، لا يذكر له شيء من الشيوخ والأبواب إلاّ مَرَّ فيه)**[٢].

قال الخطيب البغدادي: (**كان أحد الرحّالين في الحديث إلى الأمصار وممّن يوصف بالحفظ والمعرفة، قال ابن عدي: كان يتشيّع، وقال أبو زرعة: محمّد بن يوسف الحافظ: خرّج ابن خراش مثالب الشيخين، وكان رافضيا)**[٣].

وقال ابن حجر: (**ويلتحق به عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المحدّث الحافظ فإنه من غلاة الشيعة بل نسب إلى الرفض)**[٤].

وقال ابن عدي: (**قد ذكر بشيء من التشيّع، وأرجو أنه لا يتعمّد الكذب. سمعت ابن عقدة يقول: كان ابن خراش عندنا إذا كتب شيئا في التشيّع يقول: هذا لا ينفق إلاّ عندي وعندك. وسمعت عبدان يقول: حمل ابن خراش إلى بندار عندنا جزئين صنّفهما في مثالب الشيخين ...)**[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٥٠٨ ـ ٥١٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج١٠، ص٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) لسان الميزان، ج١ ص١٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص٥٠٨ ـ ٥١٠.

وقد ذكر له الشيخ الطهراني في الذريعة كتاب: (رجال ابن خراش)[1].

وخلاصة القول: إنّ لعلماء الرجال الشيعة فضلهم على الجمهور، حيث أخذوا آراءهم واستفادوا ممّا في كتبهم.

عدد الأحاديث الصحيحة بين الإمامية والجمهور

راسلني أحد القرّاء من المهتمّين والباحثين وسألني: هل فعلا أنّ أحاديث الكافي والتي تتجاوز ١٦ ألف حديثا أغلبها ضعيف وأنّ كتاب البخاري يحوي أكثر مما في الكافي من الحديث الصحيح؟

الجواب:

قد يتعجّب المرء حين يعلم أنّ ما صحّ من الأحاديث المسندة إلى النبي ـ بدون تكرار ـ من أحاديث البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبي داود ومسند أحمد ومستدرك الحاكم ومعاجم الطبراني وغيرها من الكتب الحديثيّة مجتمعة لا يتجاوز ٤٤٠٠ حديث.

قال الزركشي: (**وعن غندر سألت شعبة عن هذا ـ جملة المسند ـ فقال جملة المسند أربعة** آلاف **ونيّف وناظر عبد الرزاق إسحاق بن راهويه في ذلك فقال إسحاق أربعة** آلاف **وقال عبد الرزاق أقول ما قاله يحيى بن سعيد المسند أربعة** آلاف **وأربعمائة منها ألف ومائتان سنن وثمانمائة حلال**

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١٠ ص٨٤.

وحرام وألفان وأربعمائة فضائل وأدب وتسديد)[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: (**وعن أبي داود، قال نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث)**[٢].

وقال الأمير الصنعاني: (**فائدة: ذكرها الحافظ ابن حجر عن أبي جعفر محمّد بن الحسين البغدادي أنه قال في كتاب التمييز له عن النووي وشعبة ويحيى بن سعيد القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل أنّ جملة الأحاديث المسندة عن النبيﷺ: يعني الصحيحة بلا تكرر أربعة آلاف وأربعمائة حديث)**[٣].

أما الكافي: فالذي صح منه (٥٠٧٢) حديثا يفوق جميع ما صحّ لدى أئمة الحديث في جميع كتبهم مع حذف التكرار.

قال العلامة الطهراني: (**"الكافي في الحديث" وهو أجل الكتب الأربعة الأصول المعتمدة عليه لم يكتب مثله في المنقول من آل الرسول... وأحاديثه حصرت في ستة عشر ألف حديث، الصحيح ٥٠٧٢. الحسن ١٤٤، الموثق ١٧٨، القوى ٣٠٢، الضعيف ٩٤٨٥. ومائة وتسعة وتسعين حديثا أزيد من جميع صحاح السِت»**[٤].

---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج١ -ص ١٨٢ -١٨٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ج١ -ص ٦٢.

(٣) توضيح الأفكار، ج١ -ص ٦٣ -٦٤.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج١٧ -ص ٢٤٥.

على أنّنا لم نذكر بقية الكتب الحديثية، ككتب الشيخ الصدوق حيث كتب ٣٠٠ كتابا، منها: (من لا يحضره الفقيه) وفيه: ٥٩٢٠ حديثا وقد اشترط الصحّة في كتابه هذا، وكتب الشيخ الطوسي وقد اشترط الصحّة فيها: (الاستبصار) وفيه ١١٢٢ حديثا، (التهذيب) له وفيه: ١١٦٠ حديثا، وهناك عشرات الكتب الروائية لم نذكرها.

وفي (معجم الأحاديث المعتبرة) للشيخ آصف محسني، وهو ثمانية أجزاء، ١١٥٢٢ حديثا معتبرا بالرغم من أخذه بالمنهج السندي المتشدّد، وإلاّ فإنّ الرقم أكثر من هذا، وهذا الرقم يفوق ما صحّ لدى الجمهور بكثير.

موسوعة كلمات الرسول الأعظم

يشنّع المخالفون على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام افتقارهم إلى أحاديث يتّصل سندها برسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ناشئ من عدم فهم مباني المدرسة الإمامية التي تعدّ كلّ حديث قاله أحد الأئمة هو حديث رسول الله، فالأمام ينقل عن أبيه عن جدّه حتّى يصل إلى رسول الله، وفي هذا الشأن يقول الإمام الصادق عليه السلام: (**حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب، وحديث عليٍ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ**)[1].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، ج١ ص٥٣.

وقد صدر كتاب ضخم يحمل عنوان: (موسوعة كلمات الرسول الأعظم) يقع في أربعة عشر مجلدا ويحوي ١٥ ألف حديث مسند إلى رسول الله من مصادر الشيعة، وقام مركز بحوث باقر العلوم عليه السلام بإعداد الموسوعة ونشرها.

أسانيد السنّة والشيعة إلى كتب الحديث

كتب أصحاب الأئمة في القرنين الأوّل والثاني الهجري مئات الكتب الصغيرة جمعت أحاديثهم عليهم السلام التي نقلوها عن جدهم صلى الله عليه وآله، وبقيت هذه الكتب بين الشيعة وأحيانا كانوا يعرضونها على الإمام المعصوم في زمانهم ويبيّن الإمام لهم الصحيح من غيره، حتّى وصلت إلى الشيخ الكليني (ت ٣٢٩) ومشايخ الشيعة الآخرين كالطوسي والصدوق وغيرهم من المحدثين في القرنين الرابع والخامس الهجريين.

ينبغي ملاحظة أنّ عصر التشريع امتدّ عند الإمامية إلى سنة ٣٢٩ للهجرة، وهي بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام، بعكس أهل السنّة الذي توقف التشريع عندهم بوفاة النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١هـ.

كان أغلب مشايخ الشيعة على مدار العصور يشترطون وجود سند صحيح إلى صاحب الكتاب ليأخذوا به، فالكافي له عشرات الأسانيد الصحيحة التي وصلت إلى العلماء المعاصرين وهم بدورهم يجيزون طلاب العلم بعد قراءة الكافي عليهم أو قراءة التلميذ للكتاب عليهم، وهكذا سائر الكتب الحديثية متواترة الأسانيد، وهذا ما يفتقده أهل السنّة، فالأسانيد إلى

كتبهم مفقودة بل تجد أحدهم يحقق كتابا حديثيا كتب في القرن الثالث أو الرابع الهجري، ويطبعه ويعتمدون عليه مع عدم وجود طريق صحيح للكتاب ولم يرو إلاّ وجادة.

ومن هذا القبيل العديد من المخطوطات التي حقّقها الألباني وغيره في العصر الحديث، وعلميا هذا منهج ضعيف، لاحتمال تطرّق التحريف إلى هذه النسخ، فمنهج الإمامية منهج علمي رصين لمن فهم هذا الأمر.

صحيح البخاري

قال الشيخ محمود سعيد ممدوح في أحد منشوراته، وهو محدث معاصر مشهور: (**وأحب أن أوجه إخواننا الإمامية إلى العناية بطريقة البحث الحديثي الصحيح الذي يقوم على الإسناد ...ولكنني أتكلم عن منهج علمي في توثيق النصوص**).

فكتبتُ: إنّ ما يميز الإمامية عن غيرهم أنهم لا يرتضون العمل بأي كتاب حديثي حتّى يثبت لهم بإسناد صحيح، لا أعني الأسانيد التي يحويها الكتاب وإنما وجود أسانيد صحيحة بين مؤلف الكتاب ومن بعده، لهذا يجد الباحث أنّ أسانيد كتب الحديث كالكافي وكتب الشيخ الطوسي والصدوق وغيرهم صحيحة بل متواترة إلى عصرنا الحاضر، وجُلّ العلماء المعاصرين لديهم طرق إجازة حتّى مؤلف الكتاب، وهذا منهج علميّ سليم، وهو ما لم ألاحظه في كتب أهل السنّة الحديثية. فهل هناك أسانيد صحيحة متّصلة إلى البخاري نفسه أم أنّه منقول وجادة؟!

ولا يخفى على مطّلع أهمية أسانيد كتاب ما، حيث تورث الاطمئنان إلى صحته وإلى عدم التلاعب به وتحريفه.

وسؤال آخر: ألم يكن صحيح البخاري مجرد مسودة لم تكتمل، تصرف بها النقلة وأضافوا إليه ما لم يكتبه البخاري بنفسه؟!

قال ابن حجر: (**والأولى أنّه لا يلزم أن يكون كلّ خبر في الباب يطابق جميع ما في الترجمة ثمّ قال الكرماني الظاهر أنّه من تصرفات النقلة من أصل البخاري فإنّه مات وفيه مواضع مبيضة من تراجم بلا حديث وأحاديث بلا ترجمة فأضافوا بعضا إلى بعض**)[1].

وقال أيضا: (**ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف ولا لسعيد بن زيد وهما من العشرة وإن كان قد أفرد ذكر إسلام سعيد بن زيد بترجمة في أوائل السيرة النبوية وأظنّ ذلك من تصرّف الناقلين لكتاب البخاري كما تقدّم مرارا أنّه ترك الكتاب مسودة فإنّ أسماء من ذكرهم هنا لم يقع فيهم مراعاة الأفضلية ولا السابقية ولا الأسنّية، وهذه جهات التقديم في الترتيب، فلما لم يراع واحدا منها دلّ على أنّه كتب كلّ ترجمة على حدة فضم بعض النقلة بعضها إلى بعض حسبما اتّفق**)[2].

---

(١) فتح الباري، ج١١ –ص ٤٩١.

(٢) المصدر نفسه، ج٧ –ص ٧٣.

وقال سليمان بن خلف الباجي المالكي: (**حدّثنا أبو إسحاق المستملي إبراهيم بن أحمد قال انتسخت كتاب البخاري من أصله كان عند محمّد بن يوسف الفربري فرأيته لم يتمّ بعد وقد بقيت عليه مواضع مبيضة كثيرة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا ومنها أحاديث لم يترجم عليها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض. ومما يدلّ على صحة هذا القول أنّ رواية أبي إسحاق المستملي ورواية أبي محمّد ورواية أبي الهيثمّ الكشميهني ورواية أبي زيد المروزي وقد نسخوا من أصل واحد فيها التقديم والتأخير**)[1].

أعتقد أنّ هذين الإشكالين من أهمّ الإشكالات التي ترد على صحيح البخاري، فهل يتسع صدر الشيخ ممدوح حفظه الله لكي يجيبنا؟!

قال الشيخ في جوابه: (**أنت تقوم بعملية تقابل بين المذهبين، ولا أحبّ ذلك البتة وأنت لم تدرس "صحيح البخاري" دراسة علمية كما ذكرت من قبل، والكلام كان في تطابق الأحاديث والترجمة، وينبغي عليك مراجعة كتاب "تقييد المهمل" لأبي على الغساني الجياني فإنّه اهتم بألفاظ الرواة عن البخاري، التي دخلت سهوا ومع ذلك فهذه الأحاديث التي في "صحيح البخاري" لها طرق كثيرة، وألفاظ متعددة، وأنت إذا تذوقت "صحيح البخاري"، وعرفتَ جمع طرق الحديث لهان عليك الأمر، والبخاري لم يأت بجديد تقريبا في كتابه فأحاديث البخاري ليس هو أول**

---

(١) التعديل والتجريح، ج١ –ص ٢٨٧.

من رواها، بل هي في كتب تقدّمته، وأنت إذا جمعت بين مصنّفي ابن أبي شيبة وعبد الرزاق الصنعاني لأخرجت أكثر من ٨٠ بالمائة من "صحيح البخاري"، فإذا ضممتَ لهما "مسند أحمد" حصلت على ما لا يقل عن ٩٨ بالمائة من صحيح البخاري، فكيف إذا ذهبت لكتب السنّة الأخرى وجمعت الطرق والوجوه؟! وبذلك لا يكون نقدك لعين صحيح البخاري سليما. لكن انظر للحديث من حيث كونه حديثا لا يوافقك، أرجو أن تتفهم كلامي، مع خالص تقديري).

ـ الشيخ المبجل محمود سعيد ممدوح: ليس القصد إلزام الآخرين ببعض مباني الإمامية في علمي الحديث والرجال، ولكن وصول أيّ كتاب قديم إلينا عبر سند صحيح أو متواتر هو منهج علمي سليم، لئلّا يعتري الكتاب التحريف والتزوير عبر الأزمنة[1].

شبهة تأخر المجلسي والحر العاملي

ذكر أحدهم شبهةً ظنّ أنّه هدم التشيّع بها، وهي ليست جديدة، حيث زعم أنّ المجلسي متأخّر، إذ توفّي سنة (١١١٠هـ) فكيف روى بحار الأنوار بالرغم من طول المدة بينه وبين الأئمة؟ وكذا الأمر بالنسبة للحرّ العاملي الذي توفي سنة ١١٠٤هـ؟

---

(١) يُلاحظ على جواب الشيخ أنه ابتعد عن الإشكال الذي طرحته ولم يعالجه، ولكن ذهب يثبت صحيح البخاري من خلال متون كتب حديثية أخرى.

لقد خفي على صاحب الإشكال أنّ الشيعة تعرّضوا عبر تاريخ طويل للاضطهاد من قبل الحكام وعلماء السلاطين، وتعرّضوا لغارات، فحُرقت كتبٌ وقُتل أبرياء، وبقيت بعض الكتب التي ألّفها قدماء الشيعة، ولم يُنقل مضمونها إلى الموسوعات الحديثية، بقيت يتناقلها العلماء، إلى أن وصلت إلى الشيخ المجلسي، فدوّنها في بحاره حفاظا عليها بعد أن بذل جهودا كبيرة للوصول إليها، وهكذا الأمر مع الحر العاملي والنوري الطبرسي، حيث وصلت إليهم كتب لم تصل لغيرهم، فدوّنوها في كتبهم إضافة للكتب الأصلية، فجمع الحرّ العاملي أحاديث الأحكام التي تتجاوز الثلاثين ألف حديث، بينما هي عند الجمهور لا تتجاوز ٥٠٠ حديث [١].

يقول الحر العاملي: (**الكتب المعتمدة التي نقلت منها أحاديث هذا الكتاب، وشهد بصحتها مؤلّفوها وغيرهم، وقامت القرائن على ثبوتها، وتواترت عن مؤلّفيها، أو علمت صحة نسبتها إليهم بحيث لم يبق فيها شكّ ولا ريب، كوجودها بخطوط أكابر العلماء. وتكرّر ذكرها في مصنّفاتهم. وشهادتهم بنسبتها. وموافقة مضامينها لروايات الكتب المتواترة. أو نقلها بخبر واحد محفوف بالقرينة. وغير ذلك**)[٢].

وقد كان للشيخين المجلسي والحرّ العاملي غالباً طرقهم وأسانيدهم إلى

---

(١) كما هي في كتاب بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني.

(٢) وسائل الشيعة، ج٣٠ -ص ١٥٣.

الكتب والأصول التي دوّنوها، وأغلب إجازاتهم ترجع إلى الشيخين الطوسي والنجاشي.

بحار الأنوار وجهلة السلفيين

تغصّ المواقع السلفية بشُبه ساذجة ناتجة عن قصور فهم أو تعمّد، وسرعان ما تنتشر هذه الشُبه عن طريق النسخ واللصق، وأثناء حواري لأحد مشايخهم، احتجّ عليّ بقول نسبه للشيخ المجلسي رحمه الله، وهو: (ومن **خصائص كتاب بحار الأنوار أنّه تزداد شهرته واعتباره، ويظهر قدره وعظمته، إذا قام القائم بعدما ينظر فيه ويحكم بصحّته من الأوّل إلى الآخر**).

وحين راجعت هذا القول، وجدته لتلميذه عبدالله الأفندي. جاء في بحار الأنوار: (**الخاتمة، وهو مكتوب من العلامة المرزا عبدالله الأفندي بخطّه قدّس سرّه كتبه إلى أستاذه ومن به استناده العلامة المؤلّف المجلسي فيما يهمّ من مصادر بحار الأنوار، أدرجه في آخر الإجازات**)[1].

وجاء في بحار الأنوار: (**ولا نحتاج أن نكرّر على القرّاء الكرام أنّ شطرا من مجلدات البحار ومنها مجلّد الإجازات قد بقي بعد ارتحال المؤلف قدس سرّه مسودّة في كراسات وأوراق، وإنّما رتبها تلميذه العلامة المرزا**

---

(١) ج١٠٧ ص١٨٩.

عبدالله الأفندي...)[١].

فالشيخ المجلسي رحمه الله اعتمد على مجموعة من تلاميذه ليساعدوه في تأليف البحار، فكتب تلميذه عبدالله الأفندي هذا المجلد وهو معروف بمجلّد الإجازات. وكانت تلك العبارة فيه، وهذا رأيه ولم يوافقه عليه أحد، ولم يذكره العلماء ويناقشوه، وليس له دليل أبدا.

إخفاء المحدّثين للحقائق ودعوة عليّ عليه السلام للترّفض

روى أحمد بن حنبل: (**حدثني محمّد بن عبدالله قال: حدّثنا أبو داود، عن شعبة، قال: لقد حدّثنا الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عليّ شيئا لو حدّثتكم به لرقصتم، والله لا تسمعونه منّي أبدا. وحدّثنا به محمود بن غيلان، مثله، وقال: لترفّضتم. قال أبو عبد الرحمن وهو أشبه ـ أي أولى بالصواب ـ**)[٢].

ـ هذا النصّ رواه ابن حنبل بسندين، ورجال السندين ثقات.

ـ عليّ عليه السلام يحدّث بما يدعو للرفض، فهو يوافق الشيعة في الأمر الذي دعا إليه، وهذا يؤكّد ما يرويه الشيعة عنه في مسائل كثيرة.

ـ أخفى شعبة هذا الأمر الذي يدعو للترفّض وأقسم إلاّ يسمعه منه أحد، وهذا إخفاء للحقائق وخيانة للأمانة التي كرّس حياته لأجلها.

---

(١) ج١٠٢ ص٢٩٩.

(٢) الجامع في العلل ومعرفة الرجال، ص٣٦١.

ـ لو كان هذا الأمر يقوّي التسنّن، لأظهره شعبة دون تردّد.

ـ حاول أحدهم كما يبدو تمييع النصّ فروى لـ«رقصتم»، والصحيح لـ«ترفّضتم».

ـ إنّ إخفاء المحدّثين للحقائق التاريخية، ينبغي أن يشجّع الباحثين للغوص أكثر في كتب الحديث والتاريخ لاستخراج الأدلة الحقّة منها.

ـ إنّ منهج المحدّثين في كتم الأخبار وانتقاء ما يروق لهم، يضع علامات استفهام عديدة على منهجهم هذا، مما يفقد المرء الثقة بما يروونه.

راو ناصبيّ ويهجو النبيﷺ لكنّه ثقة!

خالد بن سلمة بن العاص المعروف بالفأفأ، روى له أصحاب الصحاح الستة ما عدا البخاري[1].

ماذا لو هجا هذا الراوي أبا بكر أو عمرا؟! هل سيوثق ويعامل بالأسلوب نفسه؟!

قال ابن حجر في ترجمته: (**خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو سلمة ويقال أبو المقسم المعروف بالفأفأ الكوفي أصله حجازي.**

وقال أحمد وابن معين وابن المديني ثقة وكذا قال ابن عمار ويعقوب بن شيبة والنسائي وقال أبو حاتم شيخ يكتب حديثه وقال ابن عدي هو في

---

(١) راجع مثلا: صحيح مسلم، ج١ ص١٩٤.

عداد من يجمع حديثه ولا أرى بروايته بأسا وذكره ابن حبان في الثقات ... وقال محمّد بن حميد عن جرير كان الفأفأ رأساً في المرجئة وكان يبغض علياً...

له عند مسلم من حديث واحد ... وذكر ابن عائشة أنّه كان ينشد بني مروان الأشعار التي هجى بها المصطفى ﷺ)[1].

وقال ابن حجر العسقلاني: (**خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي الكوفيّ المعروف بالفأفاء أصله مدنيّ صدوق رمي بالإرجاء وبالنصب من الخامسة قتل سنة اثنتين وثلاثين بواسط لما زالت دولة بني أميّة**)[2].

ابن حبّان والإمام الرضا عليه السلام

قال ابن حبان: (**علي بن موسى الرضا وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن من سادات أهل البيت وعقلائهم وجلة الهاشميين ونبلائهم يجب أن يعتبر حديثه إذا روى عنه غير أولاده وشيعته وأبى الصلت خاصّة فإنّ الأخبار التي رويت عنه وتبين بواطيل إنّما الذنب فيها لأبي الصلت ولأولاده وشيعته لأنّه في نفسه كان أجلّ من أن يكذب...وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار**

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٣ ص٨٣ –٨٤.

(٢) تقريب التهذيب، ج١ ص٢٥٩.

بجنب قبر الرشيد قد زرته مرارا كثيرة وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه ودعوت الله إزالتها عنّى إلاّ استجيب لي وزالت عنّى تلك الشدّة، وهذا شيء جرّبته مرارا فوجدته كذلك أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين)[1].

وقال ابن حبان: (**علي بن موسى الرضا يروي عن أبيه العجائب روى عنه أبو الصلت وغيره كأنّه كان يهم ويخطئ ...**)[2].

وقال ابن طاهر: (**يأتي عن آبائه بعجائب**)[3].

يُلاحظ مما سبق ما يلي:

ـ من العجائب أن يقوم ابن حبان وأضرابه بتقييم الإمام الرضاعليه السلام وإدراجه في كتابه (المجروحين).

ـ يُلاحظ توسّل ابن حبّان بالإمام عند ضريحه وقيامه بأعمال شركيّة (على رأي السلفيين)! وأزال الله عنه الشدائد ببركة الإمامعليه السلام، فالسلفيّون يرجعون إلى مشرك بالله ويعتمدون كتبه في الحديث والرجال!

ـ أثبت ابن حبان للإمام الرضاعليه السلام شيعة وأبناءً يروون عنه ما لا يرتضيه عقله، فطعن بروايتهم هوى من عند نفسه.

---

(١) الثقات لابن حبان (الوفاة: ٣٥٤هـ)، ج٨ ص٤٥٧.

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج٢ ص١٠٦ – ١٠٧.

(٣) المغني في الضعفاء للذهبي، ج٢ ص٩٨.

ـ اتّهم ابن حبان وابن طاهر الإمامعليه السلام دون شيعته أنّه يروي العجائب عن آبائه، بالرغم من وثاقته وتبرئة ابن حبان له من الكذب، وهذا يعني رواية الإمامعليه السلام عن آبائه الثقات ما يخالف ما عليه محدّثو السلاطين والمذاهب، فدلّ هذا على انفراد أئمة أهل البيتعليهم السلام بروايات خاصّة بهم هي موضع استنكار عند المحدّثين، وكلامه يدلّ على صحة تلك المرويّات التي سماها بالعجائب، حيث رواها الإمام عن آبائه وهم ثقات عند المحدّثين، وهذه العجائب ومثيلاتها رواها محدّثو الإمامية في كتبهم.

ـ للإمامعليه السلام سند خاص في مرويّاته، حيث لا يروي إلاّ عن آبائه الطاهرين عن رسول اللهصلى الله عليه وآله، وقد ورد في كتب الجمهور ما يؤكّد مقولة الإمامية أنّ حديث أيّ إمام هو حديث أبيه وحديث أبيه هو حديث جدّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال سعيد بن أبي مريم، قيل لأبي بكر بن عياش: **(مالك لم تسمع من جعفر ـ الصادقعليه السلام وقد أدركته؟ قال: سألناه عما يتحدّث به من الأحاديث، أشيء سمعته؟ قال: لا ولكنّها رواية رويناها عن آبائنا)**[1].

وقد تتبّعت أحاديث الإمام الرضاعليه السلام في كتب الجمهور فلم أجد له رواية إلاّ وينقلها عن آبائه.

في مسند الشهاب: (**...ثنا علي بن موسى الرضا قال حدثني أبي**

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢ج ص٨٨.

موسى بن جعفر حدثني أبي جعفر بن محمّد حدثني أبي محمّد بن علي حدثني أبي علي بن الحسين حدثني أبي الحسين بن علي حدثني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى لا إله إلاّ الله حصني فمن دخله أمن عذابي...)[١].

وفي سند ذكره الإمام عن آبائه قال أحمد بن حنبل: **(لو قرأت هذا الإسناد ـ المتقدم ـ على مجنون لبرئ من جنّته)**[٢].

له في سنن ابن ماجة حديث عن آبائه، وهو ضعيف عند المحدّثين، وفي سنن الدارقطني له حديث واحد عن آبائه، وفي شعب الإيمان للبيهقي حديث واحد عن آبائه، وفي تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، عشر أحاديث كلها عن آبائه.

وهذا يدل على قلة ما روي عن هذا الإمام الكبير في كتب الجمهور، فمجموع أحاديثه دون تكرار لا تزيد على ستة، وقد لا يصحّ منها عند التحقيق سوى حديث واحد أو اثنين! في حين يروى للزهري ـ مع التكرار ـ وهو شرطيّ بني أميّة الذين اتّخذوا لعن عليّ عليه السلام على المنابر سُنّة يروى عنه أكثر من ٤٠٠٠ حديث.

---

(١) مسند الشهاب للقضاعي، ج٢ ص٣٢٣ – ٣٢٤.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر، ج٢ ص٥٩٣.

ظلم المحدثين لأئمة أهل البيت عليهم السلام

قال ابن أبي حاتم: (**نا عبد الرحمن حدثني أبي قال حدّثنا عمر بن حفص بن غياث قال قلت لأبي: زعم أبو البختري أنّه رآك عند جعفر بن محمّد، فقال: ما رآني ولا رأيته. كتب الفضل بن الربيع**[1] **إلى أبي فقال: لا تحدّث عن جعفر بن محمّد فقلت لأبي: هذا أبو البختري ببغداد يحدّث عن جعفر بن محمّد بالأعاجيب ولا ينهى؟ فقال: يا بني أمّا من يكذب على جعفر [بن محمّد] فلا يبالون به وأمّا من يصدق على جعفر فلا يعجبهم**)[2].

هذه الحقيقة التي يجب أن تُقال: ما كان يعجبهم حديث جعفر الصادق عليه السلام، وسند الحديث صحيح لا غبار عليه، وقد جعل ابن حبان كما ذكرنا قبل صفحات عنه الإمام الرضا عليه السلام في كتابه المجروحين وقال: إنّه يروي العجائب عن آبائه. وهذان النصّان دليل على صدق الشيعة في روايتهم عن أهل البيت عليهم السلام وإن سمّوا أحاديثهم بالعجائب.

نُبعَث نحن وشيعتنا كهاتين

روى الحميدي، حدّثنا سفيان، عن عبدالله بن شريك، قال: قال الحسين: (نبعث نحن وشيعتنا كهاتين -وأشار بالسبابة والوسطى ـ)[3].

---

(١) كان حاجبا للرشيد، راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٠ ص ١٠٩.

(٢) الجرح والتعديل، ج٩ ص٢٥.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص٤٣٩، ورواه العقيلي في الضعفاء ج٢ ص٢٦٦.

سند الحديث

الحميدي وسفيان: إماما ثقتان.

عبدالله بن شريك: وثّقه أحمد وابن معين وأبو زرعة والدارقطني ويعقوب بن سفيان، ووثّقه النسائي في إحدى الروايات عنه، وذكره ابن حبّان في الثقات[١].

وذكره ابن شاهين في (تاريخ أسماء الثقات)[٢]، وممّن وثّقه الطبري بروايته عنه مرّتين في (تهذيب الآثار)[٣].

ووثقه الهيثمّي حين حكم على حديث أخرجه الطبراني بالصحة، وفي سنده عبدالله بن شريك[٤].

وقد اتّهم الجوزجاني الناصبي ابن شريك بالكذب. وشهادته مردودة في أهل الكوفة. قال ابن حجر: (**عبدالله بن شريك العامري الكوفي صدوق يتشيّع، أفرط الجوزجاني فكذّبه**)[٥].

وعبدالله بن شريك روى عن الصحابة كابن عباس وابن عمر كما في

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٥ ص٢٢٣.

(٢) ص١٣٢.

(٣) ج١ ص٧٣ و٧٤ وهو لا يروي إلا عن الثقات في كتابه هذا.

(٤) مجمع الزوائد، ج١٠ ص٩٧، وحديث الطبراني في المعجم الأوسط، ج٥ ص٣٥٥.

(٥) تقريب التهذيب، ج١ ص ٥٠١.

ترجمته في تهذيب التهذيب، فلا تمتنع روايته عن الحسينعليه السلام.

يستفاد من النصّ التالي:

ـ يقول الإمام الحسينعليه السلام: (نحن وشيعتنا) ولم يقل وشيعتي، وهذا يدل على أنّ هؤلاء شيعة له ولأهل البيتعليهم السلام.

ـ يبشّر الإمامعليه السلام شيعته بالجنّة، ولا شكّ أنّ مصدر هذه المعلومة لديه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّه لا يتصور أن يقول كلامه هكذا دون مصدر.

ـ لا يُقال كما زعم البعض في توجيه بعض الأحاديث أنّهم هم الشيعة المعنيون، فكلامهم لا دليل عليه وإنّما مجرد ادعاء، فكيف يكون من يتولّى أعداءهم من شيعتهم؟

وكيف يكونون شيعة عليّعليه السلام وهم إلى زمن ابن حنبل ـ الذي توفّي سنة ٢٤١هـ ـ لم يكونوا يعترفون بعليّعليه السلام كخليفة رابع؟ روى أبو يعلي: (**حدّثنا وريزة بن محمّد الحمصي قال: دخلت على أبي عبدالله أحمد بن حنبل حين أظهر التربيع بعليّ رضي الله عنه فقلت: له يا أبا عبدالله إنّ هذا لطعن على طلحة والزبير فقال: بئس ما قلت: وما نحن وحرب القوم وذكرها؟ فقلت: أصلحك الله إنّما ذكرناها حين ربّعت بعليّ وأوجبت له الخلافة...**)[1].

لا يُقال إنّ شيعته قد خذلوه، فالصحيح أنّ أغلب أهل الكوفة في ذاك

(١) طبقات الحنابلة، ج١ ص٣٩٣.

الوقت لم يكونوا شيعة بل كانوا على سنة الخلفاء، وطالما اعترضوا على عليّ عليه السلام حين أراد أن يغيّر بعض السنن. وشيعته من أهل الكوفة أمثال هاني بن عروة والمختار وغيرهما كانوا في سجون ابن زياد حين قدوم الحسين عليه السلام إليهم، وهم قلّة، ثمّ تغيرت الكوفة لاحقا وصارت تغلي بالتشيّع وتفور، على حدّ توصيف الذهبي في أحد كتبه[1].

في حوارٍ لي مع أحد المتعصبين، قال لي: يكفي في ذمّ الشيعة ما روي في نهج البلاغة عن عليّ في ذم أهل الكوفة وشكواه منهم.

قلت: هؤلاء الذين اشتكى منهم ـ حسب عقيدتك ـ كانوا شيعة إمامية رافضة كما تسمّونهم؟

قال بعد تلعثمّ: لا كانوا شيعة يناصرون عليّا وربما يفضّلونه على عثمان ولكن عقديتهم هي نفس عقيدة أهل السنّة، فلم يكن هناك رافضة في ذاك الوقت.

قلت: إذن قد خصمت نفسك وأجبت، فعلى كلامك كان عليّ عليه السلام يشكو ويذمّ أهل السنّة في ذاك الوقت وليس الشيعة.

ولنقض مقالتي حول قول الحسين عليه السلام: **(نبعث نحن وشيعتنا كهاتين)** كتب أحدهم ممّن يدعي العلم معترضا على مقالتي، فقال:

(أولا: من قال إنّ الأثر معتبر؟ هل تريد أن توهم المتابعين أننا نقول بأنّ

---

(١) تذكرة الحفاظ، ج٣ ص٨٤٠.

الأثر معتبر؟

ثانيا: بترت كلام العقيلي، لماذا لم تذكر ما قاله في البداية بحقّ ابن شريك؟ حيث قال «كان يغلو» وذكر حديثين له، بمعنى الاستنكار.

ثمّ إنّ الإمام الذهبي يخرّج الأحاديث المنكرة في «ميزان الاعتدال». قال ابن حبان: «عبدالله بن شريك العامري: يروي عن أهل الكوفة. روى عنه أهلها كان غاليا في التشيّع يروى عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات فالتنكّب عن حديثه أولى من الاحتجاج به وقد كان مع ذلك مختاريا».

ثمّ ذكرت توثيق النسائي له، فأين وثّقه؟ النسائي ليّنه. قال: «عبدالله بن شريك ليس بالقوي، مختاري»[1].

وابن معين قال به «شريك ثقة إلاّ أنّه يغلط ولا يتقن، ويذهب بنفسه على سفيان وشعبة».

وقال الدارقطني: «ليس شريك بقوي فيما ينفرد به».

وقد جرحه الذهبي في السير فقال: «ليّن». ثانيا: أين صيغة السماع من الحسين؟).

وفي جواب هذه المغالطات كتبت:

لو راجعت الأمور بدقّة ودون تسرع لما اضطررت أن تقع فيما وقعت فيه من أخطاء، وردّك يدلّ على سطحية وعدم معرفة، وهذا نقض كلامك

---

(١) الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص: ٢٠٣).

مفصلا عسى أن ينفعك لاحقا.

ليس شرطا أن ينصّ أحد حتّى يكون الحديث أو الأثر معتبرا، فكثير من الأخبار لم تُحقّق وهي في بطون الكتب، وظهر لي حسب سند الحديث أنّه معتبر، فصحة السند هو الفيصل وقد بينّا أنّه لا طعن فيه.

أمّا العقيلي، فقد ذكرته كمصدر للحديث، فليس هناك بتر كما ظننت، هذا **أولا**، **ثانيا**: كلام العقيلي **(كان يغلو)** ليس طعنا في الرجل وهذه من الأساسيات لدارس علم المصطلح فكيف خفيت عليك؟ لو كان لقوله **(كان يغلو)** أثر في تضعيف ابن شريك لذكرته، والمعروف عند الرجاليين احتجاجهم بغلاة الشيعة، فهاك بعض التفصيل لتزداد معرفة.

قال الحاكم: **(أبان بن تغلب، ثقةٌ مخرّجٌ حديثه في الصحيحين وكان قاص الشيعة)**[1].

قال الذهبي: **(أبان بن تغلب الكوفي شيعيٌّ جلدٌ، لكنّه صدوقٌ، فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثّقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو حاتم وأورده ابن عدي وقال: كان غاليا في التشيع)**[2].

فلاحظ قوله: **(فلنا صدقه وعليه بدعته)**.

وقال الألباني: (فإن قال قائل: راوي هذا الشاهد شيعي وكذلك في سند

---

(١) معرفة علوم الحديث، ص١٣٦.

(٢) ميزان الاعتدال، ج١، ص٥ و٦.

المشهود له شيعي آخر وهو جعفر بن سليمان أفلا يعتبر ذلك طعنا في الحديث وعلّة فيه؟

فأقول: كلا لأنّ العبرة في رواية الحديث إنّما هو الصدق والحفظ وأما المذهب فهو بينه وبين ربّه فهو حسيبه ولذلك نجد صاحبي "الصحيحين" وغيرهما قد أخرجوا لكثير من الثقات المخالفين كالخوارج والشيعة وغيرهم)[1].

وهناك كلام لابن حبان وابن حجر وغيرهما وكلهم يؤكدون على هذا المعنى، وبهذا يتّضح أن قول العقيلي فيه لا قيمة علمية له.

ثمّ لاحظ أنّ البخاري ومسلم رويا لبعض الغلاة في صحيحهما، وأنصحك بعدم نسيان الأمثلة التالية، حتّى لا تكرّر دعواك مستقبلا. فهؤلاء مجموعة من الرواة وصفوهم بغلوّ الرفض أو الترفّض أو الغلو ...ومع ذلك رووا عنهم ووثّقوهم، ولم يتوقّفوا عند غلوّهم كما فعلت أنت.

١. جرير بن عبد الحميد (**فيه تشيع مفرط**) له عند البخاري خمس روايات وكذا خمسة عند مسلم.

٢. الحكم بن عتيبة (**رافضي**) له روايتان عند البخاري وخمسة عند مسلم.

٣. خالد بن مخلد القطواني (**مفرط في التشيع، شتّام، متهم بالغلو**) له

---

(١) سلسة الأحاديث الصحيحة، ج٥ ص٢٦١.

ثلاثون رواية عند البخاري وأربع وعشرون رواية عند مسلم.

٤. يحيى بن يعمر (**رافضي**) له ٨ روايات عند البخاري، و١١ عند مسلم.

٥. سعيد بن عمرو بن أشوع (**غال في التشيع**) له روايتان عند البخاري وثلاثة عند مسلم.

٦. سعيد بن محمّد الجرمي (**غال في التشيّع**) له أربع روايات عند البخاري وثلاث عند مسلم.

٧. عامر بن وائلة، (**رافضي مغال**)، له رواية عند البخاري وثلاث وأربعون عند مسلم.

٨. عبد الرزاق بن همام (**متّهم بالرفض**) له ١١٧ رواية عند البخاري و١١٠ عند مسلم.

٩. عبدالله بن لهيعة (**مفرط في التشيّع**) له ثلاث عند البخاري واثنتان عند مسلم.

١٠. عبد الملك بن أعين (**من غلاة الرافضة**) له رواية عند البخاري وكذا عند مسلم.

١١. عبيد الله بن موسى العبسي (**شيعيٌّ متحرّقٌ**) له ٣٦ رواية عند البخاري و١٨ عند مسلم.

١٢. عدي بن ثابت (**رافضيٌّ غالٍ**) له ٢٣ عند البخاري و١١ عند مسلم.

١٣. عوف بن أبي جميلة، له عشرة روايات عند البخاري وواحدة عند مسلم.

١٤. مالك بن إسماعيل النهدي (**شديد التشيّع**) له ٣٠ رواية عند البخاري وواحدة عند مسلم.

١٥. محمّد بن جحادة الكوفي (**يغلو في التشيّع**) له ثلاث روايات عند البخاري وواحدة عند مسلم.

١٦. محمّد بن خازم أبو معاوية (**مغال في التشيّع**) له روايتان عند البخاري وكذا عند مسلم.

١٧. محمّد بن فضيل بن غزوان، له ١٨ رواية عند البخاري و٢٢ عند مسلم.

١٨. مخول بن راشد (**يغلو في الرفض**) له رواية عند البخاري وكذا عند مسلم.

١٩. وكيع بن الجراح (**رافضي**) له ٥٣ عند البخاري و٣٥٠ عند مسلم.

٢٠. علي بن الجعد (**مغال**) له ١٣ رواية عند البخاري.

٢١. محمّد بن عبد الرحمن الطفاوي (**يغلو في التشيّع**)، له ٣ روايات عند البخاري.

٢٢. جعفر بن سليمان الضبعي (رافضي) له ١٣ رواية عند مسلم.

٢٣. أبان بن تغلب (غالي في التشيّع) له ٣ روايات عند مسلم.

٢٤. عبدالله بن عمر مشكدانة (غال في التشيّع) له ٣ روايات عند مسلم.

٢٥. علي بن هاشم بن البريد (غالي في التشيّع) له روايتان عند مسلم [١].

هؤلاء وغيرهم من الروافض والغلاة في تشيّعهم احتجّ بهم الشيخان، ولو أخذنا بإشكالك، لوجب رمي الصحيحين.

يخرج الأحاديث المنكرة في (ميزان الاعتدال) فإنّما أدرج هذا الحديث أمّا قولك إنّ الذهبي في ميزانه، لأنّه لا يطيق فضيلة لعلي عليه السلام.

قال المحدث أحمد الحسني الغماري: (**ولكن الذهبي إذا رأى حديثا في فضل عليّ عليه السلام بادر إلى إنكاره بحقّ وبباطل حتّى كأنّه لا يدري ما يخرج من رأسه! سامحه الله**)[٢].

وجرح ابن حبان غير معتبر، وتكفينا أقوال الذهبي فيه، قال: (**ابن حبان ربما قصب الثقة حتّى كأنّه لا يدري ما يخرج من رأسه**)[٣].

وقال بعد أن ساق قولا للدارقطني في أحد الرواة: (**فأين هذا القول من قول ابن حبان الخساف المتهوّر!! ...ولم يقدر ابن حبان أن يسوق له**

---

(١) راجع: معجم رواة الشيعة الثقات وعدد أحاديثهم في مصادر أهل السنة، فقد ترجمت لهؤلاء وغيرهم من رواة الشيعة.

(٢) فتح الملك العلي ص٥٠.

(٣) ميزان الاعتدال، ج١ -ص ٢٧٤.

حديثا منكرا، فأين ما زعم؟)[١].

وقال: (**ابن حبان صاحب تشنيع وشغب**). (**وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح وذكره في طبقات الشافعية: غلط الغلط الفاحش في تصرفه، وصدق أبو عمرو. وله أوهام كثيرة تتبّع بعضها الحافظ ضياء الدين، وقد بدت من ابن حبان هفوة فطعنوا فيه لها. قال أبو إسماعيل الأنصاري شيخ الإسلام: سألت يحيى بن عمار عن أبي حاتم ابن حبان، فقال: رأيته ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين)**[٢].

ثمّ طالبتني بتوثيق النسائي، قال ابن حجر في ترجمة عبدالله بن شريك: (**وقال النسائي في موضع آخر ليس به بأس)**[٣].

وذكر الذهبي توثيق النسائي له فقال: (**وقال النسائي: ليس به بأس)**[٤].

وزعمك أنّ الذهبي ليّنه غير صحيح، فهات عبارته حتّى أراجعها. أمّا صيغة السماع من الحسينعليه السلام، فلا يصحّ إيراد هذا الإشكال، لأنّ ابن شريك لم يُعرف بالتدليس، ولو كان مدلّسا ربما حقّ لك أن تطالب بصيغة السماع، لكن لم يتّهمه أحد بالتدليس، فإشكالك غير وارد.

---

(١) المصدر نفسه، ج٤ –ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ج١ ص٢٩٠ وج٣ ص٥٠٧.

(٣) تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٢٣.

(٤) تاريخ الإسلام، ج٨ ص١٤٩.

ثمّ جاءني ردّه، فقال: **(لم تردّ على كلام يحيى بن معين، والذهبي قال إنّه ليّن الحديث وهذه عبارته في** (سير أعلام النبلاء): **«شريك ابن عبدالله، العلامة الحافظ، القاضي أبو عبدالله النخعي، أحد الأعلام، على لين ما في حديثه. توقف بعض الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده.**

قال أبو أحمد الحاكم: شريك بن عبدالله بن سنان بن أنس. ويقال: شريك بن عبدالله بن أبي شريك بن مالك بن النخع، وجدّه قاتل الحسين - رضوان الله عليه. أدرك شريك عمر بن عبد العزيز، وسمع سلمة بن كهيل، ومنصور بن المعتمر، وأبا إسحاق. ليس بالمتين عندهم»)[(١)].

بعد مراجعتي لكلام ابن معين والذهبي الذي اتهمه محاوري أنه لين ابن شريك، تبين لي أن هذا المحاور كان يتكلم في شريك وهو أحد الرواة، بينما مقالتي كانت عن عبدالله بن شريك، فخلط هو بينهما، فمما قلته له: كأنّك هجرت وغلبك الوجع! كلامي هو عن عبدالله بن شريك وليس شريك القاضي!! وكلام الذهبي الذي أوردته أنت هو عن شريك ولم يقع هذا الراوي في السند، فخلطت بينه وبين عبدالله بن شريك[(٢)].

مع تلميذ الألباني

الشيخ متولّي إبراهيم صالح، مصري، أحد تلامذة الألباني، في

---

(١) سير أعلام النبلاء، ترجمة شريك بن عبد الله، ج٨ ص٢٠٠.

(٢) بعد الموقف المحرج الذي وقف فيه هذا المحاور، انقطع ولم يعلّق.

الستينيّات من العمر، وله منهج خاص به في التصحيح والتضعيف، ومن العجيب أنّه يطعن في حديثي الغدير والمنزلة ...، نقد مقالي السابق حول رواية الحسين عليه السلام: (**نُبعث نحن وشيعتنا كهاتين ...**) وأجبته وتشعّب الحوار، وارتأيت جعله تحت عناوين عديدة ليسهل فهمه. كان مما قاله:

(أ ـ الإسناد باطل لم يصح عن الحسين عليه السلام: ـ فيه عنعنة سفيان بن عيينة وهو مدلّس.

ـ وفيه عبدالله بن شريك وهو مختلف فيه بين موثّق ومضعّف ومجرّح ومكذّب ومتّهم له بأنّه كان مغاليا في التشيّع، ومن وثّقه فبسبر لا دليل على صحّته هنا ولم يدركه.

ـ وأما الحميدي فلا ثقة في تصريحه بالسماع من سفيان فقد كان يحضر سفيان فيسمع ولا يكتب ثمّ يأخذ المجلس مكتوبا من أحد زملائه ويتساهل فيصرّح بالسماع من سفيان ويسقط زميله من الأسناد وقد يكون زميله غير ثقة.

ب ـ ولو صحّ الإسناد عن الحسين وكان دليلا بالتالي على أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ فليس فيه ما يدلّ على أنّ من قصدهم بالشيعة هم الطائفة الاثنا عشرية.

ـ وإنّما الشيعة هم المتّبعون لتعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ـ والاثنا عشرية يزعمون أنّهم المتّبعون من دون السنّة، والسنّة يزعمون

أنّهم المتّبعون من دون الاثني عشريّة.

ـ كما أنّ النصارى يزعمون أنّهم أتباع المسيح من دون المسلمين بينما المسلمون يزعمون أنّهم هم أتباع المسيح من دون النصارى).

قلت في جوابه:

تفاجأت بتعليقات الشيخ متولي إبراهيم صالح وطريقته في الحكم على الأحاديث التي لم يسبقه إليها أحد، فالشيخ متسرّع وله منهج غريب مخالف لكلّ من سبقوه، ليته قرأ ما كتبناه.

حتّى لا نعيد ونكرر. تقول (**إنّ الإسناد باطل لم يصحّ عن الحسين**) فهل تقصد سماع عبدالله بن شريك من الحسين عليه السلام؟ فقد بيّنّا أنّ الرجل ثقة، ولم يتّهم بالتدليس وعاش مائة سنة وسمع من بعض الصحابة كابن عباس رضي الله عنه فما الذي يمنع أن يسمع من الحسين عليه السلام، خاصّة أنّه من الثقات؟ وإن كنت تقصد بالبطلان بقيّة رجال السند فهذا يحتاج إلى إثبات .

بالنسبة إلى عنعنة سفيان، فهي مقبولة عند جمهور المحدثين، قال الذهبي: (**سفيان بن عيينة الهلالي، أحد الأعلام، أجمعت الأمّة على الاحتجاج به، وكان يدلّس، لكن المعهود منه أنّه لا يدلّس إلاّ عن ثقة**)[1].

وكيف يردّ الشيخ توثيق من وثّقه بحجّة عدم إدراكه؟ وسأجيبك بمنطقك نفسه، فقل لي هل أدرك النسائي والجوزجاني والعقيلي عبدالله بن

---

(١) ميزان الاعتدال، ج٢ ص١٧٠.

شريك؟ وهم من تكلّموا فيه؟

فابن شريك روى عن الحسين عليه السلام (استشهد٦١هـ) وعن ابن عباس (ت ٦٨هـ) وعن ابن عمر (ت ٧٣هـ) وعاش ابن شريك مائة سنة، فلو افترضنا أنّه عاش حتّى سنة ١٥٠هـ فالنسائي ولد سنة (٢١٥هـ) وولد الجوزجاني بعد وفاة ابن شريك، فوفاته كانت سنة (٢٥٦هـ) ولم يدرك ابن شريك وتوفّي العقيلي سنة (٣٢٢هـ) فواضح أنّه لم يدركه أيضا.

فهؤلاء الثلاثة لم يدركوه، فجرحهم على منطقك باطل ويسقط كلامك بضربة واحدة! على أنّ النسائي قد ذكروا أنّه وثّقه بالرغم من جرحه له. وغلوّ التشيّع الذي نسبه له العقيلي ليس جرحا للرجل، فقد روت كتب الحديث للروافض والشيعة الغلاة ووقعوا في أكثر من مائة وأربعين ألف سند في كتب الحديث.

ووفق منطقك فعليك ترك روايات الروافض ومن وصفوا بالغلوّ، وحينها لن يبقى حجر على حجر في كتب الحديث، وستضطرّ لترك روايات الأعمش الرافضي السبئي التي تجاوزت عشرة آلاف رواية وكذا ستضطرّ لترك روايات عبد الرزاق الصنعاني التي تجاوزت ١٧٠٠٠ رواية وهو المغالي في تشيّعه المتهم بالرفض، وعبد الرزاق شيعي إمامي كما ذكرت كتب الشيعة ورجالهم، فطعنك به لأجل غلوّه في التشيع مردود ومخالف لمنهج أهل الحديث، والعقيلي حسب منطقك لم يعاصر ابن شريك، فيبطل إشكالك.

وأستغرب ردّك حديث الراوي لغلوّ التشيّع ولا تردّ قول المغالي في

النصب كالجوزجاني الذي تحتجّ بكلامه![1].

إنّ الجوزجاني لم يدرك ابن شريك وحسب منطقك يسقط احتجاجك به، ثمّ إنّ شهادته مردودة في أهل الكوفة. جاء في لسان الميزان لابن حجر: **(وممّن ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح، من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد فإنّ الحاذق إذا تأمّل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدّة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيّع، فتراه لا يتوقّف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعبارة طلقة...)**[2].

جاءني الردّ التالي منه: **(ليست المسألة أنّ هناك من وثّق عبدالله بن شريك وإنّما المسألة أنّه مختلف فيه بين معدّل ومجرّح، وأنّ الجرح مقدّم على التعديل، لأنّ الجرح زيادة علم عرفها المجرّح وجهلها المعدّل، ومن عدّل**

---

(١) قال الذهبي فيه في (تاريخ الإسلام) ج١٩، ص٧٢: (وقال فيه الدارقطني: كان من الحفّاظ المصنّفين الثقات، أقام بمكّة مدّة وبالرملة مدّة وبالبصرة مدّة، لكنّه كان فيه انحراف عن عليٍّ (رضي الله عنه) اجتمع على بابه أصحاب الحديث، فخرج إليهم فأخرجت جارية له فرّوجاً ليذبح، فلم تجد أحداً يذبحها، فقال: سبحان الله لا يوجد من يذبحها وقد ذبح عليّ بن أبي طالب في ضحوة نيّفاً وعشرين ألفا).

وقال فيه ابن حجر في (تقريب التهذيب) ج١، ص٦٩: (نزيل دمشق، ثقةٌ حافظٌ رمي بالنصب).

(٢) لسان الميزان، لابن حجر ج١ ص١٦.

ومن جرح كلاهما صادق أفاد بمبلغ ما علمه في عبدالله بن شريك ولكن كان لدى أحدهما زيادة علم ليست عند الآخر).

قلت: من الذي جرح عبدالله بن شريك يا شيخ متولي؟

١ـ هل هو النسائي؟

وحين نرجع لكتابه «الضعفاء والمتروكين»[1]، نجده قال: (**ليس بالقوي مختاري**).

وسنأخذ قوله ليس بالقوي أوّلا، فربما فهمت الجرح منها، وقوله هذا كما قال ابن حجر: (**هذا تليين هيّن**)[2].

وقال الذهبي: (**وقد قيل في جماعات: ليس بالقوي، واحتُجّ به، وهذا النسائي قد قال في عدّة: ليس بالقويّ، ويخرّج لهم في كتابه، فإنّ قولنا: ليس بالقوي، ليس بجرح مفسد**)[3].

وقال: (**حكيم بن جبير الأسدي الكوفي، مشاه النسائي وقال: ليس بالقوي**)[4].

وقد احتجّ النسائي نفسه بعبدالله بن شريك في السنن ٨ مرات واحتجّ

---

(١) ص٢٠٣.

(٢) مقدمة فتح الباري ص٣٩٥.

(٣) الموقظة ص٨٢.

(٤) تاريخ الإسلام ج٨ ص٧٩.

به في خصائص أمير المؤمنين ٥ مرات.

فلا تعني هذه العبارة الجرح المفسد كما بيّن ابن حجر والذهبي، وعليه لا نمانع أن نقول: إنّ الحديث حسن على افتراض صحّة ما ذهب إليه النسائي، فقد نقل ابن حجر والذهبي عن النسائي توثيقه لابن شريك كما ذكرنا سابقا مع مصدره.

ومعنى كلام النسائي فيه أنّه مختاري أي من أتباع المختار الثقفي رحمه الله، وهذا لا يضرّ بوثاقته كما هو معلوم إلاّ إن كان لدى الشيخ منهج آخر، فكتب الحديث مليئة بالثقات من الروافض والخوارج وأصحاب المذاهب، وبدونهم تنتهي تلك الكتب وتخرب!

لقد كان الصحابي الجليل أبو الطفيل عامر بن وائلة مختاريّا رافضيّا، فهل هذا جرح له؟!

وما دام الشيخ متولي قد زعم أنّه من شيعة الحسين عليه السلام فعليه أن يوثّق ابن شريك ويفتخر به لأنّه مختاري ساعد المختار على الثأر من قتلة الحسين عليه السلام. إذن تبين عند التحقيق عدم صحة جرح النسائي لابن شريك. ولو افترضنا جرحه له فهو ساقط لأنّ جرح الراوي لأجل مذهبه غير معتبر عند الجمهور.

٢ـ الجوزجاني.

لا أدري كيف يعتمد الشيخ على الجوزجاني الناصبي الذي يبغض عليّا عليه السلام كما ذكروا في ترجمته؟ ألم يزعم الشيخ أنّه من شيعة عليٍّ

والحسين عليهما السلام؟! فهل تأخذ بقول مبغضيهم من النواصب؟

قال الذهبي: (**وكان يتحامل على عليّ رضي الله عنه. وقال الدارقطني: كان من الحفاظ الثقات المصنفين، وفيه انحراف عن عليّ**)[١].

وقال ابن حجر: (**رمي بالنصب**)[٢].

وشهادة الجوزجاني في أهل الكوفة مردودة، وعبدالله بن شريك كوفي، قال ابن حجر: (**وممن ينبغي أن يتوقّف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الاختلاف في الاعتقاد، فإنّ الحاذق إذا تأمّل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدّة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع، فتراه لا يتوقّف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلقة وعبارة طلقة حتّى إنّه أخذ يليّن مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثّق رجلا ضعّفه قبل التوثيق**)[٣].

وقد ردّ ابن حجر على الجوزجاني فقال: (**عبدالله بن شريك العامري الكوفي صدوق يتشيّع، أفرط الجوزجاني فكذّبه**)[٤].

---

(١) تذكرة الحفاظ، ج٢ -ص ٥٤٩.

(٢) تقريب التهذيب، ج١ -ص ٦٩.

(٣) لسان الميزان، ج١ -ص ١٦.

(٤) تقريب التهذيب، ج١ -ص ٥٠١.

٣ـ ابن حبان

حيث قال فيه: (**كان غاليا في التشيّع يروي عن الأثبات ما لا يشبه حديث الثقات فالتنكّب عن حديثه أولى من الاحتجاج به، وقد كان مع ذلك مختاريا**)[١].

لقد نقضت جرح ابن حبان له بموضوعي السابق، وأوردت طعن الذهبي والألباني بابن حبان وتجريحه للرواة وردهما عليه.

فتبيّن أنّ جرحهم لابن شريك ليس له أساس علمي صحيح.

وهذه أسماء من وثّقه من الرجاليين:

١. ابن معين.
٢. أبو زرعة.
٣. الدارقطني.
٤. يعقوب بن سفيان.
٥. النسائي فيما ذكره ابن حجر والذهبي.
٦. ذكره ابن حبان في ثقاته.
٧. الطبري.
٨. ذكره ابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات.
٩. الهيثمّي شيخ ابن حجر في مجمع الزوائد.

---

(١) المجروحين لابن حبان (الوفاة: ٣٥٤)، ج٢ ص٢٦.

١٠. ابن حجر العسقلاني.

١١. الطحاوي.

١٢. الضياء المقدسي، وهو لا يروي إلاّ عن الثقات. قال ابن حجر في ترجمة عبيد الله بن المغيرة: (**أخرجه الضياء في المختارة ومقتضاه أن يكون عبيد الله عنده ثقة**)[1].

وقال محقق الكتاب المذكور الأستاذ الدكتور عبد الملك دهيش في حديث وقع في إسناده ابن شريك: (**إسناده صحيح**)[2].

النتيجة: عبدالله بن شريك ثقة

أما قولك عن الحميدي (**فلا ثقة في تصريحه بالسماع من سفيان...**).

يردّه ما جاء عن أبي حاتم (**أثبت الناس في ابن عيينه الحميدي وهو رئيس أصحاب ـ سفيان ـ ابن عيينه**)[3].

لقد احتجّ البخاري بروايات الحميدي شيخه عن سفيان في أكثر من ستين موردا، واحتجّ مسلم به أربع مرات وكذا احتجّ برواية الحميدي عن سفيان سائر أصحاب المصنّفات الحديثية، وأغلب مسند الحميدي وهو من الكتب الحديثية هو عن شيخه سفيان بن عيينه، فعلى كلامك ينبغي ضرب كلّ هذه الروايات التي وردت في الصحيحين وغيرهما وهي تعدّ بالآلاف.

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٧، ص٤٥.

(٢) الأحاديث المختارة، ج٤ ص٣٠٦ و٣٠٧.

(٣) الجرح والتعديل، ج٥ ص٥٦.

وهل يقدر الشيخ أن يذكر لنا مَن مِن الأعلام توقّف في رواية الحميدي عن شيخه سفيان أو شكّك في صحتها؟

زعمه أنّهم الشيعة!

مما قاله الشيخ متولي: (**ولو صح الإسناد عن الحسين وكان دليلا بالتالي على أنّه سمعه من النبي فليس فيه ما يدلّ على أنّ من قصدهم بالشيعة هم الطائفة الاثنا عشرية...**

إنّني أتّفق معك أنّ شيعة الحسين ليسوا بني أمية ولا من خذلوه، ولكن خلافي معك في زعمك أنّ شيعته هم الاثنا عشرية، فلم تذكر دليلا على ذلك؟ ولا أظنّك تعتبر أنّ تسميتهم لأنفسهم بأنّهم شيعة هو الدليل.

فأنا مؤمن بأنّي من شيعة الحسين ولست اثني عشريا؛ فشيعة الحسين من يتبعون هدي جدّ الحسين والشيعة والسنة كلتا الطائفتين تتبع بعض هديه وتخالف بعضا ولو أصلحت كلّ طائفة أخطاءها لالتقتا على سواء هو هدي جدّ الحسين).

وجواب الشيخ: إنّ قول الإمام الحسينعليه السلام (نحن وشيعتنا) ظاهر في دلالته وواضح أنّهم الشيعة وليس غيرهم ممّن يوالون أعداءهم من بني أمية، أو ممّن خذلوا الحسينعليه السلام، وليس هم أهل الكوفة، فأهل الكوفة في ذاك الوقت كانوا يتبعون سنن الخلفاء، والشيعة الخلّص فيهم كانوا قلّة. ولا يجوز صرف النصّ عن ظاهره إلاّ بقرينة، وهي مفقودة. ثمّ إنّ هناك نصوصا أخرى كثيرة تُبيّن أنّ اتّباع أهل البيتعليهم السلام هو سبب النجاة، وإن كان الشيخ يخالف

ويطعن في أغلب الأحاديث حسب مسلكه، فلا يهمّنا ما يذهب إليه، فنحن نحاور وفق منهج جمهور المحدّثين.

إنّ الدليل هو واقع الحال الذي يشهد برجوع الاثني عشرية إلى أئمة العترة الطاهرة، ومنهم الحسينعليه السلام، وقد ألّف أحد السنّة كتاب (فقه الآل)[١] أثبت فيه صحة فقه الشيعة وانتسابه إلى أهل البيت عليهم السلام بنسبة ٩٦ ٪.

فشيعة الحسينعليه السلام هم من اتّخذوه إماما ويرجعون إليه ويأخذون عنه ويذكروه في مجالسهم ويتبرّؤون من قاتليه وظالميه، ولا يروون عنهم الحديث ولا يأخذون عنهم السنن، فكيف يكون أهل السنّة شيعة الحسينعليه السلام أو شيعة أهل البيتعليهم السلام، وهم يترضّون عن أعدائهم ويأخذون عنهم الدين؟

لن أذكر معاوية زعيم الفئة التي تدعو إلى النار كما في صحيح البخاري وغيره ممن حارب العترة، ولكن العجب أن يوثّق البعض **"عمر بن سعد"** لعنه الله قاتل الحسينعليه السلام، والعجب أن يروي عنه محدّثو السنّة.

قال ابن قتيبة الدينوري: (**فأمّا عمر بن سعد فهو قاتل «الحسين بن علي» ـ رضي الله عنهما ـ وكان «عبيد الله بن زياد» وجّهه لقتاله...**)[٢].

فقد روى له النسائي في السنن الكبرى، وروى له ابن حنبل في مسنده ثماني روايات، ووقع في أسانيد الترمذي ومسند أبي داود والمصنف للصنعاني

---

(١) كتاب: (فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال)، وهو لأمين بن صالح هران الحداء اليمني.

(٢) المعارف، ص٢٤٣ – ٢٤٤.

وكتب الطبراني: (الدعاء) و(المعجم الكبير) و(المعجم الأوسط) وفي (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر و(السنّة) للخلّال.

وقع في أسانيد هذه الكتب وغيرها، ووثّقه أكثر من واحد كالعجلي، حيث قال: (**مدني ثقة**)[1].

وقال فيه ابن حجر: (**صدوق**)[2].

وقال فيه الذهبي: (**هو في نفسه غير متّهم**)[3].

واحتجّ به الضياء المقدسي في (الأحاديث المختارة) سبع مرّات، واحتجّ به الطحاوي في (مشكل الآثار)[4]. وهو لا يروي إلاّ عن الثقات عنده حسب منهجه الذي أوضحه في مقدمة كتابه.

وقد روى المحدّثون عن اللعين "شمر بن ذي الجوشن" وهو من احتزّ رأس الحسين عليه السلام، ورووا عن "عزرة بن قيس الأحمسي" قائد الخيّالة التي قتلت الحسين عليه السلام، وذكره ابن حبان في (الثقات) وروى عنه ابن حنبل في (مسنده).

وكتب الحديث مليئة بالرواية عن النواصب والخوارج أمثال "المغيرة" الذي كان يسبّ عليّاً عليه السلام و"حريز" و"عكرمة"... الذين يتقرّبون إلى الله

(١) معرفة الثقات، ج٢ ص١٦٦.

(٢) تقريب التهذيب، ج١ ص٧١٧.

(٣) ميزان الاعتدال، ج٣ ص١٩٨.

(٤) ج٢ ص٣١١.

ببغض الحسين عليه السلام وأبيه، فهل أصحاب المصنّفات الحديثية التي تروي عن قتلة الحسين عليه السلام وعن النواصب هم من شيعة الحسين عليه السلام؟! وهل من يأخذ عنهم دينه أو يعتمد تلك الكتب يكون من شيعة الحسين عليه السلام؟

يا شيخ كيف تكون من شيعته وشيعة أهل البيت عليهم السلام، ومنهجك الجديد في نقد الأحاديث لم يترك لهم أهمّ فضائلهم! فقد طعنت بحديث الغدير ورواته ١٢٠ صحابيا! وطعنت بحديث المنزلة والثقلين الذين نص العلماء على تواترهما! ولا أدري ما حال بقية الأحاديث عندك؟!

وها أنت تحاور في صفحتي حتّى لا يثبت لهم فضيلة مما صحّحته أنا حسب منهج جمهور المحدّثين.

إنّ اتّباع الحسين عليه السلام يعني أن تأخذ عنه الدين، وتجعله قدوة وإماماً، وللأسف لم يرو عنه أهل السنّة إلاّ ٨ أحاديث حسب ما ذكره ابن حزم بالرغم من أنّه عليه السلام عاش حتّى سنة ٦٠ للهجرة، فهل هؤلاء شيعة الحسين عليه السلام؟

الصحيح أنّ من يروي ٨ أحاديث عن الحسين عليه السلام و١٣ عن الحسن عليه السلام و١٨ حديث عن الزهراء عليها السلام ويروي ٥٣٧٤ عن أبي هريرة[1] وأكثر من ٤٠٠٠ عن الزهري الأموي وأكثر من ١٠٠٠ عن الشعبي

---

(١) ذكر ابن حزم هذه الأرقام في كتابه (أسماء الصحابة الرواة، ص١٣٠ و١٤٣ و١٧٠، وأحاديث الزهراء ع ذكرها السيوطي في مسند الزهراء، ولم يصحح محقق الكتاب أحمد زمرلي إلا حديثين.

الأموي[١]، لهو صاحب نهج أموي وبعيد عن أهل البيت عليهم السلام ولا يكون من شيعتهم حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط.

كان حديث الثقلين (**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**) ولا زال منارا للمتعطّشين لاتّباع أهل البيت عليهم السلام، وبالرغم من وضوح عبارات هذا الحديث ودلالاتها لكلّ فهيم، إلاّ أنّ أغلب المسلمين أبوا أن يعملوا بهذه الوصية النبوية الخالدة باتّباع عترته.

فاتّبعوا الأئمّة من الفقهاء الذين حصرتهم السياسة بأربعة، واتّخذ السلفيّون السلف قدوة لهم، مستثنين أئمّة العترة الطاهرة عليهم السلام، حتّى أنّ شيخهم ابن تيمية حاول بكل جهده إثبات عدم أخذ المسلمين عن الإمام عليّ عليه السلام وعن سائر أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام. يقول في ذلك مفتخرا: (**فليس في الأئمة الأربعة ـ ولا غيرهم من أئمة الفقهاء ـ من يرجع إليه ـ إلى عليّ ـ في فقهه؛ أمّا مالك، فإنّ علمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول عليّ، بل أخذوا فقههم عن الفقهاء السبعة، عن زيد، وعمر، وابن عمر ونحوهم، أمّا الشافعي، فإنّه تفقّه أوّلاً على المكّيين أصحاب ابن جريج كسعيد بن سالم القدّاح، ومسلم بن خالد الزنجي، وابن جريج أخذ ذلك عن أصحاب ابن عباس، كعطاء وغيره، وابن عباس كان مجتهداً**

---

(١) وقد فصلت هذا الأمر في كتابي: "وركبت السفينة"، فصل ضياع السنة، وكتاب: "قراءة في الأدلة السلفية".

مستقلاً، وكان إذا أفتى بقول الصحابة أفتى بقول أبي بكر وعمر، لا بقول عليّ، وكان ينكر على عليّ أشياء!!. ثمّ إنّ الشافعي أخذ عن مالك، ثمّ كتب كُتب أهل العراق، وأخذ مذاهب أهل الحديث، واختار لنفسه.

وأما أبو حنيفة، فشيخه الذي اختصّ به حمّاد بن أبي سليمان، وحمّاد عن إبراهيم، وإبراهيم عن علقمة، وعلقمة عن ابن مسعود، وقد أخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره. وأما الإمام أحمد فكان على مذهب أهل الحديث، أخذ عن ابن عيينة، وابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن عمر، وأخذ عن هشام بن بشير وهشام عن أصحاب الحسن وإبراهيم النخعي وأخذ عن عبد الرحمان بن مهدي ووكيع بن الجراح وأمثالهما، وجالس الشافعي، وأخذ عن أبي يوسف واختار لنفسه قولاً، وكذلك إسحاق بن راهويه وأبو عبيد ونحوهم، والأوزاعي والليث أكثر فقههما عن أهل المدينة وأمثالهم لا عن الكوفيين).

وأضاف: (فهذا موطّأ مالك ليس فيه عنه ولا عن أحد أولاده إلاّ قليل جداً، وجمهور ما فيه عن غيرهم، فيه عن جعفر تسعة أحاديث، ولم يرو مالك عن أحد من ذريّته إلاّ عن جعفر، وكذلك الأحاديث التي في الصحاح والسنن والمسانيد منها قليل عن ولده وجمهور ما فيها عن غيرهم)[1].

---

(١) منهاج السنة: ج٧ ص٥٢٩ ـ ٥٣١، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

وقال في موضع آخر: (**وأكثر المسلمين بالمشرق والمغرب لم يأخذوا عن عليّ شيئا...**)[١].

وقال أيضا: (**وقد جمع الشافعي ومحمّد بن نصر المروزي كتابا كبيرا فيما لم يأخذ به المسلمون من قول عليّ، لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة**)[٢].

وقال: (**جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير عليّ**)[٣].

ومما يؤكّد جفاء الأمّة لأهل البيتعليهم السلام ما ذكره الذهبي في ترجمة مالك بن أنس، إذ ذكر العشرات من الفقهاء من التابعين ومن بعدهم ممن ينغي الرجوع لهم، ولم يذكر من بينهم فقيها واحدا من فقهاء أهل البيتعليهم السلام، كالباقر والصادق والكاظم والرضا والجوادعليهم السلام... وقد كانوا معاصرين لهؤلاء الأئمة. قال: (**قال مالكيّ ـ أي من أتباع مالك ـ: قد ندر الاجتهاد اليوم، وتعذر، فمالك أفضل من يقلّد، فرجّح تقليده... ولكن، شأن الطالب أن يدرس أولا مصنّفا في الفقه، فإذا حفظه، بحثه، وطالع الشروح، فإن كان ذكيا، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة، فليراقب الله، وليحتط لدينه، فإنّ خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات، فقد استبرأ لدينه**

(١) المصدر نفسه، ج٨ ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه ٧ / ٥١٢ – ٥١٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٥ ص٥١٣.

وعرضه، والمعصوم من عصمه الله فالمقلَّدون: صحابة رسول الله ﷺ، بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثمّ أئمّة التابعين كعلقمة، ومسروق، وعبيدة السلماني، وسعيد بن المسيب، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وعبيدالله بن عبدالله، وعروة، والقاسم، والشعبي، والحسن، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي ثمّ كالزهري، وأبي الزناد، وأيوب السختياني، وربيعة، وطبقتهم. ثمّ كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وابن جريج، ومعمر، وابن أبي عروبة، وسفيان الثوري، والحمادين، وشعبة، والليث، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب. ثمّ كابن المبارك، ومسلم الزنجي، والقاضي أبي يوسف، والهقل بن زياد، ووكيع، والوليد بن مسلم، وطبقتهم. ثمّ كالشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، والبويطي، وأبي بكر بن أبي شيبة. ثمّ كالمزني، وأبي بكر الأثرم، والبخاري، وداود بن علي، ومحمّد ابن نصر المروزي، وإبراهيم الحربي، وإسماعيل القاضي. ثمّ كمحمّد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي عباس بن سريج، وأبي بكر بن المنذر، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الخلال. ثمّ من بعد هذا النمط تناقص الاجتهاد، ووضعت المختصرات، وأخلد الفقهاء إلى التقليد، من غير نظر في الأعلم، بل بحسب الاتفاق، والتشهّي، والتعظيم، والعادة، والبلد)[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٨ ص٩٠.

من وثق البخاري؟

مما كتبه لي الشيخ متولي قوله: (**لا يسعني كتمان نصحك وتحذيرك من خطر رفضك لنظر منهجي وإعلانك موقفا منه**).

سأنظر في منهجك، ومن معالم منهجك أنّك لا تقبل التوثيق إلاّ من معاصر، لهذا رفضت توثيقات الرجاليين لعبدالله بن شريك، والجرح مقدم على التعديل وأظنّك تعلم أنّ هناك ثلاثة من كبار الرجاليين وهم أبو زرعة وأبو حاتم والذهلي قد تركوا البخاري، ولم أعثر على نصّ من معاصر للبخاري يوثّقه، فعلى مبناك البخاري لم يوثق من معاصريه بل تركه ثلاثة من أهل الفن، والجرح مقدّم على التعديل، فينبغي ترك الاحتجاج به وبصحيحه؟!

فقال: (**الذهلي كان شيخا للبخاري**

ـ أي كان أسنّ منه والأصل أن يأخذ التلميذ عن الشيخ وليس العكس.

ـ ولكن الذهلي خاصم البخاري لأسباب اعتقادية لا لجرح منه للبخاري ولا طعن منه في ضبطه.

ـ وأين نصّ تركهما للبخاري لننظر مدى صحّته وسبب الترك إن صحّ أهو لجرح في عدالته أم لضعف في حفظه أم ماذا، إذ ليس كلّ ترك جرحا؟

ـ ثمّ إنّه لا يبطل قاعدة تقديم الجرح على التعديل ثبوت جرح

البخاري لو ثبت).

ـ فعماد هذه القاعدة أنّ لدى المجرّح زيادة علم ليست عند المعدّل.

لم يوثّق البخاري أحد من معاصريه، فننتظر جوابا منك في نصّ أحد معاصريه على توثيقه، وإن لم تفعل فيلزمك طرح صحيحه وسائر ما روي عنه أو قاله.

إنّ مخاصمة الذهلي للبخاري وتركه له ونهيه الناس عن الأخذ عنه هو جرح له وإن كان سببه اعتقادي، فكثير من الطعون في الرواة جاءت بسبب عقائدهم وهكذا هو حال عبدالله بن شريك الذي دار الحديث حوله وجرّنا للبخاري.

قال ابن أبي حاتم في ترجمة البخاري: (**سمع منه أبي وأبو زرعة ثمّ تركا حديثه عندما كتب إليهما محمّد بن يحيى النيسابوري أنّه أظهر عندهم أنّ لفظه بالقرآن مخلوق**)[1].

قد تقول إنّ تركهم له هو لسبب عقائدي وهو غير قادح، فنقول: وهو ما نقوله بشأن عبدالله بن شريك راوي حديث (**نبعث نحن وشيعتنا كهاتين**) فجرحهم له هو بسبب عقيدته حيث كان مختاريّا وهو غير قادح أيضا.

ثمّ إن لم يكن كلامهم فيه معتبرا وهم من كبار هذا الشأن فينبغي ترك سائر أقوالهم الرجالية بسبب تجنّيهم على البخاري بغير حق، ونتيجة جهلهم

---

(١) الجرح والتعديل ج٧ ص١٩١.

أنّ عقيدة الرجل لا تؤثر على وثاقته.

إنّ البخاري لم يوثّقه أحد من معاصريه، ولو افترضنا أنّ كلام الذهلي والرازيّين غير معتبر في البخاري، فهل يجوز الأخذ عنه مع عدم ورود توثيق معاصر معتبر بشأنه؟

فردّ الشيخ: (**لو كان التوثيق عندك محصورا في قول: (هو ثقة)، فكم ممن تؤمن بأنّه ثقة لم يقل فيه معاصر له هو ثقة. إنّ لفظ ثقة مصطلح حديثي متأخر ناشئ عن وصف مآثر ومحامد ومكارم بأن قيل بسببها في الشخص هو ثقة، ولو نظرت فيما قاله معاصرو البخاري في محامده ومآثره ومكارمه ستجده أجدر وأسمى وأكبر وأعظم من أن يقال فيه فقط هو ثقة، البخاري الذي قال فيه معاصره صالح بن محمّد البغدادي: كان يجلس ببغداد وكنت أستملي له ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا، البخاري الذي وصفه أبو حاتم الرازي بأنّه أعلم من دخل العراق؛ بل الذي قيل: إنّ محمّد بن يحيى الذهلي قال فيه: اذهبوا إلى هذا الرجل العالم الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس إليه واقبلوا على السماع منه حتّى ظهر الخلل في مجالس محمّد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلّم فيه، وفي كلّ الأحوال فإنّ موضوعنا ليس البخاري بل حديث منشورك عن الحسين**).

إنّ عبارات التوثيق لا تقتصر على كلمة ثقة، بل هناك عبارات عديدة لا تخفى عليك، قال الذهبي: (**فأعلى العبارات في الرواة المقبولين: ثبتٌ، حجّةٌ، وثبتٌ حافظٌ، وثقةٌ متقنٌ، وثقةٌ ثقةٌ، ثمّ ثقةٌ صدوقٌ، ولا بأس به، وليس به**

بأس، ثمّ محلّه الصدق، وجيّد الحديث، وصالح الحديث، وشيخٌ وسطٌ، وشيخٌ حسن الحديث، وصدوق إن شاء الله، وصويلح، ونحو ذلك)[(١)].

ولم نجد إحدى هذه العبارات بحقّ البخاري، ثمّ إنّ هناك فرق بين التوثيق وبين المدح، فمجرد المدح والإعجاب بسعة العلم والحفظ لا يدلّ على التوثيق، فهذا الجعابي مثلا قالوا فيه: إنّه يحفظ مائتي ألف حديث، ويجيب في مثلها: (**وكان إماما في المعرفة بعلل الحديث، وثقات الرجال من معتلّيهم وضعفائهم وأسمائهم وأنسابهم، وكناهم ومواليدهم، وأوقات وفاتهم، ومذاهبهم، وما يطعن به على كلّ واحد، وما يوصف به من السداد، وكان في آخر عمره قد انتهى هذا العلم إليه. حتّى لم يبق في زمانه من يتقدّمه فيه في الدنيا**)[(٢)].

بالرغم من سعة حفظ الجعابي وعلمه إلاّ أنّ الذهبي طعن فيه فقال: (**محمّد بن عمر الجعابي الحافظ أبو بكر مشهور محقّق لكنه رقيق الدين تالف**)[(٣)].

فسعة الحفظ والمدح لا يدلّ على الوثاقة، والفرق بينهما واضح. إنّ ذكري للبخاري إنّما هو مثال، فأنت لا تقبل التوثيق إلاّ من معاصر، فقلنا: إنّ

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (الوفاة: ٧٤٨هـ) ج١ص٤.

(٢) تاريخ بغداد، ج٣ -ص ٢٣٦ – ٢٤١ وراجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١٦ -ص ٨٨ – ٩٢ والبداية والنهاية لابن كثير، ج١١ -ص ٢٩٦.

(٣) المغني في الضعفاء، ج٢ -ص ٣٥٦.

البخاري لم يوثّقه أحد من معاصريه ومجرّد سعة الحفظ والعلم وازدحام الناس عليه لا يعني التوثيق، وضربنا لك مثالا، والأمثلة كثيرة لا يتسع المجال لعرضها.

ومما قاله الشيخ: (**هناك فرق بين بدعة ناشئة عن اجتهاد علمي خاطئ وأخرى ناشئة عن ترويج لمرويّات كاذبة ـ فمن كانت بدعته ناشئة عن اجتهاد علمي خاطئ فشهادته مقبولة كبدعة البخاري إن صحّ وصف الذهلي له بأنّه مبتدع، وأما من كانت بدعته ناشئة عن ترويج مرويّات كاذبة كمرويّات المختارية فشهادته مردودة كبدعة عبدالله بن شريك المختاري**).

لا دليل على كذب مرويّات عبدالله بن شريك اللّهم إلاّ مخالفتها لما عليه الجمهور من اعتقاد وكأنّ الأحاديث قد حصرت فيما رواه الجمهور فقط! ولم يتّهمه بالكذب إلاّ الجوزجاني الناصبي مبغض عليّ عليه السلام، وشهادته مردودة في الكوفيين كما بيّنّا.

ثمّ ما قولك في الصحابي الجليل أبي الطفيل الذي كان مختاريّا وقائد شرطة المختار وصاحب رايته؟! وما حال الروافض الذين وقعوا في أسانيد كتب الحديث وهم كثيرون، وقد جمعت ٢١٨ اسما وقعوا في أكثر من ١٤٠ ألف سند من أسانيد كتب الحديث، ومنهم الأعمش وعبد الرزاق

الصنعاني[١]... فهل تستطيع أن تستغني عن أسانيدهم كما استغنيت عن ابن شريك؟

ينبغي الإنصاف، فالجمهور يأخذون عن الراوي ولهم صدقه وعليه بدعته كما قيل، إلاّ إن كنت تخالفهم فيلزمك طرح رواة الشيعة والخوارج ... وحينها لن يبقى لك إلاّ النادر.

قال الشيخ: (**لم أحصر عبارات التوثيق في كلمة ثقة بل حين ذكرت كلمة ثقة التي تعنيها أنت عنيتها وعنيت معها أخواتها التي ذكرتها مؤخّرا ومنها كلمة صالح، وزدت فبيّنت أنّ المعنى ليس منحصرا في هذه الاخوات وبيّنت أنّ كلمة ثقة وبالتالي كلّ أخت من أخواتها مصطلح حديثي متأخّر يلخّص مآثر ومحامد ومكارم الموصوف بها وذكرت لك دليلا على عدم شيوع هذه الأخوات في المتقدمين، ومع ذلك ذكرت لك أنّ معاصر البخاري الذهلي وصف البخاري بإحدى هذه الأخوات المصطلحات الحديثيات المتأخّرات فقال فيه صالح وهذا توثيق من معاصر بالمصطلح الحديثي المتأخر الذي نفيته أنت عن البخاري، ولكنّك أغفلت هذا الوصف من الذهلي للبخاري وأوغلت في الإصرار على أنّ أحدا لم يوثّقه؛ فرّقت مطلقا بين التوثيق وبين المدح بينما المدح بالعلم توثيق للضبط والمدح بحسن الخلق توثيق للصدق ومجموع الضبط والصدق هما معنى التوثيق**

---

(١) راجع كتابنا: معجم رواة الشيعة الثقات وعدد أحاديثهم في مصادر أهل السنة.

الحديثي وكلاهما متوفّران في البخاري نصا بوصف الذهلي له بأنّه صالح ومعنى بوصف معاصريه له بأنّه إمام يجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا مع عدم وجود أيّ طعن في خلقه أو ضبطه بخلاف الجعابي الذي ضربته أنت مثلا فهو مغموز في دينه ومن ذلك أنّه متّهم بشرب الخمر وبأنّه مقابل صرّة دراهم دفعها له شيعة وطلبوا منه أن يلحق بكتابه عمّن وردوا بغداد أنّ عليا منهم فأخذ الصرّة وكتب لهم أمامهم في كتابه: وأمير المؤمنين عليّ يقال إنّه قدمها. وفي كلّ الأحوال لا يسوئني أن يثبت أنّ البخاري لم يكن ثقة فالإسلام لن يضرّه إلاّ يولد البخاري أو أبو بكر أو عثمان أو عليّ. وأمّا عبدالله بن شريك فكان مختاريّا أي من أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي الذي قيل إنّه زعم أنّ جبريل ينزل عليه).

لقد طالبنا بتوثيق معاصر للبخاري كما طالبتم بتوثيق معاصر لعبدالله بن شريك، ولم تذكروا توثيقا معتبرا.

وعبارة الذهلي (صالح) التي قالها بحقّ البخاري لا تعني التوثيق في علم المصطلح ولا أظنّ هذا يخفى على من درس على يد الشيخ الألباني. فالذهبي وصف مثلا أبا الصلت الهروي رضوان الله عليه بالصالح ولكنّه ضعّفه[1]، فراجع ترجمته. وهذه بعض الأمثلة التي تؤيّد ما نذهب إليه أنّ الصلاح لا يعني التوثيق.

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة، ج١ ص٦٥٣.

ـ أبو داود النخعي بغدادي، كان رجلا صالحا في الظاهر إلاّ أنّه يضع الحديث وضعا[١].

ـ جسر بن فرقد القصاب، قال أبو حاتم: كان رجلا صالحا وليس بالقوي[٢].

روى ابن عدي بإسناده عن أبي عاصم النبيل قال: (**ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث. وروى ابن أبي حاتم بإسناده عن أبي أسامة قال: إنّ الرجل يكون صالحا ويكون كذّابا**)[٣].

إنّ الذهلي بعد أن تبيّن له أمر البخاري حذّر الناس من الذهاب إليه، وهذا يعني تراجع الذهلي عن كلامه، فلا زال البخاري دون توثيق من معاصريه. وقولك بعدم شيوع هذه الأخوات في المتقدّمين غير دقيق، فكلامنا عن القرنين الثاني والثالث الهجريين، ومن عاش في هذين القرنين فهو من المتقدّمين، وعبارات التوثيق مثل: ثقة، لا بأس به.. كانت رائجة لديهم، وكتب ابن معين وابن حنبل وأبو حاتم وغيرهم مليئة بكلمة ثقة وأخواتها على حدّ تعبيرك، وإن كنت تقصد بالمتقدّمين عصر الصحابة فلا خلاف بيننا.

وحين ذكرت سابقا أنّ ثلاثة من كبار الأئمة المعاصرين للبخاري قد طعنوا به وتركوه أخذ الشيخ يميّز بين أنواع البدع فقال: (**هناك فرق بين بدعة**

---

(١) ميزان الذهبي، ج٢ ص٢١٧.

(٢) لسان الميزان، ج٢ ص١٠٥.

(٣) شرح علل الترمذي ج١ ص٣٨٨.

ناشئة عن اجتهاد علمي خاطئ وأخرى ناشئة عن ترويج لمرويّات كاذبة ـ فمن كانت بدعته ناشئة عن اجتهاد علمي خاطئ فشهادته مقبولة كبدعة البخاري إن صح وصف الذهلي له بأنّه مبتدع).

وسؤالي هو: هل خفي هذا التقسيم عن شيخ المحدّثين أبي حاتم؟ هل خفي تقسيمكم عن سيد الحفّاظ أبي زرعة؟ هل خفي هذا الأمر عن شيخ الإسلام الذهلي؟ وهذه أوصاف الذهبي لهم في كتابه (سير أعلام النبلاء). لا أتصوّر أنّ هذا الأمر خفي عليهم، لهذا ينبغي تقديم جرحهم خاصّة مع عدم وجود موثّق معاصر للبخاري، ولعلّ الشيخ يضيف هذا الأمر إلى تجديداته ويلغي صحيح البخاري وسائر ما روي عنه في كتبه؛ وإن قيل بخفاء هذا التقسيم الذي جاء به الشيخ عنهم فهو يدلّ على جهلهم وعليه ينبغي هجر أقوالهم الرجالية.

الصحابي أبو الطفيل والرجعة

قال الشيخ متولي: (**وأما عبدالله بن شريك فكان مختاريّا أي من أتباع مختار بن أبي عبيد الثقفي الذي قيل إنّه زعم أنّ جبريل ينزل عليه**)[1].

قيل، صيغة تمريض تحتاج إلى تثبيت وهي من تهم خصومه الزبيريّين،

---

(١) جرح الشيخ متولي عبد الله بن شريك لكونه مختاريا، فنقضت كلامه بأنّ الصحابي أبا الطفيل عامر بن وائلة كان مختاريا وقائد شرطة المختار وقال بالرجعة فهل سيردّ رواياته ويجرحه؟!

فهل حقّق الشيخ أمر المختار وثبتت هذه التهمة عليه؟! أم أنّه حلال أن نرميه بكلّ أنواع التهم ما دام في هذا نصر للسنة وردٌ على الشيعة بغضّ النظر عن حقيقته؟

إنّ غلوّ التشيّع والترفّض لا يؤثّر على قبول روايات الراوي ما دام صادقا، والجمهور رووا عن عديّ بن ثابت وعبّاد بن يعقوب وخالد بن مخلّد وغيرهم الكثير من غلاة الرافضة وقبلوا مرويّاتهم ووثّقوهم.

ثمّ ما يقول الشيخ في الصحابي الجليل أبي الطفيل عامر بن وائلة الذي كان قائد شرطة المختار وحامل رايته؟! هل ستضعّفه لعقيدته تلك ولقوله بالرجعة؟

فأجابني: (**وأما أبو الطفيل فليس شأنه كما تزعم لما يلي: فعامر بن واثلة أبو الطفيل مجهول إنّما وثّقه العجلي ولم يدركه، وكان مغيرة ينكر الرواية عنه ولا تصحّ دعوى صحبته ولا رؤيته إذ لا يصحّ إسنادها إلى أبي الطفيل لأنّه من طريق ابن سعد بصيغة أخبرت عن ثابت بن الوليد، فالراوي عن ثابت مجهول العين ومن طريق البخاري بصيغة قال أحمد حدّثنا ثابت والبخاري ـ كما قرّر ابن منده وابن حجر ـ يستخدم أحيانا صيغة: قال، فيما لم يسمع مباشرة من شيخه، فبين البخاري وبين من روى عنه مظنّة انقطاع، كما أنّ ثابتا مجهول لم يوثّقه إلاّ أبو حاتم ولم يدركه وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال ربما أخطأ ولم يدركه.**

ثمّ حتّى لو صحّ السند إلى أبي الطفيل فدعواه الصحبة كمّا تقرّر في

علم المصطلح لا تقبل منه لنفسه إلاّ بعد أن يثبت أنّه ثقة ولم يوثّقه إلاّ العجلي ولم يدركه؛ ومع ذلك قال عنه كان من كبار التابعين ولم يقل له صحبة. ففي الكامل في الضعفاء لابن عدي: حدّثنا ابن حماد حدثني صالح بن أحمد قال: ثنا علي قال: سمعت جرير بن عبد الحميد وقيل له كان مغيرة ينكر الرواية عن أبي الطفيل؟ قال نعم. وفي الثقات للعجلي: ثقة من كبار التابعين وقد رأى النبي صلعم. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد: أخبرت عن ثابت قال أخبرني أبي قال: قال لي أبو الطفيل: أدركت ثماني سنين من حياة رسول الله صلعم. وفي التاريخ الكبير للبخاري: قال أحمد حدّثنا ثابت قال حدّثني أبي قال: قال لي أبو الطفيل: أدركت ثماني سنين من حياة رسول الله صلعم. وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ثابت صالح الحديث. وفي الثقات لابن حبان: ثابت ربما أخطأ. ولا أدري من أين لك أنّ أبا الطفيل كان قائد شرطة المختار؟ ...مرة أخرى لا أدري أنّى لك أنّ أبا الطفيل كان مختاريا حاملا لراية المختار قائلا بالرجعة)؟

انطوى كلام الشيخ على إنكار صحبة أبي الطفيل ربما للتخلّص وبسهولة من كلّ لوازم القول بصحبته، وكذلك إنكاره كونه حامل راية المختار وأنّه يقول بالرجعة.

إثبات صحبة أبي الطفيل

لقد وثّق أبا الطفيل أحد معاصريه وهو مالك بن أنس بروايته عنه في موطّئه[1]. ومن يروي مالك عنه فهو ثقة.

---

(١) ج١ ص١٤٣.

جاء في (صحيح مسلم): (**حدّثنا بشر بن عمر، قال: سألت مالك بن أنس عن محمّد بن عبد الرحمن الذي يروي عن سعيد بن المسيّب فقال: ليس بثقةٍ، وسألته عن صالح مولى التوأمة فقال: ليس بثقة، وسألته عن أبي الحويرث فقال: ليس بثقة، وسألته عن شعبة الذي روى عنه ابن أبي ذئب فقال: ليس بثقةٍ، وسألته عن حرام بن عثمان فقال: ليس بثقة وسألت مالكاً عن هؤلاء الخمسة فقال: ليسوا بثقةٍ في حديثهم، وسألته عن رجل آخر نسيت اسمه فقال: هل رأيته في كتبي؟ قلت: لا، قال: لو كان ثقةً لرأيته في كتبي**)[1].

قال النووي: (**قوله (وسألته) يعني مالكاً (عن رجلٍ فقال لو كان ثقةً لرأيته في كتبي) هذا تصـريح من مالك (رحمه الله) بأنّ من أدخله في كتابه فهو ثقةٌ، فمن وجدناه في كتابه حكمنا بأنّه ثقةٌ عند مالك وقد لا يكون ثقةً عند غيره**)[2].

قال ابن حجر: (**فإنّ مالكاً لا يروي إلاّ عن ثقةٍ**)[3].

وقال الذهبي: (**عن ابن عيينة قال: كان مالك لا يبلّغ من الحديث إلاّ صحيحاً، ولا يحدّث إلاّ عن ثقة**)[4].

---

(١) ج١، ص٢٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، ج١، ص١٢٠.

(٣) تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٩١ و٣٩٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٧٣.

وبهذا تثبت وثاقة أبي الطفيل على منهجك الجديد وليس هناك من جارح له، فيصحّ الأخذ بقوله إنّه صحابيّ. وهذه شهادة بعض علماء الجمهور بصحبته للنبي ﷺ:

١. مسلم. قال: (**مات أبو الطفيل سنة مائة، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ**)[١].

٢. البخاري. روى قول أبي الطفيل: (**أدركت ثمان سنين من حياة النبيّ ﷺ**)[٢]. وروى رؤية أبي الطفيل له في (الأدب المفرد)[٣].

٣. أحمد بن حنبل، ذكر ابنه عبدالله عنه أنّ أبا الطفيل رأى رسول الله ﷺ[٤].

٤. يحيى بن معين، ذكر أبا الطفيل ضمن مجموعة ممن رووا عن النبي ﷺ[٥].

٥. ابن أبي حاتم، قال: (**أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين**)[٦].

٦. العجلي، قال فيه: (**عامر بن واثلة ولد عام أحد، ورأى النبي ﷺ**

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) التاريخ الصغير ج١ ص٢٨٥.

(٣) ص١٧١.

(٤) العلل ج٢ ص٣٧٤.

(٥) من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال (رواية طهمان)، ص٧٥.

(٦) الجرح والتعديل، ج٦ ص٣٢٨.

وهو آخر من مات من الصحابة)[١].

٧. الخطيب البغدادي، قال فيه: **(وهو آخر من توفّي من الصحابة)**[٢].

٨. ابن عساكر، قال: **(صاحب رسول الله ﷺ وآخر أصحابه موتا)**[٣].

٩. ابن عدي، قال: **(له صحبة، قد روى عن النبيّ ﷺ قريباً من عشرين حديثاً)**[٤].

١٠. ابن حبان، قال: **(أدرك ثمان سنين من حياة رسول الله ﷺ، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بمكة)**[٥].

١١. الذهبي، قال فيه: **(خاتم من رأى رسول الله ﷺ في الدنيا... واسم أبي الطفيل، عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو الليثي الكناني الحجازي الشيعي، كان من شيعة الإمام عليّ)**[٦].

١٢. ابن حجر، قال في رده كلام ابن حزم: **(وأبو الطفيل صحابيّ لا**

---

(١) معرفة الثقات، ج١ ص٩٧.

(٢) تاريخ بغداد، ج١ ص٢١١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج٢٦ ص١١٢.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٧١ ـ ٧٢.

(٥) الثقات، ج٣ ص٢٩١.

(٦) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٦٧ ـ ٤٧٠.

شكّ فيه ولا يؤثّر فيه قول أحد ولا سيّما بالعصبية والهوى)[١].

وقال في شرح صحيح البخاري: (**وهذا الإسناد من عوالي البخاري لأنّه يلتحق بالثلاثيات من حيث إنّ الراوي الثالث منه صحابي وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي آخر الصحابة موتا)**[٢].

بعد إيراد أدلّتي على صحبة أبي الطفيل، قال الشيخ: (**وأما توثيق مالك لأبي الطفيل فتوثيق بالسبر بلا دليل ولم يدركه إذ روى عنه بواسطة بينهما)**.

فقلت: قولك هذا عجيب! فأنت تشترط المعاصرة وهما معاصران لبعض، وما دليلك أنّ توثيقه له كان بالسبر؟ فلعلّه التقى به وسمع منه وثبتت وثاقته لديه لكنّه لم يرو عنه في موطّئه إلاّ حديثا بالواسطة ارتآه هو، وكيف لم يدركه وولادة مالك كانت سنة ٩٣هـ ووفاة أبي الطفيل سنة ١١٠هـ؟ وكلاهما من أهل المدينة؟

قوله بالرجعة

قال ابن قتيبة: (**أسماء الغالية من الرافضة: أبو الطفيل صاحب راية المختار، وكان آخر من رأى رسول الله ﷺ موتاً)**.

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٧١ ـ ٧٢.

(٢) فتح الباري -ج١ ص٢٢٥-حديث رقم ١٢٧، وقد ذكرت له ثلاثين قولا يثبت الصحبة لأبي الطفيل.

وقال: (**وكان مع المختار صاحب رايته، وكان يؤمن بالرجعة**)[١].

وقال ابن حزم: (...**أنّ أبا الطفيل صاحب راية المختار، وذكر أنّه كان يقول بالرجعة**) [٢].

وقد أكّد الذهبي عقيدة أبي الطفيل، فقال: (**مات بعد سنة مائة، وكان صاحب راية المختار، وكان يرمى بالرجعة ...**) [٣].

وممّن نسب لأبي الطفيل القول بالرجعة:

ــ ابن حجر، قال: (**قلت: كان ابن الزبير قد دعا محمّد بن الحنفية إلى بيعته فأبى فحصره في الشعب وأخافه هو ومن معه مدّة، فبلغ ذلك المختار بن أبي عبيد وهو على الكوفة فأرسل إليه جيشاً مع أبي عبدالله الجدلي إلى مكة فأخرجوا محمّد بن الحنفية من محبسه وكفّهم محمّد عن القتال في الحرم، فمن هنا أخذوا على أبي عبدالله الجدلي وعلى أبي الطفيل أيضا لأنّه كان في ذلك الجيش، ولا يقدح ذلك فيهما إن شاء الله تعالى**) [٤].

ـ أبو إسحاق الشيرازي، قال: (**كان صاحب راية المختار وكان يرمى بالرجعة**).

---

(١) المعارف، ص٣٤٠ و٣٤١.

(٢) المحلّى، ج٣، ص١٧٤.

(٣) معجم الشيوخ الكبير، ج٢ -ص ٨.

(٤) تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٣٣.

ـ ابن أبي الوفاء، نقل كلام أبي إسحاق الشيرازي دون طعن منه فيه[١].

ـ ابن الملقن، قال: (**بأنّ المختار أظهر أوّلا في خروجه القيام بثأر الحسين فكان معه من كان، وما كان يقوله من غير هذا فلعلّه لم يطّلع عليه أبو الطفيل ولا علمه...**)[٢].

ـ المغلطاي، ذكر أنّ أبا الطفيل كان حامل راية المختار دون طعن فيه بل قال هذا لا يضرّه، قال: (**أما ما أعلّه به أبو محمّد بن حزم فليس بعلّة؛ لأنّ أبا عبدالله الجدلي معروف بالثقة والعدالة، فممّن وثّقه الإمام أحمد وابن معين والبستي، ولم أر فيه طعنا لمتقدّم، وكونه كان حاملا راية المختار لا ضرر عليه فيه؛ لأنّه قد ذكر مثل ذلك عن أبي الطفيل ولم يضرّه أيضا**)[٣].

ـ أبو الفرج الإصفهاني، قال: (**ثمّ خرج طالبا بدم الحسين بن عليّ عليهما السلام، مع المختار بن أبي عبيد، وكان معه حتّى قتل**)[٤]

ـ لم ينكر الشوكاني ذلك وإنّما أخذ يدافع عن أبي الطفيل، قال: (**وابن حزم وقال: إنّه معنعن بيزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل، ولا يعرف له عنه رواية. وقال أيضا: إنّ أبا الطفيل مقدوح لأنّه كان حامل راية المختار**

---

(١) طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء ج١ -ص ٤٢٦.

(٢) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقن الشافعي المصري ج٣ -ص ٣٩.

(٣) شرح سنن ابن ماجه، الإعلام بسنته ﷺ، ج١ ص٦٤٣.

(٤) الأغاني، ج١٥ ص١٠١.

وهو يؤمن بالرجعة، وأجيب عن ذلك بأنّه إنّما خرج مع المختار على قاتلي الحسين، وبأنّه لم يعلم من المختار الإيمان بالرجعة) [١].

ـ المؤرخ الزركلي، قال: **(ثمّ خرج على بني أمية مع المختار الثقفي، مطالبا بدم الحسين)** [٢].

نخلص إلى أنّ العديد من الفطاحل ذكروا حمل أبي الطفيل لراية المختار وقوله بالرجعة.

فيبقى الإشكال قائما: هل سيترك الشيخ هذا الصحابي المختاري حامل راية المختار القائل بالرجعة ويطعن به كما طعن بابن شريك؟!

الرجعة

من عقائد الإمامية القول برجعة من محض الإيمان محضا ومن محض الكفر محضا إلى دار الدنيا، ولن أستعرض أدلّتها القرآنية والحديثية، فهذه يمكن الرجوع لها بسهولة في عصر المعلومة.

ولكنّي سأذكر بعض الأدلّة التي قلّما يتعرّض لها أحد، ليعلم الناس أنّ ما يشنّع به خصوم الشيعة عليهم مذكور في كتبهم.

قال السفاريني الحنبلي: **(في الحديث: «لا تحشر أمّتي حتّى يخرج المهدي يمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج إليه الأبدال من الشام والنجباء من**

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ج٣ ص٢٦٢.

(٢) الأعلام، ج٣ ص٢٥٦.

مصر وعصائب أهل الشرق حتّى يأتوا مكّة فيبايع له بين الركن والمقام ثمّ يتوجّه إلى الشام وجبريل على مقدّمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتدّ الأنهار وتضعف الأرض أكلها...) [1].

وقال السيوطي: **(أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أصحاب الكهف أعوان المهدي)**[2].

وقال القرطبي: **(اختلف في أصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا، أو هم نيام وأجسادهم محفوظة، فروي عن ابن عباس أنّه مرّ بالشام في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله، فمشى الناس معه إليه فوجدوا عظاما فقالوا: هذه عظام أهل الكهف. فقال لهم ابن عباس: أولئك قوم فنوا وعدموا منذ مدّة طويلة، فسمعه راهب فقال: ما كنت أحسب أنّ أحدا من العرب يعرف هذا، فقيل له: هذا ابن عمّ نبيّنا ﷺ. وروت فرقة أنّ النبي ﷺ قال: " ليحجّنّ عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنّهم لم يحجّوا بع[3] ". ذكره ابن عطية.**

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ج٢ ص٨٢ – ٨٣.

(٢) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤ ص٢١٥ وذكره العيني في عمدة القاري، ج١٦ ص٤٩.

(٣) هكذا ورد في النسخ، والصواب: بعد.

قلت: ومكتوب في التوراة والإنجيل أنّ عيسى بن مريم عبدالله ورسوله، وأنّه يمرّ بالروحاء حاجّا أو معتمرا أو يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرّون حجّاجا فإنّهم لم يحجّوا ولم يموتوا. وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب "التذكرة". فعلى هذا هم نيام ولم يموتوا إلى يوم القيامة، بل يموتون قبيل الساعة)[١].

وقال ابن الجوزي: (**روى الليث بن سعد، عن عطاف بن خالد، قال: يحجّ عيسى بن مريم إذا نزل في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف، فإنّهم لم يموتوا ولم يحجّوا**)[٢].

فهذه أقوال مجموعة من الأعلام في رجوع أهل الكهف وأنّهم أعوان المهدي عليه السلام.

وقد زعم السيوطي رؤيته للنبي صلى الله عليه وآله في اليقظة، وألّف رسالة في ذلك هي:

(إمكان رؤية النبي والملك في اليقظة) وادّعى السيوطي رؤيته للنبي صلى الله عليه وآله بضعا وسبعين مرّة كلّها في اليقظة، وهذا أشبه بالرجعة التي يقول بها الإمامية.

وحين تكلّم محمّد بن علي الصبان عن طرق معرفة عيسى عليه السلام الأحكام الإسلامية بعد ظهوره قال: (**ومنها ـ أي الطرق ـ أنّ عيسى إذا نزل**

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٣٨٨.

(٢) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي، ص١٦٤.

يجتمع به ﷺ فلا مانع من أن يأخذ عنه ما يحتاج إليه من أحكام شريعته)[1].

وصنّف الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا كتاباً مستقلاً بعنوان: (من عاش بعد الموت) وهو مطبوع، وقد أورد فيه قصصا كثيرة لآناس رجعوا بعد مماتهم.

وكان بعض الأعلام من الشافعية يعتقد بأنّ عليّاً عليه السلام رفع إلى السماء وسيرجع.

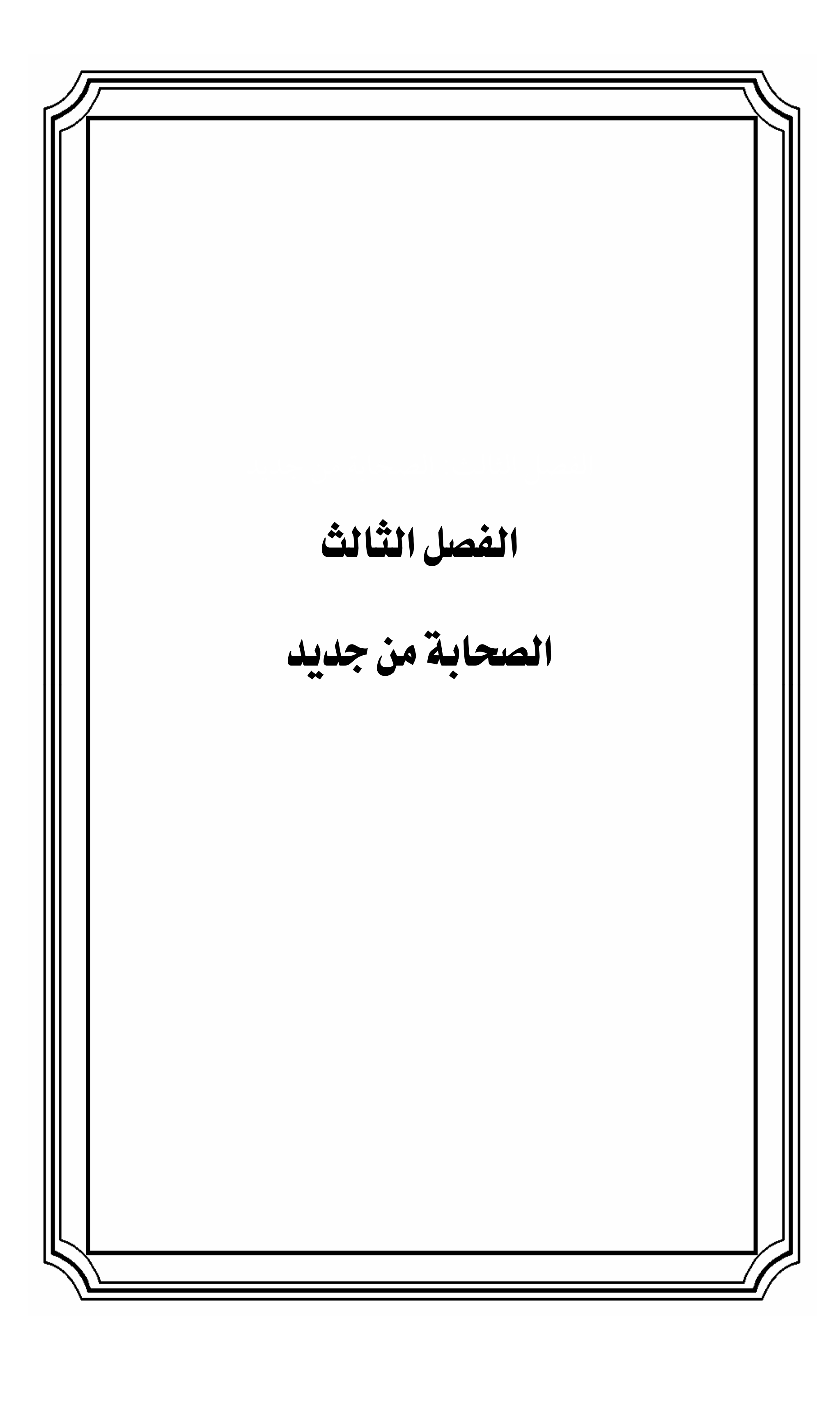
قال الشيخ محمّد نووي الشافعي في كتاب (نور الظلام): **(وعن سيّدي علي وفا أنّ علي بن أبي طالب رفع إلى السماء كما رفع عيسى، وسينزل كما سينزل عيسى)**[2].

وفي طبعة دار الحاوي للكتاب تمّ حذف كلام نووي الشافعي.

---

(١) إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ص١٦١.

(٢) نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام، ص٣٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٥هـ ـ ١٣٣٦ م. الطبعة الثانية.



الفصل الثالث

الصحابة من جديد

ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة

هذا الموضوع من أكثر المواضيع التي تُثار بين الفينة والأخرى، وهو ناتج عن إساءة فهم للنظرية الشيعية حول الصحابة، وقد يكون الأمر متعمداً لصدّ الناس عن الحقّ. سأبيّن هنا وجهة نظر الشيعة الإمامية وهي مأخوذة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. سنبيّن المقصود بالرِدَّة وقضايا أخرى مرتبطة بالموضوع.

روى الشيخ الكليني: (**عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الناس أهل رِدَّة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلاّ ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثمّ عرف أناسٌ بعدَ يسير. وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا، حتّى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرَهاً فبايع، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا محمّد إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهّ شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ﴾**)[1].

---

(١) روضة الكافي: ٢١٣-٢١٤.

وروى أيضا عن حمران بن أعين قال: (قلت لأبي جعفرعليه السلام: جعلت فداك ما أقلّنا! لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك؟ المهاجرون والأنصار ذهبوا إلاّ ـ وأشار بيده ـ ثلاثة. قال حمران: فقلت: جعلت فداك، ما حال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبا اليقظان، بايع وقُتل شهيداً، فقلت في نفسي: ما شيء أفضل من الشهادة. فنظر إليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة؟ أيهات، أيهات)[1].

وروي: (عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو جعفرعليه السلام: ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر، والمقداد قال: فقلت: فعمّار؟ فقال: قد كان جاض جيضة، ثمّ رجع ثمّ قال: إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد، فأمّا سلمان فإنّه عرض في قلبه عارض، أنّ عند ذا يعني أمير المؤمنينعليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا، فلبّب ووجئت في عنقه حتّى تركت كالسلعة، ومرّ به أمير المؤمنينعليه السلام فقال: يا أبا عبدالله هذا من ذاك بايع، فبايع، وأمّا أبوذر فأمره أمير المؤمنينعليه السلام بالسكوت ولم يكن تأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلاّ أن يتكلّم فمرّ به عثمان فأمر به، ثمّ أناب الناس بعد فكان أوّل من أناب أبو ساسان الأنصاري وأبو عمرة وفلان حتّى عقد سبعة، ولم يكن يعرف حقّ

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٤٤.

أمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ هؤلاء السبعة)[١].

عرض ومقارنة

إنّ العبارات الواردة في هذه الروايات كقول الإمام: (**كان الناس أهل ردّة بعد النبي صلى الله عليه وآله**)، (**ارتدّ الناس إلاّ ثلاثة نفر**) هذه العبارات لها شبيه في مصادر أهل السنّة، ومنها ما قاله ابن هشام: (**قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم: أنّ أكثر أهل مكة لما توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله همّوا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك**) [٢].

وجاء في القرآن الكريم بشأن أهل مكة قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[٣] أي استحقّوا العذاب [٤].

وروى البيهقي: (**قبض رسول الله فارتدّت العرب واشْرَأبّ النفاق بالمدينة**)[٥].

وقد ذكر البخاري ومسلم حديث الحوض وأنّه يؤخذ بالصحابة إلى النار، فينادي رسول الله (**فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما**

---

(١) الاختصاص، للشيخ المفيد، ص١٠.

(٢) سيرة ابن هشام، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية، ج٥ ص٣٠٠.

(٣) سورة يس، ٧.

(٤) هذا صريح القرآن أنّ أكثر أهل مكة استحقوا العذاب.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي، ج٨ ص٢٠٠.

أحدثوا بعدك) [١].

وفي صحيح البخاري: **(فأقول أصحابي أصحابي فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم)**. وفي رواية: **(قلت ما شأنهم قال: إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم)** [٢].

قال ابن حجر في تفسير **"**همل النعم**"**: **(قوله: ‹فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النعم› يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يَرِدُونه فصدّوا عنه، والهمل بفتحتين الإبل بلا راع، وقال الخطابي: الهمل ما لا يرعى ولا يستعمل، ويطلق على الضوال والمعنى أنّه لا يَرِده منهم إلاّ القليل لأنّ الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره)** [٣].

معنى الارتداد

"ارتدّ الناس...**"** قد يرتدّ المرء عن الإسلام وقد يرتدّ بمعنى يرجع عن العمل ببعض الواجبات أو الأركان، لأنّ أصل الارتداد هو الرجوع.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (ﷺ) وصفاته.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج٤ ص١١٠.

(٣) فتح الباري ج١١ ص٤١٤.

أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٢].

قال الطبري بعد أن ذكر معنيين للآية: (**وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أنّ معنى قوله يرتدّ إليك يرجع إليك البصر**)[٣].

فيكون معنى ارتدّ الناس أي رجع الناس، والمعنى أنّهم رجعوا عن بيعة الإمام عليّ عليه السلام، والذي يدلّ على ذلك ما رواه الشيخ الكليني: (**عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الناس أهل ردّة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلاّ ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم، ثمّ عرَف أناسٌ بعدَ يسير. وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا، حتّى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرَهاً فبايع، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا محمّد إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾**)[٤].

---

(١) سورة يوسف: ٩٦.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٩ ص٢٠٠.

(٤) الكافي ج٨ ص٢٤٥.

وممّا يؤكّد هذا الرأي ما رواه الكشيّ بسند معتبر: **(عن أبي بصير، عن أبي جعفرعليه السلام قال: «جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى عليّعليه السلام فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين وأنت والله أحقّ الناس وأولاهم بالنبيعليه السلام هلمّ يدك نبايعك فوالله لنموتنّ قدّامك! فقال عليّعليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غدا عليّ محلقين فحلق عليّعليه السلام وحلق سلمان وحلق مقداد وحلق أبو ذر ولم يحلق غيرهم؛ ثمّ انصرفوا فجاؤوا مرّة أخرى بعد ذلك، فقالوا له أنت والله أمير المؤمنين وأنت أحقّ الناس وأولاهم بالنبيّعليه السلام، هلمّ يدك نبايعك، فحلفوا فقال :إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ محلقين، فما حلق إلاّ هؤلاء الثلاثة قلت: فما كان فيهم عمّار؟ فقال: لا؛ قلت: فعمّار من أهل الردّة؟ فقال: إنّ عمّارا قد قاتل مع عليّعليه السلام بعد ذلك)** [1].

فالردّة في الأحاديث لا تعني الرجوع عن الإسلام وإنّما عن بيعة خاصّة لأمير المؤمنينعليه السلام، وهكذا فسّرها العلماء.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: **(واجتمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين، ولكنّهم لم يخرجوهم بذلك عن حكم ملَّة الإسلام، إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملَّة، ولم يكفروا كفر ردّة عن الشرع مع إقامتهم على الجملة منه وإظهار الشهادتين. وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الإيمان ...)** [2].

---

(١) رجال الكشي للشيخ الطوسي، ج١ ص٣٩.

(٢) الجمل، ص٣٠.

وقال الشيخ محمّد حسن المظفر: (**معنى الارتداد؛ والظاهر أنّ له معنيين: حقيقيا: وهو الانقلاب عن الدين بمخالفة بعض أصوله؛ كالشهادتين عند الجميع، والإمامة عند الإمامية. ومجازيا: وهو مخالفة بعض أحكام الدين المهمّة**)[1].

قال الإمام الخميني: (**والظاهر عدم إرادة ارتداد جميع الناس؛ سواء كانوا حاضرين في بلد الوحي أو لا. ويحتمل أن يكون المراد من "ارتداد الناس" نكث عهد الولاية ولو ظاهراً وتقيّة، لا الارتداد عن الإسلام، وهو أقرب**) [2].

قال السيد الگلپايگاني: (**إن قلت: فما تصنع بما قاله الإمام أبو جعفر**عليه السلام**: ارتدّ الناس بعد رسول الله إلاّ ثلاثة نفر سلمان وأبوذر والمقداد. نقول: إنّ هذا الارتداد ليس هو الارتداد المصطلح الموجب للكفر والنجاسة والقتل، بل الارتداد هنا هو نكث عهد الولاية، ونوع رجوع عن مشي الرسول الأعظم، وعدم رعاية وصاياه، ولو كان المراد منه هو الارتداد الاصطلاحي لكان الإمام**عليه السلام** ـ بعد أن تقلّد القدرة وتسلّط على الأمور ـ يضع فيهم السيف ويبدّدهم ويقتلهم من أوّلهم إلى آخرهم خصوصا بلحاظ أنّ توبة المرتدّ الفطري لا تمنع قتله ولا ترفعه بل يقتل وإن تاب**)[3].

---

(١) دلائل الصدق لنهج الحق، ج٥ ص٨٠.

(٢) كتاب الطهارة، ج٣ ص٤٤٦.

(٣) نتائج الأفكار للسيد الگلپايگاني (الوفاة: ١٤١٤هـ)، ص١٩٦.

لقد فسّر بعض علماء أهل السنّة أحاديث ارتداد الصحابة، بما لا يخرجهم عن الإسلام وهو ما يتوافق مع تفسير الإمامية، فقد نقل الحافظ ابن حجر عبارة عن الإمام البيضاوي في توجيه معنى الارتداد ما نصه: (**ليس قوله «مرتدّين» نصا في كونهم ارتدّوا عن الإسلام، بل يحتمل ذلك، ويحتمل أن يراد أنّهم عصاة المؤمنين المرتدّون عن الاستقامة يبدّلون الأعمال الصالحة بالسيئة**)[١].

وقال ابن الجوزي نقلا عن الخطابي: (**ليس معنى الارتداد الرجوع عن الدين، إنّما هو التأخّر عن بعض الحقوق اللازمة، والتقصير فيها**)[٢].

وجاء في نهاية ابن الأثير ولسان ابن منظور: (**وفي حديث القيامة والحوض: «فيقال: إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أدبارهم القهقرى»: أي متخلِّفين عن بعض الواجبات، ولم يُرِد ردَّة الكفر...**)[٣].

وقد جعل النبي ﷺ اقتتال الصحابة نوعا من الكفر، فقد روى البخاري: (**عن جرير أنّ النبيﷺ قال له في حجّة الوداع استنصت الناس فقال: لا ترجعوا بعدي كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض**)[٤].

---

(١) فتح الباري، ج١١ ص٣٣٤.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج٢ ص٣٥٦ – ٣٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢١٤، لسان العرب ٣/ ١٧٣.

(٤) صحيح البخاري، ج١ ص٣٨، صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب تسمية العبد الآبق كافرا.

كيف يَرتدّ الآلاف من الصحابة؟

إنّ الباحث المنصف يخضع للنصوص بغضّ النظر عمّا إذا قبل عقله هذا الأمر أو لا، فالنصوص حول مرجعية أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم واضحة لكلّ ذي لب، ويعضد ارتداد القوم أحاديث الحوض حيث يذاد الصحابة عن الحوض ويساقون إلى النار ولا يخلص منهم إلاّ القليل[١].

ويمكن نقض هذا السؤال بالقول: كيف ارتدّ الألاف من أصحاب موسى وعبدوا العجل بالرغم من وجود هارون النبي عليه السلام بينهم؟!

كيف يتراجع الآلاف من المسلمين ويهربون في غزوة حنين ويتركون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين سيوف المشركين ولا يبقى منهم إلاّ القليل؟

كيف يترك الآلاف من الصحابة والتابعين خليفتهم عثمان بن عفان محاصرا ولا يدافعون عنه وينقذوه؟!

من الارتدادات التي حصلت في التاريخ ارتداد أهل الكوفة أي رجوعهم عن بيعة مسلم بن عقيل رضوان الله عليه سفير الحسين عليه السلام، حيث إنّ أهل الكوفة قد كاتبوا الحسين عليه السلام لأجل القدوم عليهم ونصرته، وكان عدد من بايع مسلم بن عقيل اثني عشر ألفا[٢]، ومع ذلك تخلّوا عنه، بل حاربه بعض الذين راسلوه.

---

(١) راجع (قراءة في الأدلة السلفية) حيث بحثتُ الموضوع بإسهاب في الفصل الثاني منه، ص١٢٩ ـ ١٧٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٤ ص٢٥٧.

فالعقل يحكم بإمكان هذا الخذلان من قبل الآلاف من الصحابة وغيرهم لأسباب قد نجهلها، ربما خوفا من السلطان أو طمعا في المال أو كرها وحسدا..[1].

الصحابة في كتب الشيعة

كتب إليّ أحدهم يسأل: (**وجدت أنّ كتب الشيعة فيها روايات كثيرة جدّا عن فضل الصحابة، وقسم منها في نهج البلاغة، وهذا موافق لما جاء في كتبنا، فهذا يدلّ على أنّ نظريّتنا هي الصحيحة**).

الجواب: من ينكر فضل الصحابة؟ أولئك الذين بذلوا مهجم في سبيل الله واستشهدوا في بدر وأحد وسائر المعارك، رضي الله عن المؤمنين منهم وعلى الذين ثبتوا ولم يبدّلوا تبديلا.

جاء في (تاريخ الإسلام) للذهبي: (**وقال سعيد بن جبير: كان مع عليٍّ يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممّن شهدوا بيعة الرضوان... وقال المطلب بن زياد، عن السدي: شهد مع عليّ يوم الجمل مائة وثلاثون بدريّاً وسبعمائة من أصحاب النبيﷺ، وقتل بينهما ثلاثون ألفاً، لم تكن**

---

(١) قال عليّ عليه السلام: (كلّ حقد حقدته قريش على رسول الله (ﷺ) أظهرته فِيَّ وستظهره في ولْدي من بعدي، ما لي ولقريش! إنّما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين؟!) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢٠، ص٣٢٨.

مقتلة أعظم منها)[١].

قال السيد علي خان المدني الشيرازي: **(اعلم أنّ كثيرا من الصحابة رجع إلى أمير المؤمنين «ع» وظهر له الحقّ بعد أن عانده، وتزلزل بعضهم في خلافة أبى بكر وبعضهم في خلافته «ع»، وليس إلى استقصائهم جميعا سبيل وقد اتّفقت نقلة الأخبار على أنّ أكثر الصحابة كانوا معه «ع» في حروبه...)** [٢].

إنّ الروايات المادحة للصحابة في كتب الإمامية لا تخلو من إحدى هذه الاحتمالات:

١ـ أن تكون ناظرة للصحابة المؤمنين الذين لم يغيّروا ويبدّلوا كما في قول عليّ بن الحسين عليه السلام: **(اللّهم وأصحاب محمّد خاصّة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته واستجابوا له ...)** [٣].

٢ـ أن تذكر الروايات آحاد الصحابة باسمه وتثني عليه، كقول الإمام علي عليه السلام: **(أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة.**

---

(١) ج٣ ص٤٨٤.

(٢) مقدمة الدرجات الرفيعة، ص٣٩.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء الرابع.

(قال) ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثمّ قالعليه السلام: **أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنّة وأماتوا البدعة. دُعوا للجهاد فأجابوا، ووُثقوا بالقائد فاتّبعوه)** [١].

٣ـ أن تكون الروايات موجودة في بعض كتب الإمامية ولكنّها منقولة عن كتب الجمهور، مثل ما ذكره الإربلّي في كتابه (كشف الغمّة) عن الصادق عليه السلام: **(ولقد ولدني أبو بكر مرّتين)** [٢] وقد نقله الإربلّي عن الحافظ عبد العزيز الجنابذي، وهو من أعلام مدرسة الجمهور [٣]. فالنصّ لم يُروَ من طرق الإمامية.

ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في نهج البلاغة: (**لله بلاء فلان فقد قوّم الأود وداوى العمد. خلف الفتنة وأقام السنّة. ذهب نقيّ الثوب، قليل العيب. أصاب خيرها وسبق شرّها. أدّى إلى الله طاعته واتّقاه بحقّه. رحل وتركهم في طرق متشعبّة لا يهتدي فيها الضالّ ولا يستيقن المهتدي**) [٤].

فكتاب نهج البلاغة بلا أسانيد، وصاحب النهج قد نقل مادة كتابه عن الكتب المتقدّمة، فنهج البلاغة حاله حال سائر الكتب لابد أن يراجع الإنسان

---

(١) نهج البلاغة، ج٢ ص١٠٩.

(٢) كشف الغمة، ج٢ ص٣٧٤.

(٣) راجع ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٢ ص٣١.

(٤) نهج البلاغة، ج٢ ص٢٢٢.

مصادر الخطب والأقوال التي فيه[(١)]، وحين نرجع إلى ما في أيدينا من مصادر نجد هذه الخطبة مذكورة في تاريخ الطبري على لسان أعرابية فصيحة تُدعى ابنة أبي حتمة، فقد ذكرها الطبري تحت عنوان: (**من ندب عمر ورثاه ...**)[(٢)].

٤ـ أن تكون الروايات موجودة في بعض كتب الإمامية بغرض الردّ عليها، كما هو حال كتاب (الشافي) للمرتضى رحمه الله، فهو يورد احتجاجات عبد الجبّار المعتزلي بما فيها من روايات في فضل بعض الصحابة ليردّ عليها، ومن الغريب احتجاج البعض بها لمجرّد ذكر المرتضى لها.

٥ـ أن تكون هذه الروايات ذكرت وفيها التورية وأمثال هذا النوع كثير في أحاديثهم عليهم السلام.

والحال أنّ القرآن الكريم هو من قسّم الصحابة إلى أصناف متعدّدة، فهناك المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهناك مرضى القلوب والمنافقون، وهناك من خلط عملا صالحا بآخر سيّء.

المنافقون من الصحابة

كان بعض المسلمين في مكّة مرضى القلوب، وقد قسّم القرآن الكريم المجتمع المكّي إلى أصناف، قال عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلاّ**

---

(١) لعلّ أفضل من كتب في جمع مصادره وأسانيده عبد الزهراء الخطيب في كتابه (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) في أربعة أجزاء.

(٢) راجع تاريخ الطبري، ج٣ ص٢٨٥.

مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلاّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّ هُوَ وَمَا هِيَ إلاّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[1].

ففي المجتمع المكّي: الكافرون وأهل الكتاب والمؤمنون والذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون كما هو عند المفسّرين[2].

لقد حذّر الله كثيرا من المنافقين في القرآن الكريم، ونزلت آيات كثيرة بشأنهم، وهناك سورة خاصّة تكشف حالهم ومؤامراتهم تُعرف بسورة المنافقين، وقد ذهب الباحث إبراهيم علي سالم المصري إلى أنّ عشر القرآن نزل في المنافقين[3].

من الآيات الكريمة بشأن المنافقين قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْـزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إلى مَا أَنْـزَلَ الله وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا**

---

(١) المدّثر، ٣١.

(٢) راجع مثلا: تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٧٣.

(٣) في كتابه : النفاق والمنافقون.

قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثمّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِالله إِنْ أَرَدْنَا إِلاّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إلى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهل الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِالله وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ الله لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

ذكر ابن سعد أنّ بعض الصحابة أشاروا مرّة على النبيﷺ بقتل عبدالله بن أُبَيّ، فقالﷺ: **(فلعمري، لنحسننّ صحبته ما دام بين أظهرنا)**[٥].

وأخرج البخاري: **(حدّثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبدالله**

---

(١) النساء، ٦٠ و٦١.

(٢) التوبة، ٦٧ و٦٨.

(٣) الحشر، ١١.

(٤) التوبة، ٦١.

(٥) طبقات ابن سعد، ج٢ ص٥٦.

رضي الله عنهما قال كنّا في غزاة قال سفيان مرّة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال ما بال دعوى جاهلية قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال دعوها فإنّها منتنة فسمع بذلك عبدالله بن أبيّ فقال فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ فبلغ النبيﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبيﷺ: دعه لا يتحدّث الناس أنّ محمّدا يقتل أصحابه) (ﷺ[1].

يقول النووي: (**ولم يقتل ـ النبي ـ المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر، ولأنّهم كانوا معدودين في أصحابه)**[2].

وفي صحيح مسلم: (**عن النبيﷺ قال: قال النبيﷺ: في أصحابي اثنا عشر منافقا فيهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة)**[3].

وعن أبي مسعود قال: (**خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّ فيكم منافقين فمن سمّيت فليقم. ثمّ قال قم يا فلان قم يا**

---

(١) صحيح البخاري، ج٦ ص٦٥ – ٦٦، وصحيح مسلم.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦ ص١٣٩.

(٣) صحيح مسلم، ج٨ ص١٢٢.

فلان قم يا فلان حتّى سمّى ستة وثلاثين رجلا)[١].

أخرج البخاري: **(عن زيد ابن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبيﷺ إلى أُحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحاب النبيﷺ فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزلت: فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا، وقال إنّها طيبة تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة)**[٢].

قال ابن حجر: **(وقوله رجع ناس هم عبدالله بن أبي وأصحابه وكانوا ثلث الناس والفريق الذين قالوا أقتلهم المهاجرون)**[٣].

وفي المستدرك للحاكم النيسابوري وصحّحه **(ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت عليا رضي الله عنه قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: من الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار قال منافقو قريش قال: فمن الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا قال: منهم أهل حروراء)**[٤].

فمن هم منافقو قريش الذين أشار إليهم عليّ عليه السلام **؟!**

---

(١) مسند أحمد، ج٥ ص٢٧٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ج٥ ص٣١.

(٣) مقدمة فتح الباري، ص٣٠٩.

(٤) ج٢ ص٣٥٢.

نلاحظ في النصوص السابقة أنّ النبيﷺ أخبر أنّ في أصحابه اثني عشر منافقا، ثمّ سمّى ٣٦ منافقا من أصحابه، ورجوع ثلث الجيش في غزوة أُحد كما شرحه ابن حجر، يعني رجوع حوالي ٣٠٠ منافقا مع ابن أُبيّ، حيث تركوا النبيﷺ وحده عرضة للخطر، وهؤلاء كانوا صحابة كما نقلنا عن النووي.

لقد طالبت في أكثر من موقع حواري أسماء هؤلاء المنافقين الذين سمّاهم النبيﷺ، أو الذين تخلفوا عن النبيﷺ في أُحد وكانوا ٣٠٠ فلم أجد جوابا.

ثمّ طالبت بأسماء هؤلاء الستة وثلاثين الذين سمّاهم النبيﷺ ولم يستطع أحد ذكرهم!

الإشكال الذي يرد: أنّ أهل السنّة قالوا بعدالة الصحابة جميعا وجعلوهم نقلة للسنّة دون تمحيص لحالهم ودون بحث في عدالتهم وضبطهم، ولو سلّمنا بتعديل الله لهم، فكيف يطمئن المرء إلى خلوّ الأسانيد من هؤلاء المنافقين مع عدم معرفتنا لهم؟!

فلعلّ بعض هؤلاء المنافقين كذبوا على رسول الله بعد وفاته، ولا وحي يكشفهم، فوصلت أحاديثهم المكذوبة إلى التابعين ونقلوها عنهم لحسن ظنّهم بصحابة النبيﷺ، هذا احتمال كبير وممكن جدّا خاصة أنّ من صفات المنافق

أنّه: (**إذا حدَّث كذب**)[1]. وقال الله فيهم: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كلّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾[2].

أخرج البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: (**إنّ المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبيﷺ كانوا يومئذ يسرّون واليوم يجهرون**)[3].

وعن عائشة أنّه لما توفّي النبي: (**اشرأبّ النفاق بالمدينة، وارتدّت العرب**)[4].

بالرغم من أنّ المنافقين كانوا يجهرون بعد وفاة النبيﷺ واشرأبّ النفاق، إلاّ أنّ التاريخ لا يذكر لنا مثالا واحداً لما فعله هؤلاء بعد النبيﷺ؟!

فما هو سبب التغطية على أفعالهم، ولماذا كان المحدّثون يكتمون أسماءهم في كتبهم الحديثية؟[5]

مع العلم أنّ هناك منافقين لا يعلمهم إلاّ الله، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، حديث الإفك، ج٣ ص١٦٢.

(٢) المنافقون، ٤.

(٣) صحيح البخاري ج٨ ص١٠٠.

(٤) المصنف، ج٨ ص٥٧٤.

(٥) فكتب السنن حافلة بعبارات فلان وفلان ورجل ... وهذا تحريف متعمّد لأسمائهم.

الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾(١).

فمع وجود خطر المنافقين على الأحاديث النبوية وعلى الدِّين لا شكّ لدى العقلاء أنّ الشارع المقدّس جعل علامات لتمييز هؤلاء عن غيرهم، لتجنّبهم والحذر منهم، ولا أجد فيما يحضرني أفضل من النصّ النبوي الصحيح: (**عن زرّ قال: قال عليٌّ: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأُمّي ﷺ إليّ: أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق**)(٢).

لهذا يرى الإمامية ضرورة بحث أحوال الصحابة كحال سائر الرواة الآخرين، لتمييز الثقة من غيره والعادل من الفاسق والصادق من المنافق.

ويح عمّار

طالبني أحدهم بنصّ قطعيّ يدين معاوية، حيث إنّ الأمر خطير ولا يستطيع هو الحكم بضلالة شخص إلاّ بدليل قطعي الصدور.

إنّ الأحاديث المختلفة التي جاءت تدين معاوية وتحذّر منه وتدعو لقتله ... تفيد التواتر المعنويّ على الأقلّ.

ونكتفي هنا بحديث واحد قطعيّ، روى البخاري: (**ويح عمّار تقتله**

---

(١) التوبة، ١٠١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، ج١ ص٦١.

الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)[١].

قال ابن حجر: (**حديث أنّه ﷺ قال لعمّار تقتله الفئة الباغية وهو خبر مشهور مسلّم من حديث أبي قتادة وأبي سعيد الخدري وأمّ سلمة. وأصل حديث أبي سعيد عند البخاري إلاّ أنّه لم يذكر مقصود الترجمة كما نبّه على ذلك الحميدي ووهم من زعم أنه ذكره، وقد أخرجه الإسماعيلي والبركاني من الوجه الذي أخرجه منه البخاري فذكرها وأخرجه الترمذي من حديث خزيمة بن ثابت والطبراني من حديث عمر وعثمان وعمّار وحذيفة وأبي أيوب وزناد وعمرو بن حزم ومعاوية وعبدالله بن عمرو وأبي رافع ومولاة لعمّار بن ياسر وغيرهم. وقال ابن عبد البرّ تواترت الأخبار بذلك وهو من أصحّ الحديث. وقال بن دحية لا مطعن في صحّته ولو كان غير صحيح لردّه معاوية وأنكره)**[٢].

وممّن قال بتواتره محمّد بن إسماعيل الأمير اليماني الصنعاني في (الروضة الندية)، قال بعد ذكر بعض أحاديث وأخبار قتال أمير المؤمنين مع الناكثين والقاسطين والمارقين: (**تنبيه ـ قلت: اشتملت هذه القصص على معجزات نبويّة وكرامات علويّة وأخلاق عند الله مرضيّة ... ومن المعجزات في قتاله القاسطين ما تواتر عند أئمة النقل من أنّ عمّارا يقتله الفئة الباغية وأنّه**

---

(١) صحيح البخاري، ج٣ ص٢٠٧.

(٢) تلخيص الحبير، ج٤ ص٤٣.

يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار. وهذا الحديث متواتر متّفق عليه بين الطوائف حتّى أنّ رأس الفئة الباغية ورئيسها معاوية بن أبي سفيان مقرّ به، فإنّه تأوّله بالتأويل الباطل ولم ينكره، بل قال: قتله من جاء به، فألزم بأنّ رسول الله ﷺ هو القاتل لحمزة. وهذا الحديث من أعلام النبوّة)[١].

وقال: (**وقال ابن عبد البر تواترت الأخبار بذلك وهو من أصحّ الحديث وقال ابن دحية لا مطعن في صحته ...**) [٢].

وقال بتواتره الشيخ حسن المالكي، قال: (**لكن الشاهد هنا أنّ الحكم على الطائفة الشامية بالفسق والظلم من المهاجرين والأنصار يتّفق مع الحديث المتواتر «تقتل عمّارا الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النار»**) [٣].

إنّ فهم الحديث المذكور لا يحتاج إلى عناء كبير، فالنبي ﷺ يذكر حقيقة ستقع وهي قتل عمار من قبل الفئة الباغية وهي تدعو إلى النار!

والفئة الباغية التي تدعو إلى النار هم معاوية وجيشه، ولا يجوز أن نقول إنّهم جيشه ونستثني معاوية، فهو القائد والموجّه ومنه تصدر الأوامر ولولاه لما كان ذاك الجيش أصلا ولا جاء إلى صفين، واستثناء معاوية لا يقول به عاقل،

---

(١) الروضة الندية شرح التحفة العلوية، لابن الأمير الصنعاني، ص١٢٦.

(٢) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، ج٢ ص٢٥٧.

(٣) الصحبة والصحابة، ص٧٢.

فإذا كان معاوية من الدعاة إلى النار فهو لا شكّ من أهلها لأنّ الذي يدعو إلى النار ليس له مكان في الجنّة.

"يا لثارات الحسين"

قد يظنّ المرء لأوّل وهله أنّ هذا الشعار من اختراعات الشيعة المتأخّرين، ولكن التاريخ يثبت أنّ أحد صحابة النبي العدول الأجلّاء هو صاحب هذا الشعار.

كان سليمان بن صرد الخزاعي (ت ٦٥هـ) من سكنة الكوفة والتقى بالنبيﷺ، وخرج للمطالبة بدم الحسينعليه السلام بعد شهادته في كربلاء[١].

وهذا الصحابي عادل احتجّ به البخاري ومسلم في صحيحهما، له في صحيح البخاري: سبعة أحاديث وفي صحيح مسلم: أربعة أحاديث. كان سليمان من كبار شيوخ الشيعة في زمانه.

قال الذهبي: (**وقد كان سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة الفزاري وهما من شيعة عليّ ومن كبار أصحابه، خرجا في ربيع الآخر يطلبون بدم الحسين بظاهر الكوفة في أربعة آلاف، ونادوا: "يا لثارات الحسين"**)[٢].

---

(١) راجع: أسد الغابة لابن الأثير، ج٢ ص٣٥١، الاستيعاب لابن عبد البر، ج٢ ص٦٤٩، الإصابة لابن حجر، ج٣ ص١٤٤.

(٢) تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٦.

ورد في أنساب الأشراف للبلاذري: (**ولما انتهى سليمان وأصحابه إلى قبر الحسين، صرخوا صرخة واحدة، وبكوا، وقال سليمان: اللهمّ ارحم الشهيد ابن الشهيد. ونادوا: يا لثارات الحسين**)[١].

فهذا صحابي عادل يزور قبر الحسين عليه السلام ويبكيه ويرفع شعار يا لثارات الحسين، وهو نفس شعار الشيعة الذي يردّدونه.

قال ابن حبّان: (**فلما خرج المختار لَحِقَ سليمان به فقتل مع المختار بن أبي عبيد بعين الوردة في رمضان سنة سبع وستين**)[٢].

وقال البخاري: (**قتل مع المختار بالكوفة في آخر شعبان أو شهر رمضان سنة سبع وستين**)[٣].

وعلى كلام ابن حبّان والبخاري، فإنّ سليمان مختاريٌّ، وهذا يعني غُلوّه في التشيّع وترفّضه، وقد يكون من القائلين بالرجعة حاله حال المختار الثقفي وحال الصحابي الجليل عامر بن وائلة أحد قادة جيش المختار وهو من القائلين بالرجعة[٤].

قال السيد الخوئي في ترجمته: (**سليمان بن صرد: هو من التابعين**

---

(١) أنساب الأشراف، ج٦، ص٣٧٠.

(٢) مشاهير علماء الأمصار، ص٨١.

(٣) التعديل والتجريح لابن أيوب الباجي، ج٣، ص١٢٥٣.

(٤) وقد ذكر ابن قتيبة أبا الطفيل عامر بن وائلة في كتابه (المعارف) وعدّه من الرافضة الغالية القائلين بالرجعة.

الكبار، ورؤسائهم، وزهّادهم، حكاه الكشي عن الفضل بن شاذان في ذيل ترجمة صعصعة بن صوحان... أقول: لا ينبغي الإشكال في جلالة سليمان بن صرد، وعظمته، لشهادة الفضل بن شاذان بذلك، وأمّا تخلّفه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وقعة الجمل، فهو ثابت، ولعلّ ذلك كان لعذر أو بأمر من أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنّ ما روي عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم، عن أبي عبدالله سيف بن عمر، عن إسماعيل بن أبي عمرة، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، من عتاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعذله سليمان بن صرد في قعوده عن نصرته بعد رجوعه (عليه السلام) من حرب الجمل، لا يمكن تصديقه لأنّ عدة من رواته لم تثبت وثاقتهم، على أنّه لم يثبت كون هذا الكتاب عن نصر بن مزاحم، بطريق معتبر، فلعلّ القصّة مكذوبة عليه كما احتمله الشيخ ـ قدس سره ـ)[1].

ثروة الخلفاء الأوائل وغفلة الأتباع

علّمونا في المدارس والمساجد أنّ الخلفاء خاصّة الشيخين كانا مثاليْ الزهد والإعراض عن الدنيا، فماتا ولم يملكا درهما ولا دينارا! ولكن الحقيقة المخبّأة في جوف التاريخ غير ذلك. رأيت مقطع فيديو للدكتور عدنان إبراهيم وهو ينافح عن زهد الشيخين وعدم استفادتهما شيئا من الخلافة، رادّاً على الإمامية حسب فهمي.

---

(١) معجم رجال الحديث، ج٩، ص٢٨٣ – ٢٨٤.

ليس طرحي لهذه المعلومات لأجل التشنيع وإثارة الفتن بقدر ما هو إظهار الحقيقة العلمية، وسأكتفي بمثال واحد يتعلّق بثروة الخليفة الثاني.

قال ابن حجر: (**وقد أنكر نافع مولى ابن عُمر أن يكون على عُمر دينٌ، فروى عمر بن شبة في كتاب المدينة بإسناد صحيح أنّ نافعا قال من أين يكون على عُمر دينٌ وقد باع رجل من ورثته ميراثه بمائة ألف**)[1].

ترك عُمر ستّة من الذكور وستّا من الإناث، وكانت ورثة أحدهم ١٠٠ ألف درهما فضّيا أو دينارا ذهبيّا حسب العملة المتداولة في ذاك الوقت، فكم تكون ثروة أولاده كلّهم وزوجاته؟**!**

على افتراض أنّه يعني الذهب في النصّ المذكور، تكون ثروته التي تركها بصورة تقريبيّة ـ ما يعادل ٢٥٨ مليون دولاراً فقط لا غير**!** وعلى افتراض أنّه الدرهم تكون ثروته ما يعادل ٤٠ مليون و٦٠٠ ألف دولار فقط لا غير**!** وهذا دون حساب الزوجات.

ومن حقّ الباحث أن يسأل عن مصدر هذه الأموال ومن أين اكتسبها، خاصّة إذا عرفنا أنّه لم يكن من أهل الثروة قبل استلامه الخلافة؟

حاول ابن حجر الترقيع كعادته، فقال: (**وهذا لا ينفي أن يكون عند موته عليه دين فقد يكون الشخص كثير المال ولا يستلزم نفي الدين عنه**

---

(١) فتح الباري، ج٧ ص٥٣.

فلعلّ نافعا أنكر أن يكون دينه لم يقض)[1].

ومن الواضح أنّ كلامه لم يجب على لُبّ الإشكال الذي يحمله النصّ الذي صحّحه بنفسه، وكلامه مبنيّ على الظنّ ليس إلاّ[2].

كيف يمكن أن نتعبّد الله باللعن

كتب إليّ أحدهم سؤالا عن اللعن يطلب منّي الجواب عليه.

قال: **(لن أناقش أيّ حقيقة تاريخية لأنّ أغلب أحداث ظلم أهل البيت حدثت بالفعل ولا نشكّ أنّها تدمي القلب ولن ندافع عن أعداء أهل البيت بحرف ولكن من بضع أيّام وددت أن أقرأ دعاء زيارة سيدنا الحسين**

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) كتب إليّ أحدهم معترضا: **رحم الله شيخنا الفاروق وأبا بكر الصديق ورضي الله عنهم... لا تدعي الحقّ ولا تنبشه فكفى شرفا بهما أنّهم دفنوا بجنب أطهر الخلق وسيّد المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، وفي زمانهما انتشر الإسلام انتشارا واسعا ففتحت القدس وفارس وغيرهما الكثير وماذا عن البقية؟**

ـ فقلت في جوابه: من حقّ كل إمرئ ينتمي لهذه الأمّة نبش التاريخ والبحث فيه، وكلامك يدينك، فبأيّ حق دُفنا هناك؟! وهل زعامتهما تمنحهما حقّ الدفن في أرض ليست لهما؟ بأيّ دليل؟

ـ قال: **الحقّ للسيدة عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فسمحت لهما وبارك الله فيهما إلى يوم الدين.**

ـ وأين ذهبت المقولة المشهورة: إنّ الأنبياء لا يورّثون؟! فهل كان البيت ملكا لها؟!

ووجدت أنّه يحتوي على لعن يجب أن يكرّر ١٠٠ مرة! حقيقةً لم أستطع أن أكمل القراءة ولا أعتقد أنّ أحد الأئمة الاثني عشر يمارس اللعن).

اللعن لغة: هو الطرد والإبعاد من الخير[١].

وهو الدعاء على الرجل بالبعد[٢].

قال ابن الأثير: (**وأصل اللعن الطرد والإبعاد من الله**)[٣].

اللعن ثقافة قرآنية

يرجع سبب نفور الناس من اللعن وشجبه بسبب الثقافة المغلوطة المستقاة من البيئة، كما أنّ البعض يخلط بينه وبين السبّ والشتم.

إنّ الذي يراجع القرآن الكريم وهو الكتاب الذي ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ يُلاحظ أنّ القرآن استعمل اللعن واشتقاقاته أكثر من ٢٩ مرة.

حيث ورد في القرآن (**لعن الله**): مرتين. و(لعنة) ١١ مرة. و(**لعنهم الله**): ٥ مرات. و(**ولعنهم**): مرتين. و(**اللعنة**): ٣ مرات ...

من آيات اللعن قوله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[٤].

---

(١) الصحاح للجوهري، ج٦ ص٢١٩٦.

(٢) الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري، ص٤٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث، ج٤ ص٢٥٥.

(٤) المائدة ٧٨.

والآية الكريمة فيها دلالة واضحة على لعن عيسى وداودعليهما السلام لبني إسرائيل، فلو كان هذا اللعن شرّاً لما فعلاه ولما أقرّهما الله على فعله، ولا يجوز القول لماذا لم يستغفرا لهم أو يدعوا لهم بالهداية، فبعد قيام الحجّة عليهم والنصيحة لهم، حيث لم يبق لهم عذر، يُعدّ الاستغفار لهم سذاجة وخلافا للحكمة.

أخرج أحمد: (**عن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتْهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم ـ قال يزيد أحسبه قال وأسواقهم ـ وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم**)[1].

وقال تعالى: ﴿**إِنّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا**﴾[2].

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3].

قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إلاّ قَلِيلًا**﴾[4].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ

---

(١) مسند أحمد، ج١ ص٣٩١.

(٢) الأحزاب ٦٤.

(٣) البقرة ٨٨.

(٤) النساء ٤٦.

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[(١)].

قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾**[(٢)].

قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾**[(٣)].

وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا﴾**[(٤)].

ولعن الله المنافقين فقال عزّ وجلّ: **﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾**[(٥)].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[(٦)].

قال تعالى: **﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ**

---

(١) المائدة ١٣.

(٢) المائدة ٦٠.

(٣) النساء ٥٢.

(٤) النساء ٤٧.

(٥) التوبة ٦٨.

(٦) محمد ٢٣.

أَجْمَعِينَ﴾[(١)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[(٢)].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخرةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[(٤)].

وفي هذه الآية الأخيرة، تجويز من الله لعن الناس لأولئك الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات.

هذه بعض آيات اللعن في القرآن الكريم، وهناك غيرها لا يتّسع المجال لذكرها، فلو كان اللعن منفّراً وصاحبه ذا خلق سيّء، فلماذا يستخدمه الله في قرآنه ويدعو الناس ويشجّعهم على ممارسته؟! ولماذا لم يستبدله الله بالاستغفار والدعوة لهم بالهداية؟

---

(١) آل عمران ٨٧.

(٢) الأحزاب ٥٧.

(٣) النور ٢٣.

(٤) البقرة، ١٥٩.

ومن هذا يتّضح أنّ اللعن لغة قرآنية استعملها الله وأنبياؤه والمؤمنون، ولا شكّ أنّ هذا اللعن يكرّس البراءة من أفعال أهل الشرك والكفر والفسوق من بعد ما تبيّن لهم الحقّ.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنهار خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ ألا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

اللعن على لسان الرسول

من يراجع كتب الحديث يُلاحظ كثرة ورود لفظ اللعن على لسان النبيﷺ، وهذا يدلّ على جواز هذا الأمر، ومن أمثلة ذلك قولهﷺ:

- **(لعن الله اليهود اتخذوا...)**[٢].
- **(لعن الله اليهود حرمت...)**[٣].
- **(لعن الله الواشمات...)**[٤].

---

(١) سورة المجادلة، آية ٢٢.

(٢) البخاري، ج١ ص١١٠.

(٣) ن. م. ج٤ ص١٤٥.

(٤) ن. م. ج٦ ص٥٨.

ـ (لعن الله الواصلة ...) [١].

ـ (لعن الله السارق ...) [٢].

ـ (عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [٣].

وفي رواية: **(ومن تولّى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)** [٤].

ـ (لعن الله من لعن والده ...) [٥].

ـ أنّ النبي ﷺ مرّ عليه حمار قد وسم في وجهه فقال: **(لعن الله الذي وسمه)** [٦].

ـ (عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله تعالى عنه أنّ رجلا قال يا رسول الله، العن أهل اليمن فإنّهم شديد بأسهم كثيرة عددهم حصينة حصونهم فقال رسول الله ﷺ: لا، ثمّ لعن رسول الله ﷺ الأعجمين فارس

---

(١) ن. م. ج٧ ص٦٢.

(٢) ن. م. ج٨ ص١٥.

(٣) ن. م. ج٢ ص٢٢٠.

(٤) ن. م. ج٢ ص٢٢١.

(٥) صحيح مسلم، ج٦ ص٨٤.

(٦) ن. م. ج٦ ص١٦٣.

والروم وقال رسول الله ﷺ إذا مرّوا بكم يعني أهل اليمن يسوقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم فإنّهم منّي وأنا منهم) [1].

ـ قال الطبراني: **(وبإسناده عن سمرة قال: كان النبيﷺ إذا لعن المشركين في الصلاة يبدأ بقريش ثمّ يتبعهم بعد ذلك قبائل كثيرة من العرب فقيل له مرة العن كفار قريش فجعل النبيﷺ يقول إذا أراد أن يلعن قبيلة اللّهم العن كفار قريش بني فلان)** [2].

ـ أخرج الطبراني: **(... عن النبيﷺ أنّه قال اللّهم العن رجلا سمّاه!! واجعل قلبه قلب سوء واملأ جوفه رضف جهنم)** [3].

ـ ابن عمر: **(أنّ رسول الله ﷺ لعن من اتّخذ شيئا ...)** [4].

ـ وفي حديث عند الحاكم وصححه: **(... ثمّ قال أمرني ربّى أن ألعن قريشا مرّتين فلعنتهم وأمرني أن أصلّي عليهم فصلّيت عليهم مرّتين مرّتين ثمّ قال: لعن الله تميم ابن مرّة خمسا وبكر بن وائل سبعا ولعن الله قبيلتين من قبائل بنى تميم مقاعس وملادس...)** [5].

كان رسول الله ﷺ يذكر أسماء بعض الظالمين في قنوته ويدعو عليهم،

---

(١) الآحاد والمثاني للضحّاك، ج٤ ص٢٦٥.

(٢) المعجم الكبير، ج٧ ص٢٦٠.

(٣) مسند الشاميين، ج٢ ص٤٣٢.

(٤) صحيح مسلم، ج٦ ص٧٣.

(٥) المستدرك، ج٤ ص٨١.

ولكن حُذفت هذه الأسماء!!

روى البخاري: **(حدّثني سالم عن أبيه أنّه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللّهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده)** [١].

(وقال ابن عمر دعا النبي ﷺ في الصلاة اللّهم العن فلانا وفلانا...)[٢].

وروى أحمد: **(عن عروة بن الزبير أنّ عائشة قالت إنّ أمداد العرب كثروا على رسول الله ﷺ حتّى غمّوه وقام إليه المهاجرون يفرجون عنه حتّى قام على عتبة عائشة فرهقوه فأسلم رداءه في أيدهم ووثب على العتبة فدخل وقال: اللّهم العنهم...)** [٣].

ولكن المدرسة الأمويّة افترت وجعلت لعن النبي ﷺ زكاة للشخص الملعون، كي تحفظ كرامة رجالها بعد أن أخفت أسماءهم في الروايات!

اللعن على لسان الصحابة

١. **ابن عباس:**

جاء في السنن الكبرى للبيهقي: **(عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن**

---

(١) صحيح البخاري، ج٥ ص٣٥.

(٢) ن. م. ج٧ ص١٦٤.

(٣) مسند أحمد، ج٦ ص١٠٧.

عباس بعرفة فقال يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبّون؟ فقلت يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال لبيك اللّهم لبيك وان رغم أنف معاوية اللّهم العنهم فقد تركوا السنّة من بغض عليٍّ رضي الله عنه) [1].

(عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو لهب عليه لعنة الله...) [2].

٢. عمر بن الخطاب:

روى البيهقي: **(عن عبيد بن عمير أنّ عمر رضي الله عنه قنت بعد الركوع فقال اللّهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألّف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوّك وعدوّهم اللّهم العن كفرة أهل الكتاب...)** [3].

٣. ابن عمر:

قال ابن عمر: **(لعن الله من فعل هذا ...)** [4].

اللعن عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

١. عليٌّ عليه السلام:

---

(١) ج٥ ص١١٣.

(٢) صحيح البخاري، ج٢ ص١٠٨.

(٣) السنن الكبرى، ج٢ ص٢١٠ – ٢١١.

(٤) صحيح مسلم، ج٦ ص٧٣.

قال ابن كثير: (**فذكر أبو مخنف عن أبي جناب الكلبي أنّ عليّاً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا الأعور السلمي، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والوليد بن عقبة ...**)[1].

قال ابن كثير بعد ايراده ما سبق: (**ولا يصحّ هذا والله أعلم**) ولم يقدّم دليلا على كلامه.

وقد ذكر لعن الإمام عليّ عليه السلام في قنوته للمذكورين الفضل بن شاذان نقلا عن كتب العامّة وهو متوفّى سنة (٢٦٠هـ)[2].

روى ابن أبي شيبة: (... **عبد الرحمن بن معقل قال: صلّيت مع عليّ صلاة الغداة، قال: فقنت فقال في قنوته: اللّهم عليك بمعاوية وأشياعه، وعمرو بن العاص وأشياعه، وأبا السلمي وأشياعه، وعبدالله بن قيس وأشياعه**)[3].

لقد استبعد السائل لعن الأئمّة لظالميهم، والحقّ أنّه كثير في كلامهم، لا يسعنا جمعه هنا، وأكتفي بمثالين:

٢. **جعفر الصادق عليه السلام:**

روى الكليني (...**عن أبي عبدالله ـ الصادق ـ** (عليه السلام) **قال: لعن الله**

---

(١) البداية والنهاية، ج٧ ص٣١٤ – ٣١٥.

(٢) في كتابه الإيضاح ص٢٣٤.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة، ج٢ ص٢١٦.

القدريّة، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة...) [١].

وروى: (**محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن الخيبري، عن الحسين بن ثوير، وأبي سلمة السراج قالا: سمعنا أبا عبدالله (عليه السلام) وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة ...)** [٢].

إنّ اللعن في أقوال الأئمة عليهم السلام كثير، وهم بذلك موافقون لرسول الله وللقرآن الذي لا يفترقون عنه.

قال الغزالي: (**والصفات المقتضية للعن ثلاثة، الكفر، والبدعة، والفسق)** [٣].

الفرق بين اللعن والسبّ

لا نجد في القرآن الكريم ذكرا للسبّ إلاّ مرّة واحدة وقد ورد ذكره في سياق النهي عنه، على عكس اللعن الذي أقرّه الله في قرآنه.

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا**﴾ [٤].

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٠٩.

(٢) الكافي ج٣ ص٣٤٢.

(٣) إحياء علوم الدين، ج٩ ص١٧.

(٤) الأنعام، ١٠٨.

فاللعن جائز لمن استحق اللعن، والسب أو الشتم منهي عنه، وجاء عن أهل البيتعليهم السلام ما يؤيد النهي.

قال عليعليه السلام: **(وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيّام حربهم بصفين إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم. اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتّى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به)** [1].

اللعن وفلسفته

اللعن والتبري من الأعداء مسلك عقلائي، يعمل به البشر بجميع أطيافهم وتوجهاتهم، وهو شجب واستنكار وإدانة، ولعلّ أبرز منظمة دوليّة تستخدم هذه الكلمات هي الأمم المتحدة.

أذكر أنّ أحد العلماء ضرب مثالا على التبرّي وخلاصته هو موقف الأوروبيين الحادّ من هتلر ومعاقبة من يمجّده، وهم يفعلون هذا حتّى لا يعيد أحد أفكاره، فتطفو على السطح وتنمو من جديد! ولعلّ تقصير المسلمين وعدم تبرّيهم من الظالمين أدّى إلى انتشار ثقافة العنف وقطع الرؤوس.

إنّ الشيعة منذ القدم قد تفطّنوا لعمق هذه المسألة وأخذوا ذلك عن

---

(١) نهج البلاغة، ج٢ ص١٨٥ - ١٨٦. المعيار والموازنة، لأبي جعفر الإسكافي (ت٢٢٠هـ)، ص١٣٧.

الأئمّة عليهم السلام، فهم في أدبيّاتهم يتبرّؤون من أعداء محمّد وآل محمّد كلّ يوم، لهذا امتاز نهجهم بمقاطعة الظالمين من حكّام وولاة، والتبرّي منهم، فدفعوا ثمنا لذلك الكثير من أرواحهم وممتلكاتهم عبر التاريخ.

وهم إذ يلعنون ظالمي محمّد وآله خاصّة قتلة الحسين عليه السلام، فإنّما يؤكّدون منهج البراءة من أعداء الله ورسوله، كي تبقى هذه المفردة حيّة في أذهانهم، فلا يركنوا للظالمين في حياتهم اليومية.

قال أبو بكر الخلّال (ت ٣١١ هـ): **(وقد ذكر عن ابن سيرين وغيره أنّهم كانوا يقولون: "﴿ ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. [هود: ١٨] إذا ذكر لهم مثل الحجّاج وضربه" ... ونقول: لعن الله من قتل الحسين بن علي...)**[١].

وضع الأمويّين للأحاديث

مما لا شكّ فيه أنّ العديد من القضايا التاريخية خفيت علينا نتيجة إهمال المؤرخين والمحدثين لها وبسبب ضياع الكتب والأصول القديمة، وقد نقل المؤرخ ابن أبي الحديد عن خمسين كتابا قديما لم تصل إلينا، وبعض ما نقله يوضح الصورة جلية عما كان قد حصل في فترة ما، وابن أبي الحديد ليس شيعيّا بل هو من المدافعين عن الصحابة وله ردود على الإمامية، نقل هذا المؤرخ وثيقة ينبغي الاهتمام بها لمعرفة الكيفية التي وضعت فيها الأحاديث، وما جرى على أتباع أهل البيت عليهم السلام من تنكيل، ودون فهم الأسباب لن يفهم

---

(١) السنة، ج٣ ص٥٢١.

الإنسان الواقع الذي يعيشه.

قال ابن أبي الحديد: (روى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدائني (١٣٥ هـ ـ ٢٥٥هـ) في كتاب (الأحداث) قال: كتب معاوية نسخةً واحدةً إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب ـ عليّ عليه السلام ـ وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كورةٍ وعلى كلّ منبرٍ يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارفٌ لأنّه كان منهم أيام عليّ عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حجرٍ ومدرٍ وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمّل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرّفهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق إلاّ يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة وكتب إليهم: «انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجلٍ منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته». ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصرٍ وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلةً

أو منقبةً إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه، فلبثوا بذلك حيناً. ثمّ كتب إلى عمّاله:

إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجهٍ وناحيةٍ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبراً يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقضٍ له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقُرِئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن وحتّى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه.

وشفّع ذلك بنسخةٍ أخرى: من اتّهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة، حتّى أنّ الرجل من شيعة عليّ عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه

الأيمان الغليظة ليكتمنّ عليه. فظهر حديثٌ كثيرٌ موضوعٌ وبهتانٌ منتشرٌ، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليةً القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علِموا أنّها باطلة لما رووها ولا تديّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّعليه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلاّ وهو خائفٌ على دمه أو طريدٌ في الأرض. ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسينعليه السلام وولي عبد الملك بن مروان فاشتدّ على الشيعة وولّى عليهم الحجّاج بن يوسف فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض عليٍّ وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأكثروا من الغضّ من عليّعليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له حتّى أنّ إنسانا وقف للحجّاج ـ ويقال إنّه جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيها الأمير، إنّ أهلي عقّوني فسمّوني علياً وإنّي فقيرٌ بائسٌ وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجّاج وقال: للطف ما توسلّت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين

وأعلامهم ـ في تأريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى أميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[١].

قواعد البحث التاريخي

ترك لنا أهل التاريخ كمّية هائلة من النصوص والأحداث فيها الصحيح والمكذوب، ولا ينبغي معالجتها وفق منهج نقد السندي الحديثي، ولكن هناك قواعد للبحث استخلصتها من خلال دراستي وتدريسي للتاريخ، وبعضها مذكور في الكتب، وهي:

ـ إلاّ يكون الخبر مخالفا للقرآن ولما ثبت تواتره في السنّة.

ـ إلاّ يكون الخبر مخالفا لبديهيّات العقل.

ـ إلاّ يحتوي سند الخبر على متّهم بالكذب والوضع.

ـ لا يُرفض الخبر لمجرّد الضعف السندي أو الإرسال.

ـ يثبت الخبر من خلال شيوعه وانتشاره في المصادر القديمة، بأن يشير إليه أكثر من مؤرخ.

ـ تتمّ دراسة الخبر أحيانا بالطريقة البوليسية بتجميع أوصاله المبعثرة في الكتب، والاعتماد على الشواهد والقرائن لإثباته.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٤٤ ـ ٤٦.

كذبوا على عليّ عليه السلام

مِن أكثر الصحابة الذين كُذب عليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

جاء في ميزان الاعتدال للذهبي: (**عن الشعبي قال: ما كذب على أحد من هذه الأمّة ما كُذب على عليّ رضي الله عنه. وقال أيوب: كان ابن سيرين يرى أنّ عامّة ما يروى عن عليّ باطل**)[1].

من تلك الأكاذيب: (**والله لا يأتي أحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدَّ المفتري ثمانين جلدة؛ لأنّه كذّاب على الله، وعلى رسوله، وعلى المؤمنين**)[2].

واحتجّ به ابن تيمية كثيرا في كتبه[3] كما أنّ السلفيين يحتجّون بهذا القول المكذوب كثيرا، وهذا النصّ مكذوب على عليّ عليه السلام، وهو من وضع الأمويّين، وجعلوا السائل هو ابن الحنفية لتكون أبلغ في الحجّة على خصومهم.

إنّ الباحث يجد هناك مجموعة من الصحابة والتابعين كانوا يفضّلون عليّا عليه السلام على الشيخين ولم يحدّثنا التاريخ أنّه جلدهم. مما يدلّ على كذب ما نسبوه له عليه السلام، ومن يفضّل علياً على الشيخين فهو رافضيّ عند المحدثين.

قال ابن أبي الحديد: (**والقول بالتفضيل قول قديم، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمار، والمقداد، وأبو ذر، وسلمان، وجابر**

---

(١) ج١ص ٤٣٦.

(٢) السنّة لابن أبي عاصم، ص٥٦١.

(٣) راجع: الفتاوى الكبرى، ج١ص٧١ وج٣ص٤٩٠. مجموعة الفتاوى، ج٤ ص٤٢٢.

بن عبدالله، وأُبَيّ بن كعب، وحذيفة، وبريدة، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو الهيثمّ بن التيهان، وخزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وبنو هاشم كافّة، وبنو المطلب كافّة)[١].

وقال أبو بكر الباقلّاني: (**والقول بتفضيل عليّ رضوان الله عنه مشهور عند كثير من الصحابة، كالذي يروي عن عبدالله بن عباس، وحذيفة بن اليمان، وعمار، وجابر بن عبدالله، وأبي الهيثمّ بن التيهان، وغيرهم)**[٢].

وقال ابن حزم (ت٤٥٦هـ): (**اختلف المسلمون فيمن هو أفضل بعد الأنبياء عليهم السلام فذهب بعض أهل السنّة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أنّ أفضل الأمّة بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وقد روينا هذا القول نصّاً عن بعض الصحابة رضى الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء)**[٣].

وجاء في الاستيعاب لابن عبد البرّ (**... وروي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبى سعيد الخدري وزيد بن الأرقم أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوّل من أسلم وفضّله هؤلاء على غيره)**[٤].

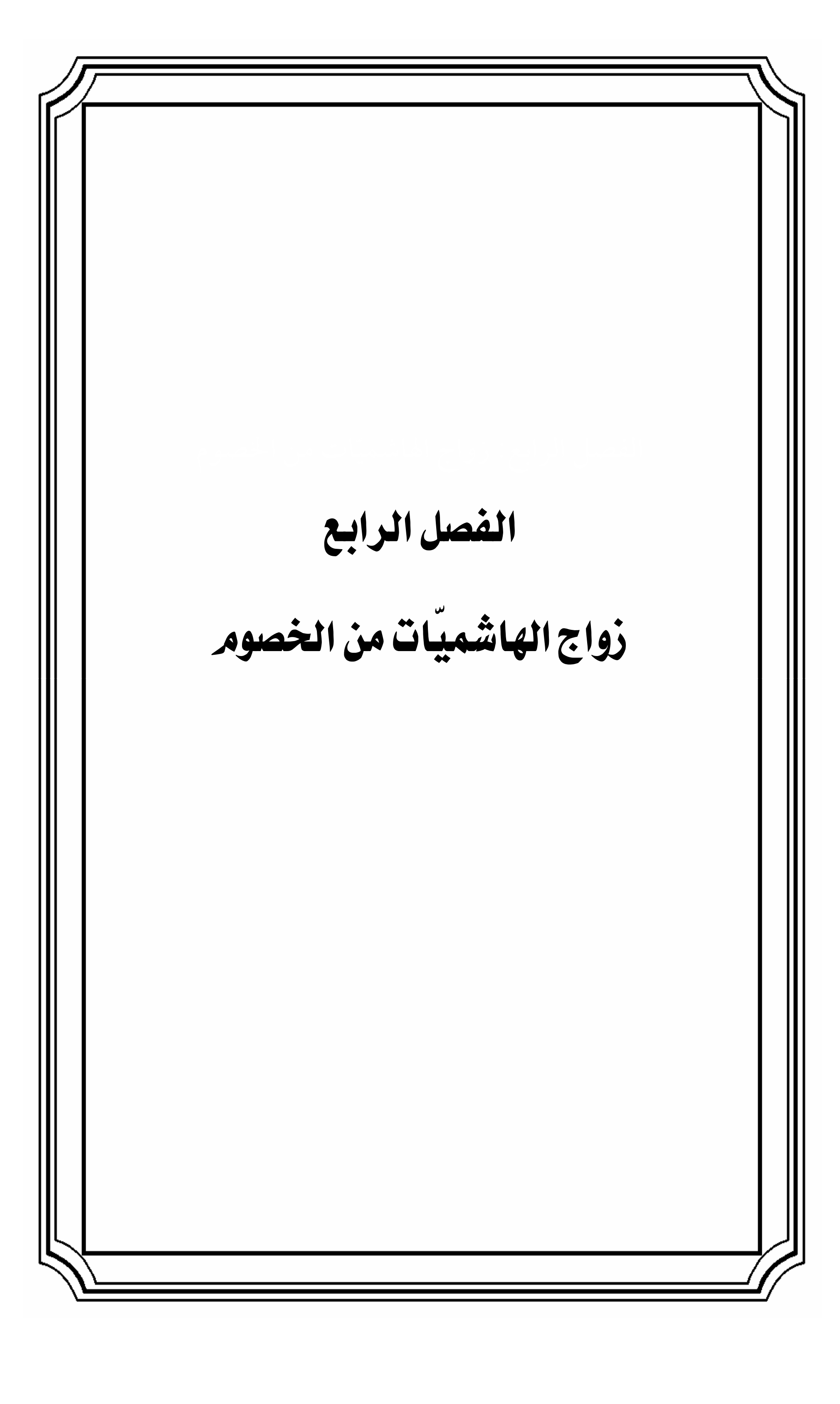
---

(١) شرح النهج ج٢٠ ص٢٢١.

(٢) مناقب الأئمة الأربعة، أبو بكر الباقلاني، باب الكلام في التفضيل، ص٢٩٤.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤ ص١٨١.

(٤) ج٣ ص١٠٩.



الفصل الرابع

زواج الهاشميّات من الخصوم

مزاعم زواج الهاشميّات من الخصوم

يحتجّ الكثيرون على حسن العلاقة بين البيت العلويّ وخصومهم من الأمويّين والزبيريّين بالمصاهرات التي يزعمون أنّها كانت بينهم، والحقّ أنّ أكثر هذه الزيجات وردت من طريق الخصوم ونقلها مبغضو أهل البيت عليهم السلام أمثال الزبير بن بكّار، فلا حجّة فيها، وهذا بيان مختصر حول الموضوع.

ادعاء زواج أم كلثوم من عمر

وهو كثير ما يكرّره السلفيّون في حواراتهم، وهذا الزواج لم يثبت لدى المخالفين بسند صحيح، وما احتجّوا به على الإمامية من ورود رواية بذلك صحيحة السند، لا يعني وقوع هذا الزواج، فهي رواية ظنية الثبوت لا تفيد عِلماً، وكم من رواية صحَّ سندها عند الفريقين ولم يعملوا بها، وكم من رواية ضعيفة السند، معمول بها!

(نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أولاد علي وجعفر عليهما السلام فقال: " بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا) [1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، ج٣ ص٣٩٣.

فهذا تقرير من النبي بخصوص أولاد عليّ وجعفر عليهما السلام، وحاشا لعليّ أن يخالف رسول الله فيما قرّره، وقد ورد عن عليّ عليه السلام قوله: (**إنّما حبست بناتي على بني جعفر**)[1].

قال شيخ المفيد وهو لسان الطائفة عبر العصور: (**إنّ الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر غير ثابت، وطريقه من الزبير بن بكار، ولم يكن موثوقا به في النقل، وكان متّهما فيما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، وغير مأمون فيما يدّعيه على بني هاشم وإنما نشر الحديث إثبات أبي محمّد الحسن بن يحيى صاحب النسب ذلك في كتابه، فظنّ كثير من الناس أنّه حقّ، لرواية رجل علويّ له، وهو إنّما رواه عن الزبير بن بكّار**)[2].

إنّنا لو افترضنا صحَّة ذاك الزواج اعتمادا على رواية الكافي، فينبغي أخذ كلّ الرواية وليس جزءا منها، وفي الرواية إدانة للخليفة عمر كما لا يخفى.

روى الشيخ الكليني: (**عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي تَزْوِيجِ أُمِّ كُلْثُومٍ فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ فَرْجٌ غُصِبْنَاه.**

محمّد بْنُ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام قَالَ: لَمَّا

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٨ ص٤٦٣، وما جاء في تتمّة الرواية من تزويجه لا يصح. أمّا أوّلها فهو موافق لما أراده النبي في قوله: (بناتنا لبنينا...).

(٢) المسائل السروية، ص٨٦ -٨٨، وراجع في ردّ هذا الزواج: كتاب إفحام الأعداء والخصوم بتكذيب ما افتروه على السيدة أم كلثوم، السيد ناصر حسين الهندي.

خَطَبَ إِلَيْه قَالَ لَه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّهَا صَبِيَّةٌ قَالَ: فَلَقِيَ الْعَبَّاسَ فَقَالَ لَه: مَا لِي، أَبِي بَأْسٌ؟ قَالَ: ومَا ذَاكَ قَالَ: خَطَبْتُ إِلَى ابْنِ أَخِيكَ فَرَدَّنِي، أَمَا والله لأُعَوِّرَنَّ زَمْزَمَ ولَا أَدَعُ لَكُمْ مَكْرُمَةً إِلاَّ هَدَمْتُهَا، ولأُقِيمَنَّ عَلَيْه شَاهِدَيْنِ بِأَنَّه سَرَقَ، ولأَقْطَعَنَّ يَمِينَه. فَأَتَاه الْعَبَّاسُ فَأَخْبَرَه وسَأَلَه أَنْ يَجْعَلَ الأمر إِلَيْه، فَجَعَلَه إِلَيْه) [1].

فإن كان الزواج قد تمّ بالإكراه والتهديد فليس هناك علاقات طيّبة كما يزعمون، بل يدلّ هذا الزواج على أنّ الأمور قد ازدادت سُوءاً بينهما.

أما قولهم: كيف لعليّ عليه السلام الشجاع أن يزوّج بنته من عمر؟!

فجوابه: إنّه مضطرّ كحال النبيّ لوط عليه السلام الذي عرض بناته على أهل الفسق والعصيان من قومه، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿**هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [2].

لقد روي عن محمّد بن الحنفية عليه الرضوان إشارة إلى زواجهم من الهاشميات بالإكراه ودون إذن منهم كما سيأتي، وفي هذا تأكيد على زواج الخليفة من أم كلثوم بغير رضاهم على افتراض صحّة وقوع الزواج.

شهادة ابن الحنفيّة على تلك الزيجات

روى ابن سعد: (**أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا أبو العلاء**

---

(١) الكافي ج٥ ص٣٤٦.

(٢) هود، ٧٨.

الخفاف عن المنهال بن عمرو قال: جاء رجل إلى ابن الحنفيّة فسلَّم عليه فردّ عليه السلام فقال: كيف أنت؟ فحرَّك يده فقال؟ كيف أنتم، أما آن لكم أن تعرفوا كيف نحن؟ إنّما مثلنا في هذه الأمّة مثل بني إسرائيل في آل فرعون كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وإنّ هؤلاء يذبحون أبناءنا وينكحون نساءنا بغير أمرنا؛ فزعمت العرب أنّ لها فضلا على العجم فقالت العجم: وما ذاك؟ قالوا: كان محمّدا عربيا قالوا: صدقتم قالوا: وزعمت قريش أنّ لها فضلا على العرب فقالت العرب: وبم ذا؟ قالوا قد كان محمّد قرشيّا. فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس) [1].

إنّ قول محمّد بن الحنفيّة وسنده صحيح: (**وإنّ هؤلاء يذبحون أبناءنا وينكحون نساءنا بغير أمرنا**)؛ دليلٌ على أنّ زواجهم من الهاشميات لم يكن عن طيب خاطر وموافقة من قبل كبار الهاشميّين، وإنّما كان عن إكراه وتهديد، ربما كان فعلهم هذا لأجل امتصاص حنق الثوّار العلويّين ضدّ خصومهم، وإيصال رسالة لهم أنّهم على علاقة طيّبة بكبار بني هاشم، فلا يسوغ لكم الثورة علينا.

---

(١) الطبقات الكبرى، ج٥ ص٩٥، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٥٤ ص٣٤٨.

دراسة السند:

ـ الفضل بن دكين:

قال ابن حجر فيه: **(الفضل بن دكين الكوفي واسم دكين عمرو بن حمّاد ابن زهير التيمي، مولاهم الأحول أبو نعيم الملائي ـ بضمِّ الميم ـ مشهور بكنيته، ثقةٌ ثبتٌ من التاسعة، مات سنة ثماني عشرة، وقيل تسع عشرة وكان مولده سنة ثلاثين؛ وهو من كبار شيوخ البخاري)**. [(١)]

وقال الذهبي فيه: **(الفضل بن دكين أبو نعيم ثقةٌ حجَّةٌ يتشيّع ولا يغلو). (الحافظ الثبت الكوفي).**

(الفضل بن دكين، الحافظ الكبير، شيخ الإسلام). [(٢)]

ـ أبو العلاء الخفاف:

هو خالد بن طهمان أو خالد بن أبي خالد.

(قال أبو حاتم: هو من عتق الشيعة، محلّه الصدق. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود عن خالد الإسكاف، فقال: حدّث عنه سفيان) [(٣)].

قال الذهبي: وثّق وضعّفه ابن معين، وقال: **(خلط قبل موته بعشر**

---

(١) تقريب التهذيب، ج٢ ص١١.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١، ص٣٧٢. سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠ ص١٤٢؛ المغني في الضعفاء للذهبي، ج٢ ص١٩٠.

(٣) انظر: تهذيب الكمال للمزي (الوفاة: ٧٤٢هـ)، ج٨ ص٩٥.

سنين، وكان قبل ذلك ثقةً)[١].

وقال أيضاً: (**خالد بن طهمان، أبو العلاء الكوفي الخفّاف عن أنس وعدّةٍ، وعنه الفريابي وأحمد بن يونس، صدوقٌ شيعيٌّ، ضعّفه ابن معين)**[٢].

قال ابن حجر: (**خالد بن طهمان الكوفي، وهو خالد بن أبي خالد، وهو أبو العلاء الخفّاف، مشهورٌ بكنيته، صدوقٌ رمي بالتشيّع)**[٣].

وممن وثَّقهُ:

ـ الترمذي: حيث ذكر له حديثاً وحسّنه[٤].

ـ الحاكم: خرّج له حديثاً وصحّحه وهذا توثيق له[٥].

ـ وثَّقهُ الطبري بروايته عنه في تهذيب الآثار[٦].

وقد اشترط في كتابه هذا أن لا يُخَرِّج إلاّ عن الثقات.

ـ وثَّقهُ ابن أبي حاتم بروايته عنه في تفسيره[٧]، وقد اشترط في مقدمة تفسيره أن لا يُخَرِّج إلاّ الأسانيد الجياد، وهذا يعني وثاقته.

---

(١) ميزان الاعتدال، ج١، ص٦٣٢.

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة، ج١، ص٣٦٥.

(٣) تقريب التهذيب، ج١، ص٢٥٩.

(٤) سنن الترمذي، ج٤، ص٦٤.

(٥) المستدرك، ج٤، ص١٩٦.

(٦) ج٣ ص٤٦.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم، ج٩ ص٢٩٢٨.

ـ قال ابن حجر «**صدوقٌ**».

ـ قال الذهبي «**صدوقٌ**».

أما تضعيف ابن معين له، فهو غير مفسّر، فيكون مردودا، إلاّ إن كان تضعيفه له لأنَّه خلط في آخر حياته، وهذا لا يعني رمي جميع مرويّاته، فالرجل صدوق.

ويشهد لكلام ابن الحنفية ما روي عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، قال المنهال: (**دخلت على عليّ بن الحسين، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيخا من أهل المصر مثلك، لا يدري كيف أصبحنا، فأمّا إذ لم تدر أو تعلم فأنا أخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون! إذ كانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يُتقرّب إلى عدوّنا بشتمه أو سبّه على المنابر، وأصبحت قريش تعدّ أنّ لها الفضل على العرب، لأنّ محمّدا منها لا يعدّ لها فضل إلاّ به، وأصبحت العرب مقرّة لهم بذلك، فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّدا منها إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ محمّدا منّا، فأصبحوا يأخذون بحقّنا ولا يأخذون لنا حقّا، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا! قال: فظننت أنّه أراد أن يسمع من في البيت**)[1].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ج٥ ص١١٣. تهذيب الكمال للمزي، ج٢٠ ص٣٩٩ ـ ٤٠٠.

ـ المنهال بن عمرو:

– البخاري: روى عنه في صحيحه.

– قال ابن معين: ثقة.

– قال النسائي: ثقة.

– قال العجلي: كوفيٌّ ثقةٌ.

– قال الدارقطني: صدوق.

– ذكره ابن حِبّان في الثقات[1].

– ابن حجر: صدوق[2].

– الألباني وثّقه[3].

فيكون السند صحيحا.

زواج سكينة بنت الحسين عليه السلام من مصعب الزبيري

من المعلوم لمن تصفّح كتب التاريخ والأنساب وتعمّق بها أنّه يمكن إرسال مقولة لمؤلف من المتقدّمين فيتلقّفها المتأخّرون وتكثر في الكتب وتُشتهر، وهي في حقيقتها تعود إلى قائلها الأوّل، وفي هذه الحالة ينبغي عدم التهويل بكثرة الناقلين، وعلوّ مقامهم وشهرة الحادثة، فربّ مشهور لا أصل

(١) راجع ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٢٨٣ – ٢٨٤.

(٢) تقريب التهذيب، ج٢، ص٢١٦.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص٨٧٥.

له؛ بل ينبغي الرجوع إلى أصل المقولة وتحقيقها.

وقد رأيت أنّ البعض يحتجّ على صحَّة زواج سكينة بنت الحسين عليه السلام من مصعب بن الزبير بما رواه عليّ بن محمّد العلوي العمري وهو من الإمامية، حيث قال: (**وأما سكينة فخرجت إلى مصعب بن الزبير وقتل عنها، فلما جاءت الكوفة خرج إليها أهلها، فقالت: لا مرحبا بكم يا أهل الكوفة أيتمتموني صغيرة وأرملتموني كبيرة**)[1].

ولنا ملاحظات نسجّلها على كلام السيد العمري:

ـ لا نجد في كتب الإماميّة المتقدّمة من أشار إلى زواج سكينة من مصعب غير السيد العلوي العمري.

ـ إنّ النسابة علي بن محمّد العلوي صاحب النصّ أعلاه، قد ذكر كلامه دون إسناد، مع العلم أنّه توفّي في أواخر القرن الخامس الهجري (٤٩٠هـ) فبينه وبين هذا الحدث مدّة طويلة، فكلامه مرسل لا اعتبار له إلاّ إذا كانت له شواهد في الكتب الأخرى في عصره أو قبل عصره، وهي مفقودة.

ـ إنّ النسابة العلوي رحمه الله اعتمد على الزبير بن بكار في كتابه المجدي في أنساب الطالبيين ص٣٤٠، ونقل عنه عن عروة بن الزبير وكلاهما متّهمان، وهذا يعني إمكانيّة نقل صاحب كتاب المجدي زواج سكينة من مصعب عنه.

ـ إنّ نقل صاحب كتاب المجدي عن ابن بكار ولو في مورد واحد،

---

(١) المجدي في أنساب الطالبيين، ص٩٢.

يستلزم الحذر وتحقيق نصوصه قبل ردّها أو قبولها.

ـ أنكر بعض محقّقي الإماميّة ومنهم الشيخ عبد الرزاق المقرّم وهو نسّابة محقّق أنكر زواج سكينة من مصعب في كلام له مفصّل في كتابه حول حياة سكينةعليها السلام. قال رحمه الله:

(لقد تجلّى لنا ونحن نسبر المدوّنات ونمحّص الأحاديث أنّ أول من وضع الأحاديث الشائعة في ابنة الحسين (سكينة) مصعب الزبيري المتوفّى سنة ٢٣٦ في كتابه (نسب قريش) لينصرف المغنّون والشعراء عن ابنتهم سكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير التي تجتمع مع ابن أبي ربيعة الشاعر والمغنّيات يغنّين لهم.

وزَمّر بها مرافقه في بغداد المدائني المتوفّى سنة ٢٢٥ وزاد عليها الزبير بن بكار وابنه وتلقّاها المبرّد المتوفّى سنة ٢٨٥ عن هؤلاء الوضّاعين وعنه أخذها تلميذه الزجّاجي وغيره من دون تمحيص فأضلّوا كثيراً من الكتّاب والمؤرّخين حتّى رووها بلا إسناد موهِمين أنّها من المسلّمات.

ثمّ جاء أبو علي القالي تلميذ الزجّاجي الأمويّ الفكرة والعقيدة فسجّل في أماليه ما تلقّاه من أستاذه قصداً للحطّ من كرامة البيت العلويّ خصوصاً وقد تقلّب في نعمة الناصر عبدالرحمن الأموي)[1].

ـ نقل المتأخّرون من الإماميّة زواج سكينة من مصعب في كتبهم. ومجرّد

---

(١) السيدة سكينة، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص٤٤.

النقل لا يدلّ على صحّة الخبر بعد أن بيّنّا إرساله وضعفه.

ـ إنّ كتاب المجدي في أنساب الطالبيين وإن كان معتمدا مشهورا، فهذا لا يعني صحّة كلّ ما فيه، بل ينبغي تحقيق أقواله ومضامينه، وفق قواعد البحث التاريخي، فالكافي أكثر شهرة واعتمادا منه، مع ذلك يذهب البعض إلى تضعيف الكثير من أحاديثه.

ـ من يُحاججْ، فينبغي له أن يحتجّ بنصّ ثابت أو معتبر، ونصّ كتاب المجدي مُرسل.

ـ لقد كذبوا على سكينة عليها السلام كثيرا ونسبوا لها ما لا يصدر عنها تشويها لسمعة الهاشميين وذريّتهم، فهذا أبو الفرج الإصبهاني يروي أنّها راسلت الشاعر عمر بن أبي ربيعة هي وبعض النساء وسهرن معه حتّى الصباح.

قال أبو الفرج: (**حديثه مع سكينة بنت الحسين وما قاله فيها من الشعر أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن أبي عبدالله الزبيريّ قال: اجتمع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف، فتذاكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظرفه وحسن حديثه، فتشوّقن إليه وتمنّينه، فقالت سكينة بنت الحسين عليهما السّلام: أنا لكُنّ به. فأرسلت إليه رسولا وواعدته الصورين، وسمّت له الليلة والوقت، وواعدت صواحباتها، فوافاهنّ عمر على راحلته، فحدّثهنّ حتّى أضاء الفجر ...**)[1].

---

(١) الأغاني، ج١ ص١٤٦ – ١٤٧.

قبّح الله واضعي هذه الروايات فهي أشبه بمجالس أهل المجون والفسق، وحاشا سكينةعليها السلام من ذلك، فهي تربية الحسين وزين العابدين ومحمّد بن الحنفيّةعليهم السلام جميعا.

كانت سكينة مثالا للعفّة والطهارة، قال الصحابي سهل بن سعد يصف الحال حين جاءوا بسبايا كربلاء إلى الشام: **(ورأيت نسوة مهتكات، فجعلت أنظر إليهنّ متأسّفا، فأقبلت جارية على بعير، بغير وطاء ولا غطاء، عليها برقع خزّ، وهي تنادي: يا أخي، يا خالي، يا أبي، يا جدّي، يا جدّتي، وا محمّداه، وا عليّاه، وا حسيناه، وا عبّاساه، هلكت عصابة محمّد المصطفى على يدي أبي سفيان وعتبة. قال سهل: فجعلت أنظر إليها، فصاحت بي صيحة عظيمة، وقالت: ويلك يا شيخ أما تستحي من الله تتصفّح وجوه بنات رسول الله؟! فقلت: والله يا مولاتي ما نظرت إليكم إلاّ نظر حزن وأنا مولى من مواليكم. فقالت: من أنت؟ فقلت: أنا سهل بن سعد، قد رأيت جدّك رسول الله، من أنت رحمك الله؟ قالت: أنا سكينة بنت الحسين. ثمّ التفتّ فرأيت زين العابدين فبكيت وقلت: يا مولاي أنا من شيعتكم، وقد استمنيت أن أكون أوّل قتيل قتل بين يدي أبيك، هل من حاجة؟ فقال: معك شيء من المال؟ قلت: نعم، ألف دينار وألف درهم، فقال: ادفع منها شيئا إلى حامل الرأس، وسله أن يبعد الرأس من بين يدي الحرم، فتشتغل الناس بالنظر إليه عن حرم رسول الله، وأن يحملنا في طريق قليل النظارة،**

فقد أوذينا من أوغاد الناس) [١].

ـ سُئل العلّامة الحلّي (ت ٧٢٦هـ): **(ما يقول سيدنا الإمام العلّامة فيما ينقل عن سكينة بنت الحسينعليه السلام أنّها كانت تراجع الشعراء وتكلّمهم وتخبرهم، فهل هذا صحيح أم لا، وهل كانت تخاطبهم مشافهة أو على لسان أحد، وفي فاطمة بنت الحسينعليه السلام هل صحّ أنّها تزوّجت بعبدالله بن عمر وابن عثمان، فإنّ ذلك نقل شائع، ويقولون إنّها ولدت منه محمّد الذي يكنّي بالديباج، فهل هذا صحيح أم لا؟**

الجواب: لا يجوز أن ينسب أحد من الذريّة إلى ارتكاب محرّم متّفق على تحريمه، وإسناد النقص إلى الرواة أولى من إسناده إليهم عليهم السلام)[٢].

ـ قال ابن قتيبة: **(وأما «إبراهيم بن عبد الرحمن ـ بن عوف ـ»، فكان سيّد القوم، وكان قصيرا، وتزوّج «سكينة بنت الحسين»، فلم يرض بذلك بنو هاشم، فخلعت منه)** [٣].

ونصّ ابن قتيبة يدلّ على أنّ لبني هاشم رأيا في تزويج بناتهم وهذا هو الصحيح، ونراهم يرفضون تزويج سكينة من إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فهل تراهم يرضون بتزويج سكينة من أحد أبناء الزبير مع ظهور

---

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، ج٤ ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) أجوبة المسائل المهنائية، ص٣٩.

(٣) المعارف، ص٢٣٧.

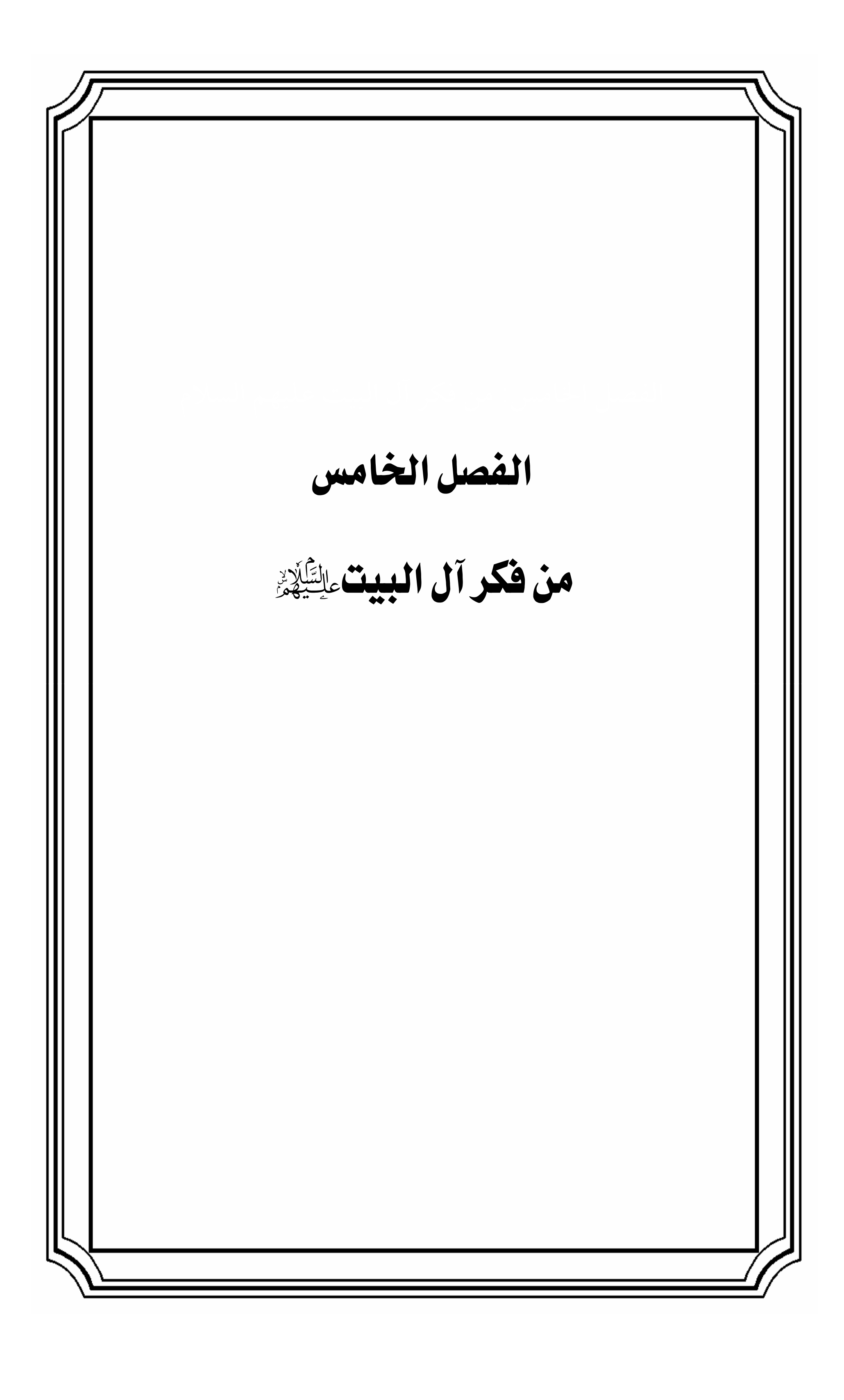
عداوتهم وبغضهم لأهل البيت عليهم السلام؟

هذا ومصعب طاغية من الطغاة، قتل من أهل الكوفة ٧٠٠٠ إنسانا من أصحاب المختار الثقفي في يوم واحد.

ـ لو افترضنا صحّة ما يُقال، فإنّ الزواج من ظالم أو فاسق يجوز ما دام ظاهره الإسلام ولا يدلّ بالضرورة على المحبّة وتديّن صاحبه، فقد يكون رجل له سلطة وسطوة، فيخشاه الناس ويزوّجوه بناتهم إذا طلب منهم ذلك، هذه آسية امرأة فرعون، من نساء أهل الجنة وأفضلهنّ بعد فاطمة وخديجة ومريم عليهن السلام، كانت متزوّجة من كافر يدّعي الألوهيّة، قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[1].

إنّ تحقيق تلك الزيجات التي ذكرها المخالفون تحتاج إلى تأليف خاص، ولكن ما ذكرناه كافٍ في نقض كلام من يحتجّ بتلك الزيجات.

(١) التحريم، ١١.



الفصل الخامس

من فكر آل البيت عليهم السلام

احترام الديانات في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

كان رجل وهابيّ في بلاد الغرب يتحدّث أنّه كلّما ساق سيارته ورأى أجنبيّا بجانب الطريق يسرع نحوه بسيارته ويسوق باتجاهه، وحين يُسأل لماذا تفعل هذا؟ فيقول: لقول الله: ﴿**وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾[1].

إنّنا إذا أردنا مواجهة الفكر الظلامي، فعلينا مواجهته بسلاح الفكر من خلال تعريف الناس على الفكر الإسلامي الأصيل، وهذه المهمّة تقع على عاتق العلماء والدعاة إلى الله والمبلّغين، بل تقع على عاتق المسلم العادي حيث يستطيع من خلال أخلاقه الطيّبة وسلوكه القويم من أن يعكس صورة جميلة عن الدين الذي يحمله.

روى الشيخ الكليني بسند صحيح: (**عن عبدالله بن سنان قال: قذف رجلٌ رجلا مجوسيّا عند أبي عبدالله عليه السلام فقال: مه ـ «وفي رواية: فنظر إليّ أبو**

(١) سورة التوبة، ١٢٣.

عبدالله عليه السلام نظرا شديدا»[1] ـ، فقال الرجل: إنّه ينكح أمّه وأخته، فقال: ذاك عندهم نكاح في دينهم)[2].

خطورة التكفير

روى الشيخ الكليني (**عن الخراز عن محمّد قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالسا عن يساره وزرارة عن يمينه إذ دخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبدالله عليك السلام ما تقول فيمن شك في الله تعالى؟ قال: كافر يا أبا محمّد. قال فشكّ في رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: كافر، ثمّ التفت إلى زرارة فقال إنّما يكفر إذا جحد)[3].**

التكفير يعني: الستر والتغطية، فالكافر يغطّي ويستر شيئا يعلمه ويعرفه، فإن لم يكن هناك معرفة بالموضوع ولا علم به، فلا يُطلق عليه كافر إذ لا شيء لديه ليغطيه! فتكون سالبة بانتفاء الموضوع على حدّ تعبير أهل المنطق.

وفي هذا الحديث يبيّن الإمام عليه السلام قاعدة مهمّة جدّا في التكفير وهي أنّ التكفير يكون إذا جحد الإنسان وجود الله أو رسوله أو جحد أمرا دينيّا مهمّا، فما دام شاك فلا يجوز تكفيره، ولكن إذا ثبت له بالدليل أمر ما وجحده أي

---

(١) الكافي ج٧ ص٥٤٠.

(٢) الكافي ج٥ ص٥٧٤.

(٣) الكافي ج٢ ص٣٩٩. وفي رواية أخرى، «لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا». الكافي ج٢ ص٣٨٨.

أنكره بعد علم حيث تكون الحجّة قائمة عليه فيكفر حينها.

ما أعمقه من كلام

عن كميل بن زياد، عن أمير المؤمنين ـ عليّ ـ عليه السلام فيما أوصاه به قال: (**يا كميل لا تغتر بأقوام يصلّون فيطيلون، ويصومون فيداومون، ويتصدّقون فيحسنون، فإنّهم موقوفون.**

يا كميل أقسم بالله لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الشيطان إذا حمل قوما على الفواحش مثل الزنا وشرب الخمر والربا وما أشبه ذلك من الخناء والمآثمّ حبّب إليهم العبادة الشديدة والخشوع والركوع والخضوع والسجود، ثمّ حملهم على ولاية الأئمّة الذين يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون ...

يا كميل ليس الشأن أن تصلّي وتصوم وتتصدّق، الشأن أن تكون الصلاة فعلت بقلب تقيّ، وعمل عند الله مرضيّ، وخشوع سوي. يا كميل انظر فيم تصلّي؟ وعلى ما تصلّي؟ إن لم تكن من وجهه وحلّه فلا قبول)[1].

من بديع وصف أمير المؤمنين للملائكة

قال المفسّر فخر الدين الرازي: (**واعلم أنّه ليس بعد كلام الله وكلام رسوله كلام في وصف الملائكة أعلى وأجلّ من كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام،**

---

(١) بشارة المصطفى للطبري الشيعيّ ص٥٦. بحار الأنوار ج٨١ ص٢٢٩ – ٢٣.

قال في بعض خطبه: ثمّ فتق ما بين السماوات العلى فملأهنّ أطواراً من ملائكة فمنهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافّون لا يتزايلون ومسبّحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونه أبصارهم متلفعون بأجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة وأستار القدرة لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدّونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر)[1].

فخر الدين الرازي ونهج البلاغة

فخر الدين الرازي مفسّر كبير، متكلّم مشهور. قال ابن خلّكان في ترجمته: (**الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده فاق أهل زمانه في علم**

---

(١) تفسير الرازي ج٢ ص١٦٤ – ١٦٥. ومن مصادر الخطبة:

ـ بحار الأنوار ج٥٤ ص١٧٧.

ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١ ص٩١.

ـ ربيع الأبرار للزمخشري ج١ ص٣١٣ـ مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي ج١ ص٥٦.

الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة)[١].

يلاحظ القارئ لتفسير الرازي استشهاد مؤلفه مرّات عديدة بكلام لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مأخوذ من نهج البلاغة دون أن يشير إليه!

وللرازيّ مؤلّف بعنوان (شرح نهج البلاغة) قال الصفدي: (**له أيضا شرح نهج البلاغة ولم يتمّ)**[٢].

قال الرازي في عليّ عليه السلام:

ـ (**وأمّا أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السلام: اللّهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار)**[٣].

ـ (**وعمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام معنا ـ يقصد الجهر بالبسملة ـ ومن اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه)**[٤].

التوحيد والعدل

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد سأله أحدهم عن التوحيد

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج٤ ص٢٤٩.

(٢) الوافي بالوفيات ج٤ ص١٨٠.

(٣) تفسير الرازي ج١ ص٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٧٠.

والعدل: (**التوحيد أن لا تتوهّمه والعدل أن لا تتّهمه**).

هذا القول بالرغم من اختصاره من روائع البلاغة والفصاحة، وهو يجمع أصلين من أصول الدين عند الإماميّة، هما التوحيد والعدل، والتمعّن فيه قد يغني عن الشروح والمطولات.

مصادره عند الإماميّة:

ـ خصائص الأئمّة للشريف الرضي ص ١٢٤.

ـ شرح نهج البلاغة، ابن ميثمّ البحراني ج١ ص ١١٠.

ـ بحار الأنوار، ج٥ ص ٥٢، نقلا عن نهج البلاغة.

ممّن ذكر قوله هذا أو المقطع الأوّل منه من جمهور المسلمين:

ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الإصفهاني ص ٤٩.

ـ تفسير الرازي ج١ ص ٢٨١.

ـ تفسير الآلوسي ج٧ص ٢٤٥.

ـ أعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي ص ٢٧.

ـ دفع شبه من شبه وتمرد للحصني الدمشقي ج١ ص ٤٩.

والملاحظ على هذه المصادر أنّها تذكر قول الإمامعليه السلام دون أن تعزوه إلى مصدره الأصليّ الذي هو نهج البلاغة.

حتّى أنّ الرازي في تفسيره اكتفى بعبارة: (التوحيد) دون العدل ربما

لأشعريّته[(١)].

من روائع الأميرعليه السلام

روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن: (**عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين** (ع) **فحمد الله وأثنى عليه ثمّ صلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثمّ قال: ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خَلّتان: اتّباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة، ألا إنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرة وإنّ الأخرة قد ترّحلت مقبلة ولكلّ واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإنّ اليوم عمل ولا حساب وإنّ غدا حساب ولا عمل.**

وإنّما بدء وقوع الفتن من أهواء تُتّبع وأحكام تُبتدع، يخالَف فيها حكمُ الله يتولّى فيها رجال رجالا، ألا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف ولو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذي حجى لكنّه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجلّلان معا فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتّخذونها سنّة فإذا غُيّر منها

---

(١) المصدر نفسه، ج١ ص٢٠٧.

شيء قيل: قد غُيّرت السنّة وقد أتى الناس منكرا ثمّ تشتدّ البليّة وتُسبى الذريّة وتدقّهم الفتنة كما تدقّ النار الحطب وكما تدقّ الرحا بثفالها ويتفقّهون لغير الله ويتعلّمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.

ثمّ أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصّته وشيعته فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده مغيّرين لسنّته ولو حملتُ الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله ﷺأرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم(عليه السلام) فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة (عليها السلام) ورددت صاع رسول ﷺ كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نسائا تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ واستقبلت بهنّ الحكم في الفروج والأرحام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطي بالسويّة ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة، وسويت بين المناكح وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّ وجلّ وفرضه ورددت مسجد رسول الله ﷺ إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح

فيه من الأبواب، وفتحت ما سدّ منه، وحرّمت المسح على الخفّين، وحددت على النبيذ وأمرت بإحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجت من أدخل مع رسول الله ﷺ في مسجده ممن كان رسول الله ﷺ أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله ﷺ ممن كان رسول الله ﷺ أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنّة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ إذاً لتفرّقوا عنّي، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة وأعلمتهم أنّ اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممّن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرتْ سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوّعا، ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري. ما لقيت من هذه الأمّة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار. وأعطيت من ذلك سهم ذي القربى الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمْعَانِ﴾ فنحن والله عنى بذي القربى الذي قرننا الله بنفسه وبرسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (فينا خاصة) كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

وَاتَّقُوا اللهَ (في ظلم آل محمّد) إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن ظلمهم، رحمة منه لنا وغنى أغنانا الله به ووصّى به نبيّه ﷺ ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيبا أكرم الله رسوله ﷺ وأكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس، فكذّبوا الله وكذّبوا رسوله وجحدوا كتاب الله الناطق بحقّنا ومنعونا فرضا فرضه الله لنا، ما لقي أهل بيت نبيّ من أمّته ما لقينا بعد نبيّنا ﷺ والله المستعان على من ظلمنا ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم)[1].

الكسب الأشعري

إنّ طرح هذا الموضوع يُسهم كثيرا في محاولة تصحيح المسار الإسلامي، خاصّة إذا عرفنا أنّ أغلبية المسلمين ينتمون إلى مدرسة تقول بالجبر بصورة أو بأخرى، وهذا ما يزرع في النفوس الاتكالية واللامبالاة وعدم السعي لتغيير الواقع، كما هو الحال في مجتمعاتنا.

وتاريخيا كانت عقيدة الجبر موضع ترحيب الحكّام، ليقنعوا الناس أنّ حكمهم هو إرادة الله، فلا يجوز الاعتراض.

وتُعرف عقيدة كثير من المسلمين باسم (الكسب) وهي لا تختلف عن الجبر إلاّ في التسمية، وهذه العقيدة يجهلها عوام الناس، ولا يفقهها مثقّفوهم.

وهي عقيدة الأشاعرة، وهم جمهور الأمّة الذين يرجعون لأحد المذاهب الأربعة المعروفة.

---

(١) الكافي ج٨ ص٥٨ – ٦٣.

تمتاز هذه العقيدة بالتعقيد، ولا أبالغ إذا قلتُ إنّ منظّري هذه العقيدة يتوقّفون عند حدّ معين أثناء بيان معنى الكسب.

مما ينبغي قوله أنّ مذهب الأشاعرة وهو مذهب أهل السنّة نفسه يقوم على نفي السببية بين الأشياء، فلا مسبّب إلاّ الله، وعلى هذه المسألة بني الكسب، قال الشيخ البيجوري في تهذيب شرح السنوسية: (**فلا تأثير للأسباب العادية في مسبّباتها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع وهكذا... فمن اعتقد أنّ شيئا يؤثّر منها بنفسه فلا نزاع في كفره**)[1].

معنى الكسب:

قال أبو الحسن الأشعري: (**معنى الكسب: أن يكون الفعل بقدرة محدث ـ المخلوق ـ فكلّ من وقع منه الفعل بقدرة قديمة، فهو فاعل خالق ـ الله ـ، ومن وقع منه بقدرة محدثة، فهو مكتسب، وهذا قول أهل الحقّ**)[2].

وقال الباقلاّني: (**اعلم أنّ مذهب أهل السنّة والجماعة أنّ الله تعالى هو الخالق وحده، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإنّ جميع الموجودات من أشخاص العباد، وأفعالهم، وحركات الحيوانات، قليلها وكثيرها، حسنها وقبيحها، خلق له تعالى لا خالق لها غيره؛ فهي منه خلق، وللعباد**

---

(١) تهذيب شرح السنوسية للبيجوري، ص٥١.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.

كسب)[١].

وقال الفاضل القوشجي موضحا معنى الكسب: (**المراد بكسبه ـ أي العبد ـ إيّاه، مقارنته لقدرته وإرادته، من غير أن يكون هناك منه ـ أي من العبد ـ تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلّا له**)[٢].

قال الرازي في عدّة مواضع من تفسيره: (**فالإنسان مضطرّ في صورة مختار**)[٣].

وقال التفتازاني: (**ولهذا ذهب المحققون إلى أنّ المآل هو الجبر وإن كان في الحال الاختيار وأنّ الإنسان مضطر في صورة مختار**)[٤].

يتضح من خلال كلمات هؤلاء مفهوم الكسب، فالله خالق فعل الإنسان وليس للعبد تأثير، وإنما هو محل لفعل الله، ويلاحظ القارئ محاولات الفرار من الجبر، ولا أراها تفلح في ذلك.

قال سعيد فودة الأشعري وهو من المعاصرين بعد أن بذل جهده في بيان معنى الكسب محاولا نفي الجبر: (**فالإنسان مختار وليس خالقا، فهو مختار لأفعاله وليس خالقا لها**).

كيف يكون الإنسان مختارا لفعله وليس هو خالقا له أو موجدا له؟

---

(١) الإنصاف، ص: ١٣٧.

(٢) شرح التجريد، ص٤٤٤-٤٤٥.

(٣) تفسير الرازي، ج٧ ص١٤١، ج٢٤ ص١٧٩.

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام، ج٢ ص١٢٩.

فخطور الأفكار في ذهن الإنسان هو من خلق الله، والقصد نحو الفعل والقيام به هو من إيجاد الله حسب منطق فودة، وإلاّ لو كان من الإنسان لعُدّ هذا شركا، فالله خالق كلّ شيء.

إنّ قول فودة: (**فهو مختار لأفعاله وليس خالقا لها**) يعني مكتسب لأفعاله أي إنّ الإنسان محلّ للفعل الذي خلقه الله ليس إلاّ، فالإنسان هنا حاله حال الجدار الذي يقوم الصباغ بصبغه، فالجدار اتّصف باللون الجديد واكتسبه.

يكمل فودة فيقول: (**ولا يترتّب على ذلك كونه مجبورا، لأنّ الجبر هو حصول الفعل على خلاف الإرادة، وهنا لم يحصل الفعل إلاّ على وفاق الإرادة**).

يتكلم فودة عن إرادة الإنسان، فالفعل الذي يخلقه الله وفقا لإرادة الإنسان ليس جبرا، فالنتيجة أن الإنسان ليس مجبرا.

والسؤال الذي يوجه لفوده: من خلق هذه الإرادة في الإنسان الله أم الإنسان نفسه؟ إن قيل خلقها الإنسان إذن صار شريكا لله على حدّ قولهم، وإن قيل هي من خلق الله، يثبت الجبر الذي منه هرب.

وإن قيل: الإرادة خلقها الله وجعلها في الإنسان، يأتي الإشكال: ما دور الإنسان إذن؟ إذا فكر، فمن يخلق الفكرة؟ إذا صارت لديه ميول لقول كلمة أو القيام بحركة أو فعل ما، فمن يخلق هذه الميول والحركات والأفعال؟ إن قيل الإنسان، إذن صار الإنسان شريكا لله بناءاً على قولهم، وإن قيل الله،

فيثبت أنه لا دور ولا اختيار للإنسان أبدا وإنما هو محل لفعل الله، فالله يجري على يديه ما يريد، وهو أداة تنفيذ، ولعلّ أقرب مثال يوضح هذه الصورة كحال من يتحكم بجسم آلي عن طريق جهاز التحكم، فهذا الجسم يتلقّى الإشعارات والأوامر عبر جهاز التحكّم ويتصرّف طبقا للإشارات التي تأتيه، فلا فرق من هذه الناحية بينه وبين الإنسان الذي يخلق الله فعله، فالإنسان مكتسب للأفكار والأفعال التي يخلقها الله فيه وهو محلّ لها ليس إلاّ وكذا هو الجهاز الآلي.

ثمّ يكمل فودة فيقول: (**فكيف يقال: إنّ الناس مجبورون؟ ولكن غاية ما وقع هو أنّ الإنسان ليس هو الذي خلق الفعل، بل الله هو الذي خلقه، وأمّا الإنسان فهو الذي اكتسبه. فالفعل منسوب إلى الإنسان كسبا، وإلى الله تعالى خلقا**)[1].

بعد مناورات فاشلة عاد فودة واعترف أنّ دور العبد هو الكسب ليس إلاّ، أي كونه محلّا لفعل الله، فالله يجري على يدي العبد: الصلاة والصيام والحجّ والزنا واللواط والقتل ... والله هو من خلق هذه الأفعال في العبد، والعبد محلّ لها، فالله يأمره بالصلاة ثمّ يخلق فيه التكاسل وترك الصلاة! الله ينهى العبد عن الزنا والسرقة ... ثمّ يخلق في العبد فعل الزنا والسرقة وقطع الرؤوس، ويوم القيامة يحاسب الله عزّ وجلّ عبده على ما خلقه هو فيه.

---

(١) راجع كلامه في: مختصر شرح الخريدة البهيّة للدردير.

ولو اعترض عبد عاص على ربه: لماذا جعلتني محلّا للأعمال التي توجب غضبك وتدخلني النار ولم تجعلني محلّا للأعمال الصالحة التي ترضيك، لكان اعتراضه وجيها.

وعلى مبنى الأشاعرة فإنّ رفسة الحمار ونطحة الثور ولدغة الأفعى هي من صنع الله وخلقه، لهذا ينبغي أن تكون معصومة من الخطأ، ولكن الحمار يخطئ أحيانا في رفسته فلا يصيب من حوله وكذا الثور!!

ومن الطريف أنّ أشعريا له بعض الردود على كتابي (وركبت السفينة) فقلت له على سبيل السخرية: وفق منطقك خلق الله في ذهني أفكارا جعلتها في كتاب وهو من خلق اسمه أيضاً! وبعد سنين عديدة خلق الله فيك بعض الأفكار لتردّ عليّ، فالله خلق الأفكار في كتابي ثمّ ردّ على نفسه بما تكتبه أنت!

حدثني أحد العلماء أنّه جمعه مجلس مناظرة مع أحد المتكلّمين الأشاعرة، فقال له هذا العالِم في بداية الكلام: كلامك الذي ستقوله لي، هل هو منك أم من الله؟ إن كان من الله فلا أستطيع مناظرة الله!

فضحك الرجل وأقرّ له بقوة منطقه.

قد ينصدم المرء حين يعلم أنّ هذه عقيدة جمهور المسلمين، ومن نعم الله على أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام قول الإمام الصادقعليه السلام: **(لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)**[1].

(١) الكافي ج١ ص١٦.

ومن ترك الآل وأخذ عن غيرهم غاص في المتاهات الشقيّة.

أمر بين أمرين

هي عقيدة أهل البيتعليهم السلام وعقيدة شيعتهم، وقد وضّح السيد الخوئي رحمه الله الأمر بين الأمرين بمثال دقيق.

قال الشيخ جعفر السبحاني ناقلا ذاك المثال: (**لو فرضنا شخصا مشلول اليد «لا مرتعشها» غير قادر على الحركة إلاّ بإيصال رجل آخر التيار الكهربائي إليه ليبعث في عضلاته قوة ونشاطا بحيث يكون رأس السلك الكهربائي بيد الرجل بحيث لو رفع يده في آن انقطعت القوة عن جسم هذا الشخص، فذهب باختياره وقتل إنسانا به، والرجل يعلم بما فعله، ففي مثل ذلك يستند الفعل إلى كلّ منهما، إما إلى المباشر فلأنه قد فعل باختياره وإعمال قدرته، وإما إلى الموصل، فلأنّه أقدره وأعطاه التمكّن حتّى في حال الفعل والاشتغال بالقتل، وكان متمكّنا من قطع القوة عنه في كلّ آن شاء وأراد، وهذا مثال لنظرية الأمر بين الأمرين، فالإنسان في كلّ حال يحتاج إلى إفاضة القوة والحياة منه تعالى إليه بحيث لو انقطع الفيض في آن واحد بطلت الحياة والقدرة، فهو حين الفعل يفعل بقوة مفاضة منه وحياة كذلك من غير فرق بين الحدوث والبقاء. محصّل هذا التمثيل أنّ للفعل الصادر من العبد نسبتين واقعيتين، إحداهما نسبته إلى فاعله بالمباشرة باعتبار صدوره منه باختياره وإعمال قدرته، وثانيهما نسبته إلى الله تعالى باعتبار أنّه معطي الحياة والقدرة في كلّ آن وبصورة مستمرّة حتّى في آن**

اشتغاله بالعمل) [١].

إنّ الفعل الإنساني مخلوق حقيقة من قبل الإنسان نفسه بما أعطاه الله من القدرة على الاختيار، وفي الوقت نفسه هو ليس بمعزل عن الله.

معضلة الطلاق

الطلاق لدى المذاهب الإسلامية سهل جدا، فيكفي مجرد التلفّظ به ليطلّق الزوج زوجته، وبعضهم أجاز طلاق السكران!

جاء في «المدونة الكبرى»: **(قال مالك: طلاق السكران جائز)** [٢].

قال الشافعي: **(ومن شرب خمرا أو نبيذا فأسكره فطلّق لزمه الطلاق)**[٣].

قال ابن حجر: **(وقال بوقوعه ـ أي طلاق السكران ـ طائفة من التابعين كسعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم والزهري والشعبي وبه قال الأوزاعي والثوري ومالك وأبو حنيفة وعن الشافعي قولان المصحّح منهما وقوعه والخلاف عند الحنابلة...)** [٤].

وهذا التساهل في إجراء الطلاق مدعاة لتفكّك الأسرة، التي صلاح

---

(١) محاضرات في الإلهيات، ص٢٠٨.

(٢) للإمام مالك ج٣ ص٢٤.

(٣) الأم، ج٥ ص٢٧.

(٤) فتح الباري، ج٩ ص٣٤٣.

المجتمع من صلاحها.

كنت سنة ٢٠٠٠م في سوريا بجوار السيدة زينب عليها السلام، وزارني حينها صديق من مدينة منبج فتح الله عليه فوالى أهل البيت عليهم السلام وأخذ دينه عنهم، كان برفقته رجل على وجهه الحزن، قال صديقي: هذا الرجل طلّق زوجته ثلاثا في لحظة غضب، واستفتى مشايخ الشام وكبار العلماء وكلّهم أفتوه أنّه لابدّ له من محلّل! لابدّ أن تتزوّج طليقته من رجل وإذا طلّقها يمكن أن يرجع إليها، فما هو رأي الإماميّة في هذه المسألة؟

أخذت قرآنا كان بقربي وفتحت على سورة الطلاق وقلت له: أنصت وتابع معي.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهَّ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهَّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا * فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾[1].

توقفت هنا، وقلت له: ماذا تفهم من قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**﴾؟

---

(١) الطلاق: الآية: ١ و٢.

ـ قال: يعني إشهاد اثنين من العدول على الطلاق.

ـ قلت: هل هذا الإشهاد واجب أم مستحب؟ حين يأتي أمر من الله فإنّه يدلّ على الوجوب ما لم توجد قرينة تصرفه إلى الاستحباب، فهل عندنا قرينة في هذا النص؟

سكت وبقي يحدق بي، فقلت: لا توجد قرينة، فيبقى الأمر على وجوبه، بل إنّ سياق الآيات التالية تؤكّد هذا الوجوب، حيث قال تعالى عقب ذكر الإشهاد: ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله**﴾[1].

ثمّ عقّب بقوله: ﴿**ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخر**﴾. وقول الله هذا ناظر إلى الإشهاد، ولم يكتف الله عزّ وجلّ بهذا حتّى قال: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[2].

أطرق الرجل برأسه مفكّرا بما سمعه، دون أن يتكلم، قلت له: هل أشهدت شاهدي عدل حين أوقعت الطلاق؟

قال: لا.

قلت: إذن طلاقك وفق الآيات القرآنية الواضحة باطل؛ لأنّه يجب الإشهاد حين إيقاع الطلاق، وبهذا جاءت الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام

(١) الطلاق: الآية: ١ و٢.

(٢) سورة الطلاق، ١ـ٣.

الذين لا يفترقون عن القرآن.

قال الطبرسي: (**وأشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام**) [(١)].

إنّ إيقاع الطلاق لدى الإمامية يستلزم شروطا أخرى ليس هنا محلّ بيانها، مما يصعب إيقاعه، وفي هذا حفظ للأسرة من التفكّك والضياع.

الغريب أنّ الإشهاد على الطلاق مستحبّ لدى جمهور المسلمين، واجب عند الإمامية.

أما الإشهاد على الزواج فهو واجب عند جمهور المسلمين، مستحبّ عند الإمامية، فهل سهّل الله الطلاق وصعب الزواج، أم صعّب الطلاق وسهّل الزواج؟!

ذهب الرجل وقد اقتنع بما جاء عن أئمة أهل البيتعليهم السلام وقرّر اتّباعهم والسير على نهجهم.

لقد روي أنّ النبي صلى الله عليه وآله غضب حين طلّق أحدهم زوجته ثلاثا وسمَّى الأمر تلاعبا بكتاب الله!

روى النسائي في سننه بالإسناد إلى محمود بن لبيد قال: (**أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن رجل طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعا. فقام صلى الله عليه وآله غضبانا، ثمّ قال: "أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم"؟ حتّى قام رجل وقال: يا**

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج ١٠ ص٤٢.

رسول الله ألا أقتله؟...) [١].

قال ابن حجر: **(أخرجه النسائي ورجاله ثقات؛ لكن محمود بن لبيد ولد في عهد النبيﷺ ولم يثبت له منه سماع وإن ذكره بعضهم في الصحابة فلأجل الرؤية...)** [٢].

وبعد رحيل النبيﷺ أمضى الخليفة عمر ما غضب رسول الله لأجله! فجعل كلّ ثلاث تطليقات في مجلس واحد ثلاث طلاقات، وهو اجتهاد مقابل النصّ وبه أخذ أئمة المذاهب الأربعة.

عن ابن عباس قال: **(كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم)**[٣].

جاء في (فتح الباري): **(إنّ المعنى أنّ الطلاق الموقع في عهد عمر ثلاثا كان يوقع قبل ذلك واحدة؛ لأنّهم كانوا لا يستعملون الثلاث أصلا أو كانوا يستعملونها نادرا؛ وأما في عصر عمر فكثر استعمالهم لها ومعنى قوله فأمضاه عليهم وأجازه...)**[٤].

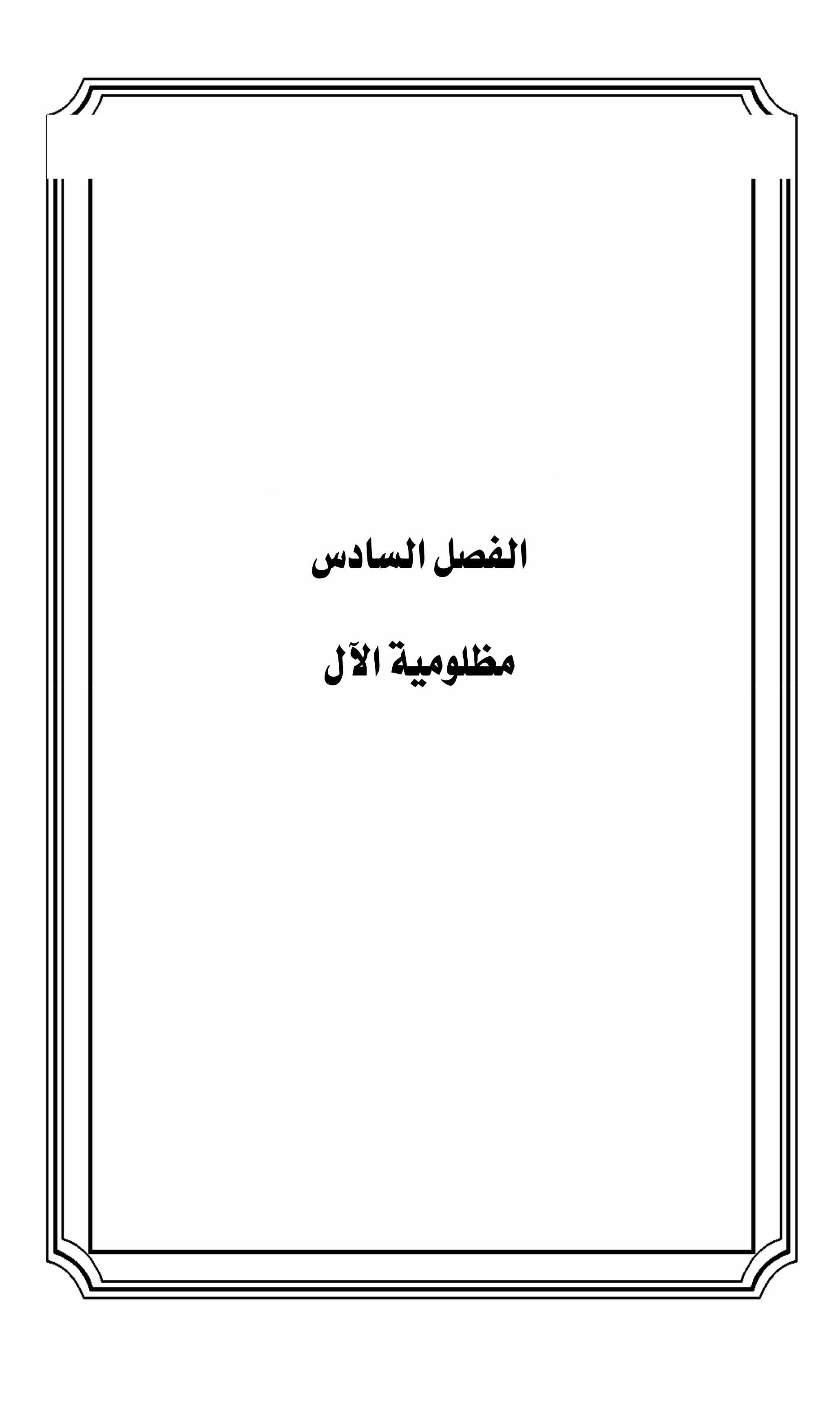
---

(١) سنن النسائي، ج٦ ص١٤٢.

(٢) فتح الباري، ج٩ ص٣١٥، حتى لو لم يثبت لمحمود بن لبيد سماع فالظاهر أنّه أخذه من أحد الصحابة والصحابة عدول، فيصح الحديث.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الطلاق) باب طلاق الثلاث.

(٤) فتح الباري، ج٩ ص٣١٨.



الفصل السادس

مظلومية الآل

مظلومية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن أبي الحديد: (**واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحو من هذا القول، نحو قوله: "ما زلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتّى يوم الناس هذا". وقوله: "اللّهم أخز قريشا فإنّها منعتني حقّي، وغصبتني أمري". وقوله: "فجزى قريشا عنّي الجوازي، فإنّهم ظلموني حقّي، واغتصبوني سلطان ابن أمي". وقوله، وقد سمع صارخا ينادى: أنا مظلوم فقال: "هلمّ فلنصرخ معا، فإنّي ما زلت مظلوما". وقوله: "وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى". وقوله: "أرى تراثي نهبا". وقوله: "أصغيا بإنائنا، وحملا الناس على رقابنا". وقوله: "إنّ لنا حقّا إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، وإن طال السرى". وقوله: "ما زلت مستأثرا عليّ، مدفوعا عما أستحقّه وأستوجبه"**)[1].

وذكر ابن قتيبة جوابا من عليّ عليه السلام لأخيه عقيل، ومما جاء فيه: (**فدع ابن أبي السرح وقريشا وتركاضهم في الضلال فإنّ قريشا قد اجتمعت على**

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٩ ص٣٠٦ – ٣٠٧.

حرب أخيك اجتماعها على رسول الله ﷺ قبل اليوم، وجهلوا حقّي، وجحدوا فضلي، ونصبوا لي الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله، اللّهم فاجز قريشا عنّي بفعالها، فقد قطعتْ رحمي، وظاهرت عليّ، وسلبتني سلطان ابن عمي، وسلّمت ذلك لمن ليس في قرابتي، وحقّي في الإسلام، وسابقتي التي لا يدّعي مثلها مدّع...)[1].

وروى الطبراني: **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرجت أنا والنبيّ ﷺ وعليّ رضي الله عنه في حشان المدينة فمررنا بحديقة، فقال عليّ رضي الله عنه: ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله، فقال: حديقتك في الجنّة أحسن منها، ثمّ أومأ بيده إلى رأسه ولحيته، ثمّ بكى حتّى علا بكاؤه، قيل ما يبكيك، قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتّى يفقدوني)**[2].

وروى الحاكم وصحّحه، ووافقه الذهبي: **(عن حيّان الأسدي سمعت عليّا يقول: قال لي رسول الله ﷺ: إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملّتي وتقتل على سنّتي من أحبّك أحبّني ومن أبغضك أبغضني وإنّ هذه ستخضب من هذا، يعني لحيته من رأسه)**[3].

وروى الحاكم وصححه: **(عن عليّ رضي الله عنه قال: إنّ مما عهد إليّ**

---

(١) الإمامة والسياسة، ج١ ص٥٤.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ج١١ ص٦١. ورواه الحاكم بلفظ قريب مع اختصار وصححه في مستدركه، ج٣ ص١٣٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٣ ص١٤٢ – ١٤٣.

النبي ﷺ أنّ الأمّة ستغدر بي بعده)[١].

كتاب سليم بن قيس

سُلَيم ـ بضم السين، وفتح اللام، ثمّ الياء الساكنة، والميم بصيغة التصغيرـ بن قيس الهلالي (ولد: ٢ قبل الهجرة ـ توفّي: ٩٠هـ).

يعتبر سليم بن قيس الهلالي ثمّ العامري الكوفي من قدماء الشيعة المخلصين، صاحب خمسة من الأئمة، ابتداءً بالإمام عليّ عليه السلام حتّى الإمام الباقر عليه السلام[٢]، وقد عدّه الرجالي البرقي من أولياء أمير المؤمنين وأصحابه[٣]، وعدّه كذلك من أصحاب الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام[٤].

ألّف سليم كتابا في عصر منع الرواية، مع ما في هذا الأمر من خطورة، وسجّل الأحداث مأخوذة من عليٍّ وسلمان وأبي ذر ...

طلبه الحجّاج (ت٩٥هـ) حين جاء إلى الكوفة وأراد قتله كما قتل محبّي علي عليه السلام أمثال سعيد بن جبير رضوان الله عليه، هرب سليم ولجأ إلى أبان بن أبي عياش.

قال ابن النديم في ترجمته: (**من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، سليم بن**

---

(١) المصدر نفسه، ج٣ ص١٤٠.

(٢) رجال الطوسي، ص٦٦ و٩٤ و١٠١ و١١٤ و١٣٦.

(٣) الرجال، ص٤ و٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٩.

قيس الهلالي. وكان هاربا من الحجاج لأنّه طلبه ليقتله، فلجأ إلى أبان بن أبي عياش، فآواه. فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقا وقد حضرتني الوفاة يا بن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله ﷺ كيت وكيت، وأعطاه كتابا، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور، رواه عنه أبان بن أبي عياش لم يروه عنه غيره. وقال أبان في حديثه: وكان قيس شيخا له نور يعلوه. وأول كتاب ظهر للشيعة، كتاب سليم بن قيس الهلالي، رواه أبان بن أبي عياش لم يروه غيره)[1].

قصة الكتاب

قال الشيخ المجلسي: (ولنذكر ما وجدناه في مفتتح كتاب سليم بن قيس ... عن عمر بن أذينة، عن أبان ابن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي. قال عمر بن أذينة: دعاني ابن أبي عياش، فقال لي: رأيت البارحة رويا إني لخليق أن أموت سريعا، إني رأيتك الغداة ففرحت بك، إنّي رأيت الليلة سليم بن قيس الهلالي، فقال لي: يا أبان إنّك ميّت في أيامك هذه، فاتّق الله في وديعتي ولا تضيّعها وف لي بما ضمنت من كتمانك، ولا تضعها إلاّ عند رجل من شيعة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه له دين وحسب، فلما بصرت بك الغداة فرحت برؤيتك، وذكرت رؤياي سليم ابن قيس. لما قدم الحجّاج العراق سأل عن سليم بن قيس فهرب منه، فوقع إلينا

---

(١) فهرست ابن النديم، ص٢٧٥.

بالنوبندجان [(١)] متواريا، فنزل معنا في الدار، فلم أر رجلا كان أشدّ إجلالا لنفسه، ولا أشدّ اجتهادا ولا أطول بغضا للشهوة منه، وأنا يومئذ ابن أربع عشرة سنة قد قرأت القرآن: وكنت أسأله فيحدّثني عن أهل بدر فسمعت منه أحاديث كثيرة، عن عمر بن أبي سلمة بن أم سلمة زوجة النبي ﷺ، وعن معاذ بن جبل، وعن سلمان الفارسي، وعن علي، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، والبراء بن عازب، ثمّ أسلمنيها ولم يأخذ عليّ يمينا، فلم ألبث أن حضرته الوفاة فدعاني فخلا بي وقال: يا أبان! قد جاورتك فلم أر منك إلاّ ما أحبّ، وإنّ عندي كتبا سمعتها عن الثقات، وكتبتها بيدي فيها أحاديث لا أحبّ أن تظهر للناس لأنّ الناس ينكرونها ويعظّمونها، وهي حقّ أخذتها من أهل الحقّ والفقه والصدق والبرّ عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد ابن الأسود، وليس منها حديث أسمعه من أحدهم إلاّ سألت عنه الآخر حتّى اجتمعوا عليه جميعا، وأشياء بعد سمعتها من غيرهم من أهل الحقّ: وإنّي هممت حين مرضت أن أحرقها فتأثّمت من ذلك وقطعت به، فإن جعلت لي عهد الله وميثاقه أن لا

---

(١) «نوبندجان: بالضم ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة، ونون ساكنة، ودال مفتوحة، وجيم، وآخره نون: مدينة من أرض فارس من كورة سابور قريبة من شعب بوان الموصوف بالحسن والنزاهة، وبينها وبين أرجان ستة وعشرون فرسخا، وبينها وبين شيراز قريب من ذلك». معجم البلدان، الحموي (الوفاة: ٦٢٦هـ)، ج٥ ص٢٠٧.

تخبر بها أحدا ما دمت حيّا ولا تحدّث بشيء منها بعد موتي إلاّ من تثق به كثقتك بنفسك، وإن حدث بك حدث أن تدفعها إلى من تثق به من شيعة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ممن له دين وحسب، فضمنت ذلك له فدفعها إليّ، وقرأها كلّها عليّ فلم يلبث سليم أن هلك رحمه الله...) [(١)].

ومن أبان استلم الكتاب عمر بن أذينة الثقة، وبهذا يكون كتاب سليم أقدم وأهمّ وثيقة تاريخية أرّخت أحداث ما بعد النبي ﷺ.

سليم وكتابه لدى الجمهور

حمل التعصّب البعض إلى القول بأنّ سليم بن قيس هو من اختلاق الشيعة ولا وجود له، وهذا أشبه بالهذيان، فقد اتّفقت كلمة الشيعة على وجود سليم وكتابه، وذكره غيرهم من المحدّثين السنّة.

قال الدكتور السلفي ناصر الغفاري: (**وقد تبيّن لنا أنّ "سليما " هذا لا ذكر له في مصادر أهل السنّة مع تعظيم الشيعة لأمره، وقد يقال بأنّه اسم لا مسمّى له؛ إذ لو كان كما يقولون... لكان شيئا مذكورا**)[(٢)].

من المعلوم أنّ أهل الحديث لم يستوعبوا في تراجمهم كلّ رجال السنّة فضلا عن رجال الشيعة، فعدم ترجمة بعض الرجال لا يعني عدم وجودهم،

---

(١) بحار الأنوار، ج١ ص٧٦ ـ ٧٩.

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ج١ ص٣٥٢.

وسليم مذكور لدى الجمهور، ووقع في أسانيدهم كما سنبيّن، وهذا يدلّ على قصور الدكتور الغفاري في البحث، أو تعمّده تحريف الحقائق.

وقال الدكتور مصعب الخير الإدريسي: (**وفي كتب أهل السنّة لا نجد غير ترجمة واحدة لسُليم بن قيس العامري في كتاب ‹الجرح والتعديل› لابن أبي حاتم ‹ت٣٢٧هـ› لم يزد فيها على أن قال: «سُليم بن قيس العامري روى عن سحيم بن نوفل، روى عنه أبان سمعت أبي يقول ذلك»، ولم أجد له بعد ذلك في دواوين السنّة المتاحة لي من خلال برامج الحاسب الآلي الحديثية غير رواية واحدة أيضا سُمِّيَ في إسنادها سُليمَ بنَ قيس الحنظلي، في جامع معمر بن راشد الأزدي ‹ت١٥١هـ› برواية عبد الرزّاق بن همام الصنعاني ‹ت٢١١هـ› ...**)[1].

والصحيح أنّ سليما وقع في أكثر من مورد في مصنفات أهل السنّة، لا كما زعم الدكتور مصعب الخير، وهذا يدلّ على قصوره في البحث.

ورد ذكر سليم بن قيس مصحّفا في أكثر من مورد، فقد صُحّف اسمه إلى سليمان.

جاء في (تاريخ مدينة دمشق: (**... عن أبان بن أبي عياش عن سليمان بن قيس العامري قال رأيت أويسا القرني بصفّين صريعا بين عمّار وخزيمة**

---

(١) راجع: كتاب سليم بن قيس الهلالي، بين الحقيقة والتلفيق، للدكتور مصعب الخير.

بن ثابت)[١].

وذكر النصّ نفسه علاء الدين مغلطاي[٢].

وفي نسخة السري بن سهل: **(عن أبان، عن سليمان بن قيس العامري، عن مسروق بن الأجدع، قال: دخلت على عائشة ...)** [٣]

وروى الخطيب البغدادي بسنده: **(عن أبان عن سليمان بن قيس العامري عن مسروق بن الأجدع قال: دخلت على عائشة ...)**[٤].

ووقع عند الواحدي حيث ذكر إسناده إلى أبان فقال: (...**عن أبان، عن سليمان بن قيس العامري، عن كعب، قال: إنّي لأجد في بعض الكتب: لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع، ولا ينبض منه عرق يوجع)**[٥].

والدليل على أنّ سليمان المذكور هو سليم بن قيس رواية أبان عنه، ولقبه العامري ولا يوجد راو آخر يحمل هذا اللقب.

وقع سليم في سند ابن عساكر مصحّفا إلى (سالم) حيث روى: (**... عن أبان بن أبي عياش عن سالم بن قيس العامري ومسلم بن أبي عمران أنّ**

---

(١) لابن عساكر، ج٩ ص٤٥٥.

(٢) إكمال تهذيب الكمال، ج٢ ص٣٠٠.

(٣) للسري بن سهل الجنديسابوري، ج١ ص٢.

(٤) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، ج٥ ص٣٣٨.

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٤ ص٤٨٣.

حذيفة بن اليمان قال إنّ أقرّ أيامي لعيني يوم أرجع فيه إلى أهلي فيشكون إليّ الحاجة والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنّ الله ليتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد لولده بالخير وإنّ الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام)[1].

ـ ترجم ابن أبي حاتم سليم بن قيس،فقال: (سليم بن قيس العامري روى عن سحيم بن نوفل روى عنه أبان سمعت أبي يقول ذلك)[2].

ـ وقع سليم في أحد أسانيد عبد الرزاق الصنعاني، حيث روى: (...عن معمر عن أبان عن سليم بن قيس الحنظلي قال: خطب عمر فقال: إنّ أخوف ما أتخوّف عليكم بعدي أن يؤخذ الرجل منكم البريء فيؤشر كما يؤشر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط لحمها، ويقال: عاص وليس بعاص، قال: فقال عليٌّ وهو تحت المنبر: ومتى ذلك؟ يا أمير المؤمنين! أو بما تشتدّ البليّة، وتظهر الحميّة، وتسبى الذريّة، وتدقّهم الفتن كما تدقّ الرحا ثفلها، وكما تدقّ النار الحطب؟ قال: ومتى ذلك يا علي! قال: إذا تفقّه لغير الدين، وتعلّم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة)[3].

قال عبد الرحمن الأعظمي محقّق الكتاب: (عندي هو سليم بن قيس العامري، ذكره ابن أبي حاتم مرّة منسوبا إلى أبيه، وأخرى غير منسوب،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج١٢ ص٢٨٨.

(٢) الجرح والتعديل، ج٤ ص٢١٤.

(٣) المصنف، ج١١ ص٣٦٠.

وذكره البخاري أيضا غير منسوب إلى أبيه ونسبه عامريا، وقد حرف ناشروا المستدرك فأثبتوا «أبان بن سليم» ...)[١].

ـ وقع سليم في أسناد الحاكم الحسكاني الحنفي، حيث روى: (...**عن أبان: عن سليم بن قيس العامري قال: سمعت عليا يقول: رسول الله ياسين ونحن آله)**[٢].

ـ ورد ذكره لدى الحاكم النيسابوري باسم سليم بن قيس، قال الحاكم: (...**أنبأ عبد الرزاق أنبأ معمر عن أبان بن سليم بن قيس الحنظلي قال خطبنا عمر بن الخطاب ...)**[٣].

قال مقبل الوادعي معلّقا: (**أبان بن سليم هو: أبان عن سليم، وأبان هو ابن أبي عياش)**[٤].

ـ في (التاريخ الكبير) للبخاري: (...**حدثني زياد بن أبي زياد مولى ابن عياش عن سليم)**[٥].

ـ روى الهروي: (... **عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس**

---

(١) المصدر نفسه، وذكر النص المتقدم: حمود التويجري في (إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة) ج٢ ص١١٢ – ١١٣.

(٢) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج٢ ص١٦٨.

(٣) المستدرك، ج٤ ص٤٥١.

(٤) رجال الحاكم في المستدرك، ج١ ص٨٧.

(٥) ج٤ ص١٣٠.

العامري عن أبي مسعود الأنصاري أنّه دخل على حذيفة) [١].

ـ قال ابن القيسراني: (**حديث: قال رسول الله للحسن والحسين: إنّ ابني هذين سيدا شباب أهل الجنّة هذه الأمّة... الحديث. تفرّد به صالح بن أبي الأسود عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس عن أبيه)** [٢].

روي في بعض المصادر عنه باسم سلمان بن قيس، وقد روى عن ابن عباس[٣] وعن سلمان الفارسي [٤] وعن جابر بن عبدالله [٥]، وسلمان المذكور ليس له ترجمه ولا ذكر في سائر الكتب فلعلّه مصحف عن سليم خاصّة أنّه تابعي ويروي عن سلمان وحذيفة.

ـ ممن ذكر كتاب سليم بن قيس القاضي بدر الدين السبكي في (محاسن الوسائل في معرفة الأوائل) حيث قال: (**إنّ أوّل كتاب صنّف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي)** [٦].

---

(١) ذم الكلام وأهله، ج٤ ص٨٧.

(٢) أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ للإمام الدارقطني، أبو الفضل ابن القيسراني، ج٤ ص٢٦٤.

(٣) تفسير الطبري، ج٢٨ ص٢١٦.

(٤) المحاسن والمساوي للبيهقي، ج١ ص١١.

(٥) الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي، ج١ ص١٨٠.

(٦) نقله عنه الشيخ الطهراني في الذريعة، ج٢ ص١٥٣ – ١٥٤.

ـ وقال ابن النديم [١]: (**وأول كتاب ظهر للشيعة، كتاب سليم بن قيس الهلالي، رواه أبان بن أبي عياش لم يروه غيره**)[٢].

وقال الدكتور ناصر الدين الأسد: (**وكان أوّل كتاب ظهر للشيعة: كتاب سليم بن قيس الهلالي من أصحاب عليّ**)[٣].

وقال خير الدين الزركلي (**كتاب سليم بن قيس الكوفي وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة وتعول عليها، قال جعفر الصادق: من لم يكن عنده كتاب سليم بن قيس، فليس عنده من أمرنا شيء، وهو أبجد الشيعة**)[٤].

الشيعة وكتاب سليم

قال الشيخ النعماني (ت ٣٦٠هـ): (**وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة** (عليهم السلام) **خلاف في أنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم ومن حملة حديث أهل البيت** (عليهم السلام) **وأقدمها، لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والمقداد وسلمان الفارسي**

---

(١) يرى السيد الخوئي أن ابن النديم من العامة وليس من الشيعة. معجم رجال الحديث ج١٦ ص٧٢.

(٢) فهرست ابن النديم، ص٢٧٥.

(٣) مصادر الشعر الجاهلي، ج١ ص١٤٦.

(٤) الأعلام، ج٣ ص١١٩.

وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممّن شهد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام) وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها ويعول عليها)[١].

وهذا النصّ المهم من عالم متقدّم يعكس رأي الشيعة ورأي أئمّتهم خلال ثلاثة قرون تقريبا، وهو اتّفاقهم على أنّ كتاب سليم أصل معتبر ومن أكبر كتب الأصول وأقدمها، وهذا النصّ يدلّ على عمل اعتماد الشيعة المتقدّمين للكتاب، وهم لا يعتمدون كتابا دون الرجوع لأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

لكن أراء علماء الشيعة اختلفت لاحقا حول الكتاب، فمنهم من ذهب لوضعه كابن الغضائري، والحق أنّ كتاب ابن الغضائري لم يصلنا وليس هناك سند لآرائه الرجالية، وعليه فهذا الرأي غير معتبر[٢].

وهناك من قال بصحّة الكتاب ومضمونه واعتمدوه كالشيخ المجلسي والحرّ العاملي والنوري الطبرسي وغيرهم.

وهناك من كان وسطا بين الفريقين كالشيخ المفيد[٣] والتستري، إذ يريان تطرق التدليس والخلط للكتاب ولا يجوز العمل به إلاّ بشاهد[٤]، والحقّ

---

(١) الغيبة، ص١٠٣.

(٢) وهذا رأي السيد الخوئي رحمه الله في: معجم رجال الحديث، ج١ ص٩٥ – ٩٦.

(٣) راجع: تصحيح اعتقادات الإمامية، ص١٤٩ – ١٥٠.

(٤) وهذا رأي الشيخ التستري قاله بعد أن وافق الشيخ المفيد، راجع: قاموس الرجال، ج١٠ ص٥٠٠.

أنّ أغلب كتاب سليم بن قيس له شواهد في كتب المسلمين سنّة وشيعة، فعلى رأي الشيخ التستري يكون ما جاء في كتاب سليم بن قيس صحيحا[(١)].

إنّ نصّ الشيخ النعماني يدلّ على وثاقة مؤلف الكتاب ووثاقة نقلته، وشهرته تُغني عن بحث إسناده.

ثمّ إنّ الكتاب عُرض على الأئمّة وأقرّوا بصحة ما رواه سليم وصدّقوه، لكن بعض العلماء ممّن يتشدّدون في إثبات الصدور أشكلوا على أسناد الكتاب، إذ فيه أبان بن أبي عياش، ومواضع يسيرة في الخلط والتصحيف، والحقّ أنّ مسائل التصحيف والخلط قلّما يخلو منها كتاب حديثي أو تاريخي، ولو قصدنا ضرب الأمثلة لخرجنا عن المقصود، لكن بعض الأعلام أجابوا على هذه الإشكالات.

والإشكال السندي لا يثبت لو طبّقنا مباني جمهور المسلمين، إذ أنّهم لا يشترطون وجود سند لكتاب ما حتّى يعملوا بما فيه، ولو أخذوا بمباني الشيعة الرجالية لما سلم لهم كتاب!

فلا مجال للطعن بكتاب سليم وفق مباني أهل الحديث السنّة.

قال الشيخ الألباني في مقدّمته وتحقيقه لكتاب «**فضل الصلاة على النبي ﷺ**»: (**على أنّ شهرة الكتاب عند العلماء، وتداولهم إياه، واعتمادهم**

---

(١) ولي دراسة معمّقة حول رجال كتاب سليم وشواهده، تثبت صحة مضمونه وأنّه سالم من الدسّ والتحريف، ولا زال هذا الكتاب قيد التأليف، عسى أن يُطبع هذه السنة.

عليه، يغني عن البحث في إسناده، فإذا ثبت، فهو قوة على قوة، وإلاّ لم يضرّه)[١].

إنّ الكثير من مضامين كتاب سليم مبثوث في كتب الحديث الإمامية، وهذا يشهد بصحّة وصدق أبان الذي روى الكتاب، وقد كانت وفاة أبان بن أبي عيّاش سنة ١٣٦هـ، أي في عصر الإمام الصادقعليه السلام، والكتاب الذي نقله عن سليم يحوي أسماء الأئمة الاثني عشرعليهم السلام، فكيف عرف أسماءهم إن لم يكن صادقا، ولا يقول عاقل أنّه كان يعلم الغيب!

قال الشيخ الحر العاملي: **(والذي وصل إلينا، من نسخه ليس فيه شيء فاسد، ولا شيء ممّا استدلّ به على الوضع، ولعلّ الموضوع الفاسد غيره، ولذلك لم يشتهر، ولم يصل إلينا)**[٢].

وقال الشيخ المازندراني: **(ثمّ اعلم أنّ أكثر الأحاديث الموجودة في الكتاب المذكور موجود في غيره من الكتب المعتبرة، كالتوحيد وأصول الكافي والروضة وإكمال الدين وغيرها، بل شذّ عدم وجود شيء من**

---

(١) فضل الصلاة على النبي (ص)، القاضي إسماعيل الجهضمي المالكي، ص١٣. وكلام الألباني ليس له اعتبار عند الإمامية وإنّما أوردناه للدلالة على أنّ شهرة الكتاب تُغني عن إسناده عند جمهور المسلمين، ولأنّه ينفع في مقام الاحتجاج والحوار مع الآخر.

(٢) وسائل الشيعة، ج٣٠ ص٣٨٥ – ٣٨٦.

أحاديثه في غيره من الأصول المشهورة)[١].

مظلومية الزهراء عليها السلام

يواجه الباحث والمستبصر آراء بعض المشكّكين أحيانا لما جرى على أهل بيت النبوّة خاصّة فاطمة الزهراء عليها السلام، ورؤيتي الخاصة إثبات تلك الظلامة التي وقعت عليها، ولا ينبغي أن يبني المرء اعتقاداته على أدلّة ضعيفة لا تصمد أمام النقض.

وفي عرضي لهذه الأدلة فإنّي أبدا بما ذكره سليم بن قيس الهلالي في نصّ طويل له، ومما جاء فيه (**فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت: (يا أبتاه) فرفع السوط فضرب به ذراعها**).

(**فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت وإنّ في عضدها كمثل الدملج من ضربته**).

وورد به أيضا: (**وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط ـ حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر: « إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها » ـ فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينا من بطنها فلم تزل صاحبة فراش**

---

(١) منتهى المقال في أحوال الرجال، ج٣ ص٣٨١.

حتّى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة) [١].

والجواب المعهود هو التشكيك بكتاب سليم بن قيس، لكن سليم ليس الوحيد الذي روى هذه النصوص، بل إنّه إن كان هناك شاهد لما جاء في كتاب سليم فيؤخذ به كما عن الشيخ التستري، بل إنّ الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) روى نصّ كتاب سليم هذا حرفيّا في كتابه (الاحتجاج) [٢]، وإيراد الشيخ الطبرسي لنص من الكتاب دليل على إجماع الطائفة على صحّته.

قال الشيخ الطبرسي في مقدمة كتابه مبيّنا منهجه، حيث قال: (**ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده إما لوجود الإجماع عليه أو موافقته لما دلّت العقول إليه أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف)** [٣].

وهذه شهادة حسّية مهمّة من الشيخ الطبرسي، وهو يعني صحّة النصّ الذي نقله عن كتاب سليم، بل هو في أعلى درجات الصحّة لإجماع الطائفة عليه حسب شهادة الشيخ في مقدمته.

ممّا يؤكّد ما روي في كتاب سليم والاحتجاج، وصحّة ما ذهب إليه الطبرسي، هو قول شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ): (**وممّا أنكر عليه: ضربهم لفاطمة عليها السلام. وقد روي أنّهم ضربوها بالسياط والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أنّ عمر ضرب على بطنها حتّى أسقطت،**

---

(١) كتاب سليم بن قيس، الحديث الرابع.

(٢) الاحتجاج، ج١ ص١٠٥ – ١١٣.

(٣) الاحتجاج، ج١ ص٤.

فسمّي السقط محسنا، والرواية بذلك مشهورة عندهم. وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته، وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأنّا قد بيّنا الرواية الواردة من جهة العامّة، من طريق البلاذري، وغيره. ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون في ذلك)[١].

في عمق كلام الشيخ

ـ ينقل الشيخ الطوسي شهادة حتّى زمانه أي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري، أنّه لا خلاف بين الشيعة حول ضربهاعليها السلام على بطنها حتّى أسقطت محسنا.

ـ إنّ قول الشيخ لا خلاف بين الشيعة، يعني اعتقاد الشيعة في القرون الثلاثة الأوّلى وعلى رأسهم أئمة أهل البيت الاثني عشرعليهم السلام بما جرى على الزهراءعليها السلام، ولو كان هذا الاعتقاد خاطئا لصحّح مساره الأئمّة، حيث كانوا عليهم السلام يشرفون على مسار شيعتهم الفكري ويصحّحون الانحرافات التي كانت تحدث، ولم ينقل الشيخ الطوسي عنهم شيئا من هذا القبيل بخصوص الزهراءعليها السلام؛ بل كلامه يعني موافقة الأئمّة لشيعتهم.

ـ إنّ الطائفة على مدى العصور وإلى الآن يقبلون آراء الشيخ الطوسي حول توثيق الرجال وجرحهم، ومن غير المعلوم أنّ آراءه هذه كانت عن حس

---

(١) تلخيص الشافي: ج٣ ص١٥٦.

أو حدس واجتهاد، وإن كان الأقوى اعتماده على ما وصله من أخبار حول الرواة، فلماذا لا نأخذ شهادة الشيخ حول إجماع الطائفة على الاعتداء على الزهراءعليها السلام وإسقاط ابنها، ونعدّها من هذا القبيل؟!

لماذا نعتمد رأيه في الرجال ولا نعتمد رأيه فيما قاله حول الزهراءعليها السلام؟!

مع العلم أنّ شهادة الشيخ الطوسي حول الاعتداء الآثم اعتمدت على الروايات المشهورة من طرق الشيعة كما ذكر في كلامه، وليست مبنيّة على حدس واجتهاد.

لقد جاءت الروايات عن أهل البيتعليهم السلام مؤكّدة لما جرى على فاطمةعليها السلام من كسرهم لضلعها وإسقاطهم جنينها، منها:

ـ ما رواه محمّد بن جرير الطبري الإمامي بسند معتبر: (**حدثني أبو الحسين محمّد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو علي محمّد بن همام بن سهيل (رضي الله عنه)، قال: روى أحمد ابن محمّد بن البرقي، عن أحمد بن محمّد الأشعري القمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبدالله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد (عليه السلام)، قال: ولدت فاطمة (عليها السلام) في جمادى الآخرة، يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله. وأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوما. وقبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة. وكان سبب وفاتها أنّ قنفذا مولى عمر لكزها بنعل السيف**

بأمره، فأسقطت محسنا ومرضت من ذلك مرضا شديدا، ولم تدع أحدا ممن آذاها يدخل عليها)[١].

وجاء في (دلائل الإمامة): **(وحملت بمحسن، فلما قبض رسول الله ﷺ، وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها، وإخراج ابن عمها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما لحقها من الرجل أسقطت به ولدا تماما، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها (صلوات الله عليها) ...)**[٢].

ـ وروى الشيخ الصدوق بسنده: **(عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان جالسا ذات يوم إذ أقبل الحسن(عليه السلام)، فلما رآه بكى، ثمّ قال: إليّ يا بنيّ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليمنى، ثمّ أقبل الحسين (عليه السلام) فلما رآه بكى، ثمّ قال: إليّ يا بنيّ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليسرى، ثمّ أقبلت فاطمة (عليها السلام)، فلما رآها بكى ...وإنّي لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها، وانتهكت حرمتها وغصبت حقّها ومنعت إرثها وكسر جنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي: يا محمّداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث)**[٣].

ورواه أبو القاسم الطبري بسند آخر، وباللفظ نفسه[٤].

---

(١) دلائل الإمامة، ص١٣٤.

(٢) دلائل الإمامة، ص١٠٤.

(٣) الأمالي، ص١٧٥ – ١٧٦.

(٤) بشارة المصطفى، ص٣٠٧.

وروى الشيخ الصدوق: (**عن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي مما يصنع بكم بعدي. فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها...**)[1].

روى ابن قولويه بسند معتبر: (**حدّثني محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد، عن عبدالله بن حماد البصري، عن عبدالله بن عبد الرحمان الأصم، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: لما أسري بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء قيل له: إنّ الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك، قال: أُسلِّم لأمرك يا ربّ ولا قوّة لي على الصبر إلاّ بك، فما هنّ، قيل له: أوّلهنّ الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة، قال: قبلت يا ربّ ورضيت وسلمت ومنك التوفيق والصبر. وأما الثانية فالتكذيب والخوف الشديد وبذلك مهجتك في محاربة أهل الكفر بمالك ونفسك، والصبر على ما يصيبك منهم من الأذى ومن أهل النفاق والألم في الحرب والجراح، قال: قبلت يا ربّ ورضيت وسلّمت ومنك التوفيق والصبر. وأما الثالثة فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل، أمّا أخوك عليّ فيلقى من أمّتك الشتم والتعنيف**

---

(١) الأمالي، ص١٩٧.

والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم وآخر ذلك القتل، فقال: يا ربّ قبلت ورضيت ومنك التوفيق والصبر، وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقّها غصبا الذي تجعله لها، وتضرب وهي حامل، ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن، ثمّ يمسّها هوان وذلّ ثمّ لا تجد مانعا، وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب. قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون قبلت يا ربّ وسلّمت ومنك التوفيق للصبر...) [1].

وروي من كلام عليّ عليه السلام للمغيرة: **(وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أدميتها وألقت ما في بطنها، استدلالا منك لرسول الله صلى الله عليه وآله ومخالفة منك لأمره، وانتهاكا لحرمته)** [2].

والنصّ من كتاب الاحتجاج، وصاحبه لا يُخَرِّج في كتابه إلاّ المجمع عليه أو المشهور في كتب السير.

وروى الشيخ الكليني: **(أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثن)** [3].

قال محمّد صالح المازندراني: **(والشهيد من قتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعاً، ثمّ اتسع فأطلق على كلّ من قتل منهم ظلماً كفاطمة (عليها السلام) إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل فسقط حملها**

---

(١) كامل الزيارات، ص٥٤٧ – ٥٤٩.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي ج١ ص٤١٤.

(٣) الكافي ج١ ص٤٥٨.

فماتت لذلك) [(١)].

جاء في كتاب (الاختصاص) للشيخ المفيد: (**فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثمّ لطمها فكأنّي أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت)** [(٢)].

وجاء في بحار الأنوار نقلا عن السيد ابن طاوس: (**قال السيد ابن طاوس ـ ره ـ في كتاب زوائد الفوائد: ... ولطم وجه الزكيّة عليها السلام)**[(٣)].

وقال المؤرخ الشيعي المسعودي (ت ٣٤٦هـ): (فهجموا عليه ـ على عليّ عليه السلام ـ وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرها، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتّى أسقطت محسنا)[(٤)].

وقال الكراجكي (ت ٤٤٩هـ): (**وزعم أنّ خير خلق الله يهجر في كلامه، ولطم فاطمة ابنته، وأتى بالحطب ليحرق بيتها على من فيه)**[(٥)].

ـ نسب أبو الحسين المَلَطي (ت٣٧٧هـ) إلى هشام بن الحكم وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام القول برفسهم فاطمة في بطنها، قال: (**فزعم**

---

(١) شرح أصول الكافي ج٧ ص٢١٣.

(٢) ص١٨٥.

(٣) بحار الأنوار، ج٩٥ –ص ٣٥١ – ٣٥٤.

(٤) إثبات الوصية، ص١٢٤.

(٥) التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، ص١٣٩.

هشام ... وأنّ أبا بكر مرّ بفاطمة عليها السلام فرفس في بطنها فأسقطت)[1].

وكلام الملطي الأخير يدلّ على أنّ اعتقاد الشيعة بما جرى على الزهراء قديم ولم يُخترع لاحقا كما يزعم البعض، فهشام بن الحكم عاش في بدايات القرن الثاني الهجري، وامتدّ به العمر (ت ١٧٩هـ).

من كتب الجمهور

قال الشيخ ابن شهرآشوب: (**وفي معارف القتيبي أنّ محسنا فسد من زحم قنفذ العدوي**) [2].

ولكن هذه العبارة غير موجودة بهذه الصيغة في (المعارف) وإنما قال ابن قتيبة الدينوري: (**وأما محسّن بن عليّ فهلك وهو صغير**) [3].

قال شيخ السيرة ابن إسحاق (ت ١٥١هـ): (**فولدت فاطمة لعلي الحسن والحسين ومحسن فذهب محسن صغيرا**) [4].

وقال ابن طاهر المقدسي (ت ٣٥٥هـ): (**وهو الذي تزعم الشيعة أنّها**

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ج١ –ص ٢٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣ ص١٣٣.

(٣) المعارف، ص٢١١.

(٤) سيرة ابن إسحاق، ج٥ ص٢٣١. وروي هذا النص عن ابن إسحاق كلا من: الدولابي (ت ٣١٠هـ) في (الذرية الطاهرة النبوية، ص٩٢. والبيهقي في (دلائل النبوة) ج٣ ص١٦١.

أسقطته من ضربة عمر، وكثير من أهل الآثار لا يعرفون محسنا) [١].

وقال الحافظ المزّي عن عليعليه السلام: (**وكان له من الولد الذكور أحد وعشرون: الحسن، والحسين، ومحمّد الأكبر وهو ابن الحنفية، وعمر الأطرف وهو الأكبر، والعباس الأكبر أبو الفضل قتل بالطفّ ويقال له: السقّاء أبو قربة. أعقبوا، والذين لم يعقبوا: محسن درج سقطا...)** [٢].

وقال الصفدي (**أما الذكور فالحسن والحسين ومحمّد وعمر الأكبر والعباس الأكبر وهؤلاء الخمسة هم الذين أعقبوا والمحسن طرح)** [٣].

وقال الصفوري: (**وكان الحسن أوّل أولاد فاطمة الخمسة الحسن والحسين والمحسن كان سقطا)** [٤].

وقال ابن الأثير وأبو الحسن القرطبي: (**وتوفّي المحسن صغيرا)** [٥].

وفي شرح الزرقاني: (**وولدت لعليّ: حسنا وحسينا ومحسنا، فمات صغيرا)** [٦].

---

(١) البدء والتاريخ، ج٥ ص٢٠.

(٢) تهذيب الكمال، ج٢٠ ص٤٧٩.

(٣) الوافي بالوفيات، ج٢١ ص١٨٥.

(٤) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج٢ ص١٧٧.

(٥) أسد الغابة، ج٤ ص٣٠٨. والتعريف بالأنساب والتنويه بذوي الأحساب، ج١ ص٣.

(٦) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للزرقاني المالكي، ج٤ ص٣٣٩.

وقال إبراهيم النظام المعتزلي (٢٣١هـ): (...**أنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين**)[1].

ـ أبو بكر بن أبي دارم (ت ٣٥١هـ) كان يذهب إلى صحّة حادثة رفسهم لفاطمةعليها السلام. قال الذهبي عنه: (**كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثمّ في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب. حضرته ورجل يقرأ عليه: أنّ عمر رفس فاطمة حتّى أسقطت بمحسن**)[2].

وصف الذهبي ابن أبي دارم بأنّه الحافظ ومحدّث الكوفة لكنّه طعن به واتّهمه بالكذب بالرغم من أنّه متأخّر عنه (ت ٧٤٨هـ) ولم يعاصره ولم يعتمد الذهبي في حكمه على قول أحد من أئمّة الحديث المتقدّمين، والحقّ أنّه لم يجرح أحد ابن أبي دارم، وهو من شيوخ الحاكم النيسابوري، وقد روى عنه في المستدرك أربعة وأربعين حديثا، وصحّح ثمانية عشر من أحاديثه على شرط الشيخين أو أحدهما، وتصحيح حديثه يعني توثيقه له.

وقد ذكر الحاكم حديثا وقع في سنده وقال: (**ورواته عن آخرهم ثقات**)[3].

لقد وصفه الذهبي بأنّه الحافظ محدّث الكوفة، ولكن لمّا رأى أحاديثه في

(١) نقله عنه الشهرستاني في الملل والنحل، ج١ ص٥٧.

(٢) لسان الميزان لابن حجر، ج١، ص٢٦٨.

(٣) المستدرك، ج٣ ص٣٥٢.

أهل البيت عليهم السلام، وروايته: أنّ عمر رفس فاطمة عليها السلام. طار عقله واتّهمه بلا دليل إلاّ العصبية، ومن هنا نفهم عدم ورود أمثال هذه الأخبار في كتب المحدّثين، فهم كانوا يتحاشون رواية المثالب، ويحملون على رواتها، قال الذهبي مثلا عن المذكور: (**له ترجمة سيئة في الميزان** [1] **ذكرنا فيها ما حدث به من الإفك المبين، لا رعاه الله**)[2].

والغريب أنّ كلّ هؤلاء النقّاد والمؤرّخين يؤكّدون وجود ابن لعليّ عليه السلام اسمه محسن سقط قبل ولادته، ولا يبيّنون السبب، فإنّ لكلّ شيء سببا، لا شكّ أنّ للسياسة والمذهبية دور كبير في إخفاء الحقائق وطمسها.

إنّ الرواية التاريخية تُدرس مع شواهدها ولا يشترط أهل التاريخ صحة السند للرواية التاريخية، وما قدّمناه بشأن ما حدث للزهراء عليها السلام كاف في إثبات هذه الواقعة الأليمة.

لقد كان المحدّثون يتجنّبون الأحاديث التي فيها نزاع بين الصحابة وتتحدّث بمثالبهم، وهذا من الأسباب المهمّة لخفاء بعض تفاصيل الأحداث في كتب الجمهور.

روى الخلال: (**أخبرنا أبو بكر المروذي قال سمعت أبا عبدالله يقول إنّ قوما يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد**

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٢٨٣ـ٢٨٤.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص٨٨٤.

حكوا عنك أنّك قلت أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها فغضب وأنكره إنكارا شديدا وقال باطل معاذ الله أنا لا أنكر هذا لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته فكيف في أصحاب محمّدﷺ وقال أنا لم أكتب هذه الأحاديث قلت لأبي عبدالله فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟ قال نعم يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم) [1].

أين شجاعة عليّعليه السلام؟

من المغالطات التي يكثر السلفيون ومن سار على منوالهم ترديدها قولهم: أنتم تطعنون بعليّ حين تزعمون أنّ الصحابة اعتدوا على فاطمةعليها السلام، أين شجاعته وغيرته؟ لماذا لم يدافع عنها ...؟

يستغرب المرء من هذه الحجّة الضعيفة التي تُكرّر دائما؟ ولو فهم هؤلاء حركة التاريخ، وتصرّف الحكماء مع ملاحظة ظروف الحدث لما قالوا شبهتهم هذه.

يذكر لنا القرآن الكريم قصة لوط، وكيف أنّ قومه هرعوا إليه لطلب الفاحشة حين رأوا ضيوفه، فكان جواب لوطعليه السلام كما أخبر الله عزّ وجلّ:

---

(١) السنة، للخلال، ج٣ ص٥٠١.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[1].

قال الطبري: (**يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه حين أبوا إلاّ المضيّ لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: ﴿لو أنّ لي بكم قوة﴾، بأنصار تنصرني عليكم وأعوان تعينني ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾، يقول: أو أنضمّ إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منّي في أضيافي**)[2].

فهل يصح الاعتراض على نبي الله بمنطق هؤلاء الجهلة بالقول لماذا لم يدافع لوط عن ضيوفه؟ خاصّة أنهم ما جاءوا لضربهم وإنّما لممارسة الفاحشة معهم، وكيف يعرض عليهم بناته فقال: ﴿**هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي**﴾[3].

أين غيرته وشجاعته وهو نبيّ مؤيّد من الله؟ هل كان جبانا خائفا والعياذ بالله؟

وما يجيب به هؤلاء نجيب به

مما يذكره لنا القرآن الكريم استخلاف النبي موسى عليه السلام لأخيه هارون، ولكن قومه انقلبوا عليه واتّبعوا السامري، وعبدوا العجل. قال

---

(١) سورة هود، ٨٠.

(٢) جامع البيان، الطبري (الوفاة: ٣١٠هـ)، ج١٢ ص١١٣.

(٣) سورة هود، ٧٨.

تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إلاّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (١).

نلاحظ في آخر الآيات أنّ هارون كان موصى إلاّ يفرّق بني إسرائيل، وأنّ هناك وصيّة من موسى لهارونعليه السلام. لماذا سكت هارون ولم يجاهدهم وقد أشركوا بالله، لماذا لم يقتلهم؟ أين شجاعته وهو نبي، أين غيرته على دين الله؟

روى البخاري قصة إبراهيمعليه السلام وسارة مع أحد الجبابرة: **(عن أبي هريرة... بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إنّ ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال أختي فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإنّ هذا سألني عنك فأخبرته أنّك أختي فلا تكذّبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك فدعت الله فأطلق ثمّ تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشدّ فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنّكم لم تأتوني بإنسان إنّما أتيتموني بشيطان...)** (٢).

---

(١) سورة طه، ٩٤.

(٢) صحيح البخاري، ج٤ ص١١٢.

نلاحظ في هذه القصة أنّ ذاك الجبار أراد الاعتداء على سارة واغتصابها، ولم يتحرّك إبراهيمعليه السلام للدفاع عن زوجته وعرضه، بل تزعم الرواية أنّه أرسلها ليزني ذاك الجبار بها، هذا وهو نبيّ من أولي العزم، ووفق منطق أولئك الجهلة يُقال أين شجاعة إبراهيمعليه السلام أين غيرته على عرضه وشرفه؟ هل كان جبانا والعياذ بالله؟!

روي أنّ رجلا يُدعى هبار قتل زينب ابنة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يقتله النبيصلى الله عليه وآله بل عفا عنه!

قال ابن حجر: (**وأما هبار فكان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجرت فنخس بعيرها فأسقطت ولم يزل ذلك المرض بها حتّى ماتت فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدر النبيّ صلى الله عليه وسلم دمه أعلن بالإسلام فقبل منه فعفا عنه**) [1].

لماذا لم يقتل النبيصلى الله عليه وآله هبارا؟ أين غيرته أين شجاعته؟ ولماذا يعفو عنه وهو المعتدي على ابنته؟

فما عسى المعترضون أن يجيبوا على سكوت أنبياء الله عن قتل بناتهم وعن التعرّض لزوجاتهم؟!

---

(١) فتح الباري، ج٨ ص٩.

لقد اتَّهم بعض الصحابة زوجة النبيﷺ بالزنا، ومنهم حسان بن ثابت ومع ذلك لم يفعل النبيﷺ لهم شيئا، وبقي ينتظر الوحي، أين شجاعة النبيﷺ؟ وكيف يقبل طعن الناس بعرضه؟

لماذا لم ينتفض أبو بكر لأجل ابنته ويقتل أولئك النفر أو يؤدّبهم؟ لماذا لم يدافع عن ابنته وهي عرضه؟ هل كان جبانا؟

ومن المعلوم أنّ والدي عمار بن ياسر رضوان الله عليهم كانا من أتباع النبيﷺ وقد قتلهما المشركون، وكان النبيﷺ يمرّ عليهم، ويصبّرهم، ولم يحمل سيفا ويدافع عنهما، ولم يدافع عن بلال وعمّار وهما يعذّبان، فهل كان النبيﷺ مقصّرا بعدم دفاعه عن أتباعه من المؤمنين؟! هل يصحّ القول أين شجاعته وغيرته على المؤمنين؟! إذا كان للنبيﷺ عذر فلِعليّعليه السلام عذر كذلك.

وحين نأتي إلى عثمان بن عفان نرى أنّ الثائرين قد دخلوا بيته وضربوه وقطعوا أصابع زوجته وضربوها على مؤخّرتها، ولم يفعل عثمان شيئا.

روى الطبري: (... **فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبّت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتّقت السيف بيدها فتعمّدها ونفح أصابعها فأطنّ أصابع يدها وولّت فغمز أوراكها**

وقال: إنّها لكبيرة العجيزة، وضرب عثمان فقتله) [١].

أين شجاعة عثمان وهو أفضل من عليّعليه السلام، أين شجاعته حين هجم عليه الثوّار وقادتهم من الصحابة؟ لماذا لم يدافع عن عرضه؟ هذا والاعتداء عليها كان وهو لا يزال حيّا كما ذكر الطبري وغيره!

قال البعض: إنّ لدى عثمان وصيّة بالصبر. أخرج الحاكم وصحّحه: **(... فجعل النبي صلى الله عليه وآله يسرّ إلى عثمان ولون عثمان يتغيّر قال فلما كان يوم الدار قلنا ألا تقاتل؟ قال لا إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليّ أمرا فأنا صابر نفسي عليه)** [٢].

قال ابن تيمية: **(ومن المعلوم بالتواتر أنّ عثمان كان من أكفّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس على من نال من عرضه ... فكان صبر عثمان حتّى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين)** [٣].

لماذا يرتضي هؤلاء ما قيل في حقّ عثمان ولا يرضونه في عليّعليه السلام؟! فعليّعليه السلام قد أوصاه رسول الله بالصبر إن لم يجد أعوانا.

إنّ المصادر الإمامية تذكر دفاع عليّعليه السلام عن الزهراءعليها السلام، حتّى كاد أن يقتل أحدهم، ففي كتاب «سليم بن قيس» وتحت عنوان (دفاع عليّعليه السلام عن سليلة النبوة) قال: **(فوثب عليّعليه السلام فأخذ بتلابيبه ثمّ نتره فصرعه ووجأ أنفه**

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣ ص٤٢١، البداية والنهاية لابن كثير، ج٧ ص٢١٠.

(٢) المستدرك، ج٣ ص٩٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، ج٦ ص٢٨٦.

ورقبته وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله ﷺ وما أوصاه به، فقال: «والذي كرّم محمّدا بالنبوة ـ يا بن صهاك ـ لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليّ رسول الله ﷺ لعلمت أنّك لا تدخل بيتي»... فأقبل الناس حتّى دخلوا الدار وثار عليّ عليه السلام إلى سيفه. فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج عليّ عليه السلام إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته...)[1].

فهذا النصّ التاريخي الذي ينقله سليم[2] وهو تلميذ عليّ عليه السلام، يثبت دفاع عليّ عليه السلام؛ بخلاف ما فعله عثمان حيث لم يتحرّك أبداً للدفاع عن نفسه أو زوجته التي ضربوها على عجيزتها وقطعوا أصابعها.

كان يستطيع عليّ عليه السلام أن يجرّد سيفه ويقتل كلّ من يقترب منه، حتّى يبيد الأمّة كلّها أو يقتلوه، وفي كلا الحالتين ضرر فادح وعظيم.

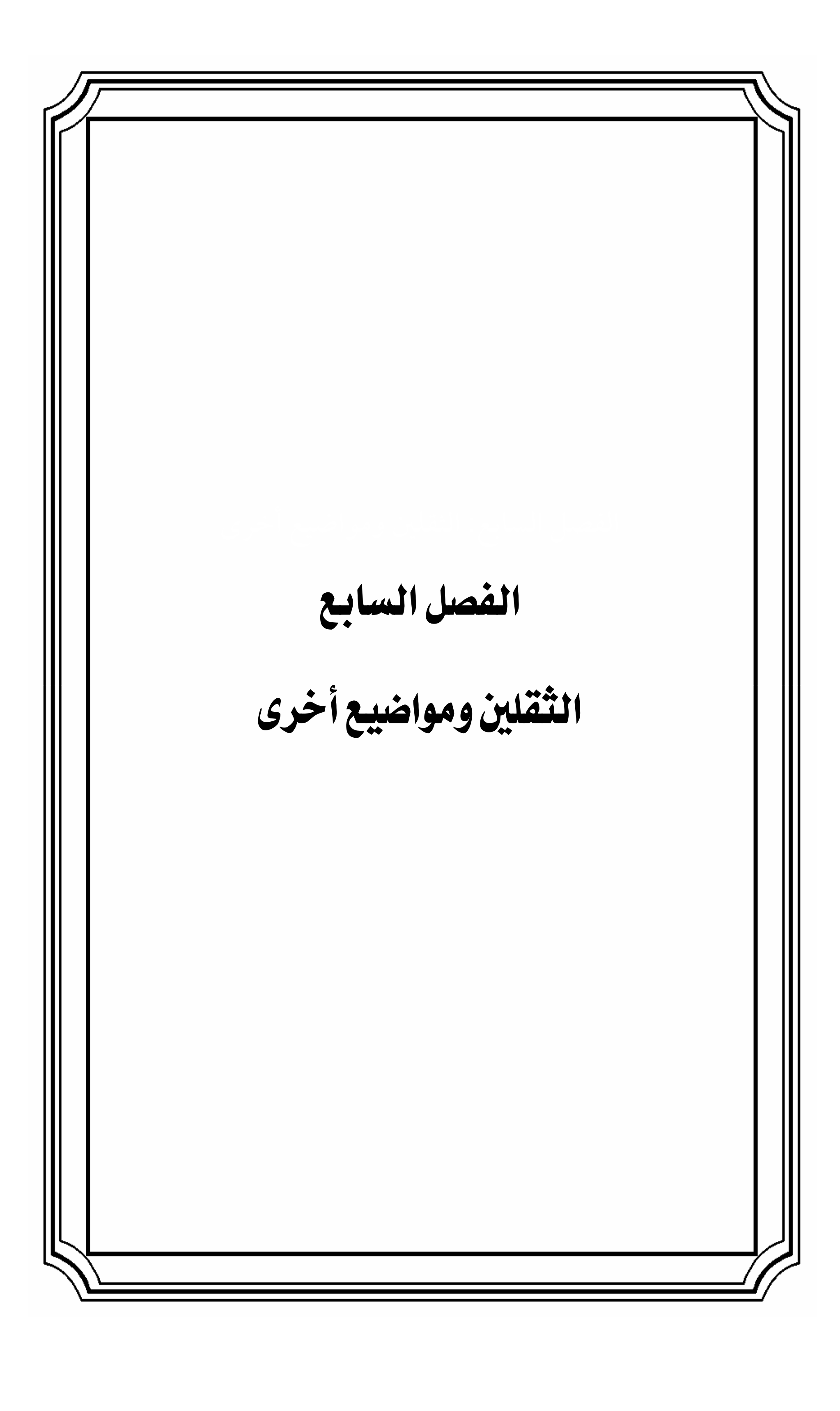
إنّ من أهمّ صفات الإمام عليه السلام هو الصبر على ما ينزل به من بلاء. قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[3].

---

(١) كتاب سليم بن قيس، ص١٥٠، بحار الأنوار، ج٢٨ ص٢٦٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس، ص١٥٠.

(٣) السجدة، ٢٤.



الفصل السابع

الثقلين ومواضيع أخرى

الغدير كلمة مختصرة

جاء النصّ القرآني موضحا موقعية النبي ﷺ في الأمّة، فقال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾[1].

وضّح النبيﷺ هذه الآية فقال: (**ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعا فليأتني فإنّي مولاه**)[2].

ومعنى الأولوية في الآية وضّحها أكثر من مفسر، قال الطبري: (**النبي محمّد أولى بالمؤمنين يقول: أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم... قال ابن زيد: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلّما**

(١) سورة الأحزاب، ٦.

(٢) مسند أحمد، ج٢ ص٣٣٤ – ٣٥.

قضيت على عبدك جاز)[١].

وفي نصّ الغدير الصحيح المتواتر ابتدأ النبي ﷺ كلامه بعد أنّ أخذ بيد عليّ فقال:

«ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟!

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟!».

فهو يذكرهم بموقعيته وحاكميته عليهم.

«قالوا: بلى قال: فأخذ بيد عليّ فقال: من كنت مولاه»

أي من كنت أولى به من نفسه.

«فعليّ مولاه»

فعليّ أولى به من نفسه.

«اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئا يا بن أبي طالب! أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة»[٢].

فجعل النبي علياً أولى بالناس من أنفسهم كما كان هو أولى بهم من أنفسهم، وهذه معنى الإمامة التي يتوهّم البعض أنّها الخلافة فقط.

---

(١) تفسير الطبري، ج٢١ ص١٤٦.

(٢) مسند أحمد ج٤ ص٢٨١ (٢).

إنّ دلالة النصّ من الوضوح بمكان، لولا التعصّب والمكابرة والعناد.

مولى وخليفة

كانت لي جلسة مع أحد الأخوة وهو من دولة فلسطين، بحضور بعض الأصدقاء، وقد قرأ وبحث كثيرا ووصل إلى قناعة بصحة النظرية الشيعية، ولكنّه لم يصل إلى جواب لشبهة علقت في ذهنه، قال: آمنّا أنّ حديث الغدير نصّ على عليّ عليه السلام، ولكن لماذا لم يقل النبي صلى الله عليه وآله عبارة واضحة الدلالة في كونه خليفة من بعده، حتّى لا يقع هذا الاختلاف الذي نشهده بين أبناء الأمّة؟

وممّا قلت في جوابه ـ حيث كان مقنعا له ـ: لسنا نحن من يقرّر على رسول الله ما يقول وما لا يقول، فهو أفصح العرب وأفضل من نطق اللغة وهو معصوم مؤيّد من الله يتّبع ما يوحى إليه، فلا شكّ أنّ عبارته هي الأمثل والأجمل تؤدّي غرضها بكلّ سهولة ووضوح، لكن بسبب بُعدنا عن اللغة وفقدان الذوق الأدبي لدى أبناء الأمّة صِرنا نتعثر في فهم النصوص الدينية، ثمّ إنّ المذهبية لها دورها، فكثير من العلماء بذلوا جهدهم لصرف نصّ الغدير عن مراده بإلقاء الشبهات وتمييع كلمات المصطفى صلى الله عليه وآله، فأدّى هذا إلى بعض الحيرة التي سرعان ما تزول حين يدقّق المرء النظر بإنصاف وتجرد.

إنّ كلمة خليفة التي اقترحت قولها للدلالة على الإمامة العظمى، هي مفردة تدلّ على منصب سياسي، حيث يتولّى شخص منصب رئيس الدولة وينظم أمورها الداخلية والخارجية، وهذه المفردة لا تؤدّي الغرض من التعيين الإلهي، فالله ورسوله لا يريدان خليفة يشغل منصب رئيس الدولة ويقوم

بمهامه فقط، وإنما يريدان تعيين مرجعية سياسية ودينية، فالنبيﷺ كان تلك المرجعية في زمنه، وقد جعل ﷺ عليا أولى بالناس من أنفسهم، فقال: (**من كنت مولاه فعليٌ مولاه**) أي من كنت أولى به من نفسه فعليٌ أولى به من نفسه، حيث جعل عليّاًعليه السلام في المنزلة التي هو بها، إلاّ أنّه ليس نبيا يأتيه الوحي، فعليّ تجب طاعته وهو أولى بالناس من أنفسهم كما هو حال رسول الله، وفي هذا ضمان لحفظ الدين من الدسّ والتحريف، ثمّ إنّ الأمر من بعده في ولده المنصوص عليهم كما هو مذكور ومفصل في كتب الإمامية.

حديث حسن في عصمة أهل البيتعليهم السلام

روى الفسوي: (**حدثني يحيى بن عبدالحميد قال: حدّثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي الأسدي عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما وذلك قول الله عزّ وجلّ وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله فأصحاب الميمنة والسابقون السابقون فأنا خير السابقين، ثمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، إنّ الله عليم خبير، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله عزّ وجلّ. ثمّ جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس**

أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب) [١].

دراسة السند

نذكر هنا كلام الألباني في سند الحديث، ثمّ نردّه، قال: (**واهٍ جدّاً؛ ليس فيه ثقة سوى الأعمش: أوّلا: عباية هذا؛ ذكره العقيلي في "الضعفاء"، وقال: "غال ملحد، وكان يشرب الدنّ وحده". ثانيا: قيس ـ وهو ابن الربيع ـ ضعيف. ثالثا: يحيى بن عبد الحميد ـ وهو الحماني ـ؛ قال في "التقريب": "حافظ؛ إلاّ أنّهم اتهموه بسرقة الحديث". قلت: وآثار الوضع والغلوّ في المتن ظاهرة؛ لا سيما في الجملة الأخيرة منه: "..مطهّرون من الذنوب"...**) [٢].

عباية بن ربعي

ـ قال أبو حاتم فيه: «شيخ». وهذه اللفظة عند أبي حاتم، إن لم تكن توثيقاً فهي تقوّي حال الراوي الذي قيلت فيه. سأل ابن أبي حاتم أباه عن

---

(١) المعرفة والتاريخ، ج١ ص٤٩٨، ومن مصادر الحديث: تفسير الدر المنثور للسيوطي، ج٥ص ١٩٩، تفسير فتح القدير للشوكاني، ج٤ ص٢٨٠، تفسير الألوسي، ج٢٢ص ١٤، إمتاع الأسماع للمقريزي، ج٣ ص٢٠٨، دلائل النبوة للبيهقي، ج١ ص١٧١، المنتقى من مسموعات مرو لضياءالدين المقدسي، مخطوط، ص١٩٣، فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان، ص٨٨، مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٣٠٥.

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٥٥.

عبد الرحمن بن عطاء المديني؟ **(فقال: شيخ. قلت: أدخله البخاري في كتاب الضعفاء، فقال: يحوّل من هناك)** [١].

وقد ترحّم عليه ابن سعد فقال: رحمة الله عليه وبركاته، مما يشعر بمدحه[٢].

ـ ذكره ابن حبان في الثقات؛ أما الحاكم فقد صحّح أحاديثه في المستدرك ثلاث مرات وهذا توثيق منه له[٣].

ـ احتجّ به الطبري في (تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار) [٤] موثّقاً إياه بذلك، وهو لا يروي في كتابه هذا إلاّ عن الثقات لديه[٥].

ممن تكلم بربعي العقيلي ووصفه بالغلوّ والإلحاد[٦].

---

(١) الجرح والتعديل، ج٥، ص٢٦٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ج٦ ص١٢٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين، ج٢ ص٤٦١، ص٤٩٥، ص ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(٤) ج١، ص٣٠٠

(٥) قال الطبري: (إن قال لنا قائل: ما أنت قائل في هذا الخبر ... وقد شرطت في كتابك أنّك لا تذكر فيه من الأخبار إلا ما صحّ عندك سنده؟) تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، ج١ ص١٢٢ وكرر هذا المعنى في صفحة ٣٤١ و٦٢٢ و٧٠٩.

(٦) ضعفاء العقيلي، ج٣ ص٤١٥.

ويقصد بالغلوّ غلوّ التشيع وليس هذا طعنا بالرجل، فأهل الحديث يروون عن غلاة الرافضة ويوثّقونهم كعباد بن يعقوب وعدي بن ثابت الذين روى لها البخاري ومسلم.

أما اتهامه له بالإلحاد فلم يسبقه إليه أحد، ولم يذكر دليله على ذلك، وليس هو من معاصري عباية حتّى يطمئن المرء لقوله، فوفاة العقيلي كانت سنة ٣٢٢هـ، وتوفّي عباية في القرن الأوّل الهجري كما يظهر، فبينهما مدّة طويلة ولم يذكر العقيلي سندا لكلامه.

وأمام جرح العقيلي نجد ثناء وتوثيق ابن حبان وأبو حاتم والحاكم وابن سعد والطبري.

يحيى بن عبد الحماني

ـ وثّقه يحيى ابن معين، قال ابن حجر، بعد أن ذكر توثيق ابن معين له: **(وهكذا قال الدوري، ومحمّد بن عثمان بن أبي شيبة، والبغوي، وابن الدورقي، ومطين، وجماعة عن ابن معين)** [1].

ـ روى له مسلم في صحيحه، فهو من رجاله، فيكون ثقة أو صدوقا على الأقلّ، وذكره ابن حبان في الثقات. وممّن وثّقه النسائي في إحدى الروايات عنه وابن عدي وأحمد بن زهير ومحمّد بن عبدالله بن نمير وقد ذكره ابن شاهين في تاريخ أسماء الثقات.

ـ قال أحمد بن منصور الرمادي: «**هو عندي أوثق من أبي بكر بن أبي**

---

(١) تهذيب التهذيب، ج١١، ص٢١٣ ـ ٢١٨.

شيبة، وما يتكلّمون فيه إلاّ من الحسد» [١].

ـ الحاكم: خرج له في المستدرك وصحّح بعض أحاديثه، موثّقا إيّاه بذلك[٢].

ـ مدحه الذهبي ووثقه بقوله: (**الحافظ الإمام الكبير أبو زكريا ابن المحدّث الثّقة أبى يحيى الحماني الكوفي صاحب المسند الكبير**)[٣].

قيس بن الربيع

أثنى عليه أبو حصين، ووثقه شعبة والثوري وأبو الوليد ومعاذ بن معاذ وأثنى عليه ابن عيينه وطعن فيه البعض لكن قال فيه ابن عدي: وعامّة رواياته مستقيمة والقول فيه ما قال شعبة وأنّه لا باس به[٤].

ـ احتجّ به مالك في الموطّأ وهو لا يروي إلاّ عن الثقة عنده[٥].

ـ احتجّ به الطبري في تهذيب الآثار فوثقه بذلك[٦].

---

(١) راجع الأقوال السابقة في: تهذيب التهذيب، ج١١، ص٢١٣ ـ ٢١٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣ ص١٤٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٠ ص٥٢٧.

(٤) تهذيب التهذيب ج٨ ص٣٥٠.

(٥) موطّأ مالك، ص١٨١، وراجع شرح صحيح مسلم للنووي، ج١، ص١٢٠، هناك ذكر النووي شرط مالك في موطّئه وأنه لا يروي إلا عن ثقة عنده.

(٦) ص٦٢٠.

ـ احتجّ به ابن أبي حاتم في تفسيره اثنتي عشرة مرة وهو لا يخرج في تفسيره إلاّ أصحّ الأسانيد[١].

ـ قال ابن حجر فيه: صدوق تغيّر لما كبر[٢].

ـ قال ابن القطان في إسنادٍ وقع فيه قيس بن الربيع: (هذا إسناد حسن)[٣]، وهذا توثيق منه له.

الأعمش

من رجال البخاري ومسلم، والأغلب على توثيقه.

مما تقدّم نعلم بُعد كلام الألباني عن الصواب، وأنّ هذا الحديث أقلقه فأفقده توازنه، وقد بينّا وثاقة رجال سنده.

حوار

اعترض عليّ أحد الأشاعرة، بقوله: (**الأعمش لم يقل حدّثنا**)؛ لأنّه متّهم بالتدليس وقال: (**المبتدع إن حدّث ما يوافق بدعته فلا تقبل روايته**).

وجوابي له: بالنسبة لعنعنة الأعمش فقد احتجّ بها البخاري في أكثر من ٢٠٠ مورد، واحتجّ مسلم بعنعنته أكثر من ٣٠٠ مرة، فمن لا يحتج بعنعنته فعليه أن يرمي أحاديثه التي خرّجها الشيخان والتي تربو على ٥٠٠

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ص١٣٥٤.

(٢) تقريب التهذيب ج٢ ص٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ج١ ص١٨٠.

حديث.

ولا يُقال إنّ الشيخين قد اطّلعا على التصريح بالسماع من طرق أخرى، إذ أنّ هذا لا دليل عليه، وقد ردّ هذا الكلام الحافظ المزّي فقد سُئل: (**هل وجد لكلّ ما رواه الشيخان بالعنعنة طرق صرح فيها بالتحديث؟ فقال: إنّ كثيرا من ذلك لم يوجد وما يسعنا إلاّ تحسين الظنّ**)[1].

أما قولك: (**المبتدع إن حدّث ما يوافق بدعته فلا تقبل روايته**) فهي قاعدة أوجدها البعض للتخلص من لوازم بعض الأحاديث التي تحاصرهم وهي مناورة مفضوحة منهم، وقد أشرنا سابقا إلى رواية الشيخين عن بعض كبار الرافضة الداعين، ولكن لا بأس بشيء من التفصيل، فالمبتدع الثقة الذي يروي ما يقوّي بدعته، هو ثقة سواء روى ما يقوّي بدعته أم لا، فمن يرفض رواياته إن جاءت مقوّية لبدعته فعليه أن يرفض جميع رواياته في كلّ الكتب، لأنّه إن كان كاذبا فيها فهو كاذب في سواها، وإذا التزم أهل الفن بوثاقته فينبغي قبول جميع رواياته، وهذا الذي يقبله العقل ويقتضيه الإنصاف. لقد روى الشيخان وغيرهما عن الشيعة الغلاة، ورووا ما يؤيد بدعتهم وهذا دليل على جواز هذا الأمر عندهم.

---

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الدمشقيّ ج١ ص٢٤٨ و٦٣٦ وتدريب الراوي ١ / ١٢٣.

ـ قال المحاور في رد كلامي: (**أما الأعمش فهو لم يصرّح بالسماع، وخذ كلام الإمام الذهبي**):

(**الأعمش يدلّس، وربما دلّس عن ضعيف ولا يدري به، ومتى قال: حدّثنا فلا كلام، ومتى قال: عن، تطرّق إليه احتمال التدليس إلاّ في شيوخ له أكثر عنهم كـ إبراهيم وأبي وائل وأبي صالح السمان فإنّ روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال**)[1].

ـ أولا: توسّلت بعنعة الأعمش لتطعن بالحديث، وذكرت لك احتجاج البخاري ومسلم بعنعنته أكثر من ٥٠٠ مرّة ولم تجب**!** وعلى كلام الذهبي يلزم رمي روايات الأعمش المعنعنة في الصحيحين والتي تجاوزت الخمسمائة رواية مع العلم بأنّ كثيرا من المتقدّمين من أهل الحديث قبلوا عنعنة الأعمش، وهو مذهب كبار نقاد الحديث كابن حنبل وابن معين وأبي حاتم والبخاري ومسلم.

ـ قال المحاور: (**مثلاً تحتجّ بكلام أبي حاتم وهو يقول الحديث باطل**).

ـ أحتجّ بكلامه في بيان حال الرواة الذي هو تخصّصه، ولا أقبل حكمه على حديث ما خاصّة إن كان يخالف ميوله وهواه، وأبو حاتم لم يبيّن سبب طعنه بالحديث، وواضح أنّ طعنه بالحديث وطعن غيره به هو لأجل المتن الذي يهدم عقيدتهم، وكذا طعن الألباني به في سلسلته الضعيفة كما بيّنّا، وهذا

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٤.

ديدن أهل الحديث مع هذا النوع من الروايات فنقبل روايتهم ولهم درايتهم[١].

محاولات الطعن بحديث الثقلين

لست بصدد استعراض المحاولات البائسة التي تمّت عبر التاريخ للطعن بهذا الحديث، ولكنّي تفاجأت وأنا أقرأ للشيخ عداب محمود الحمش وهو مختصّ بعلم الحديث ومن الأشراف. فكان مما قال:

(وفي الروايات الحديثيّة الأحادية أنّ الرسول ﷺ قال أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ.

وفي روايةٍ عند مسلمٍ نفسه: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ مَنْ اسْتَمْسَكَ

---

(١) قال أحد المعلّقين في جواب الأشعري: **(لماذا التضليل والعناد فبعد كلّ هذه الدلالات وأنت تصرّ على أن تبقى في الظلمات وتترك النور؟)** وممّا قلته تعليقا: **(هذا الصارم أشعريّ يعتقد أنّ الله يخلق أفعال الناس وليس لهم تأثير إلا الكسب أي كسب هذه الأفعال، لذا فهو يعتقد أنّ الله يخلق أفكاره وأفعاله ورفسة الحمار ونطحة الثور ... فحسب اعتقاده الله لم يخلق فيه قرار الابتعاد عن الظلمات، لهذا فلا تتوقّع منه ومن على عقيدته أن يتغيّر، ولا أكاد أصدّق أنّ الله خلق تعليقاته الأخيرة مع ما فيها من أخطاء لغوية ومغالطات، فهل الله جاهل باللغة العربية حتّى يخلق في ذهنه تلك الأخطاء ويسجّلها عبر يديه ليردّ عليّ؟!).**

بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ

وفي رواية ثالثة عند مسلمٍ أيضاً: أَلا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ. ثمّ قَالَ وأهل بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أهل بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أهل بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أهل بَيْتِي.

أخرجه مسلم (٤٤٢٥) وأحمد من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ومن تلك الروايات أيضاً؛ حديثُ عطيّة بن سعدٍ العَوفيّ عن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ الآخر كِتَابُ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أهل بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حتّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ) أخرجه أحمد (١٠٧٢٠) والترمذيّ (٣٧٨٨) وقال: حسن غريب وهو حديث مداره على سليمان الأعمش ، وقد اضطرب فيه فرواه مرّةً عن عطيّة العوفيّ، عن أبي سعيدٍ ورواه مرّة أخرى عن حبيب بن أبي ثابتٍ، عن زيد بن أرقم والإسناد الأوّل ضعيفٌ لضعف عطيّة العوفيّ والإسناد الثاني منقطع؛ لأنّ حبيباً لم يسمع من زيد بن أرقم. نقله العلائي عن عليّ ابن المدينيّ.

ولو صحّ حديث أبي سعيدٍ الخدريّ جدلاً؛ فهو راجع إلى حديث زيد بن أرقم؛ لأنّ أبا سعيدٍ لم يشهد حجّة الوداع، كان طفلاً، فيصبح الناتج حديثاً واحداً، وليسا حديثين. هذا أصحّ ما لدينا عن الرسول ﷺ في مسألة التمسّك بحبال العترة الطاهرة وإذا نحن تجرّدنا عن التعصّب تجرّداً حقيقيّاً، ووضعنا

الله تعالى نصبَ أعيننا، بعيداً عن القبليّة والطائفيّة؛ فإنّ حديث الآحاد لا يجوز أن يبنى عليه دين خصوصاً في مثل هذه المسألة التي تتعلّق بنصبِ مرجعيّة حاكمة)[١]. انتهى كلامه.

لا يستغرب المرء طعن ابن تيمية وعثمان الخميس وغيرهما بالحديث الشريف، الذي كان سببا في توجّه الكثير من الناس للتعرّف على خط أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم. لكن الغريب أن يصدر هذا الكلام من متخصّص في علم الحديث يرجع نسبه لأهل البيت عليهم السلام.

كان يمكن جمع روايات الحديث في كتب الحديث المختلفة، وإحصاء عدد رواته من الصحابة ومن التابعين وسائر الرواة في كلّ طبقة، حينها سيخرج المرء بنتيجة أنّ الحديث متواتر مع مراعاة شروط التواتر المذكورة في محلّها.

فقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله، خمسة وثلاثون صحابيا، ورواه عن الصحابة تسعة عشر من التابعين[٢].

وقال بعض أهل العلم بتواتره، قال الإمام المقبلي في «نجاح الطالب في شرح مختصر ابن الحاجب»: (**...تواترت معنىً أنّ أهل البيت والكتاب لا يفترقان حتّى يردا عليه الحوض... ويشهد له حديث «مثل أهل بيتي**

---

(١) وهو منشور في صفحته في موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك).

(٢) راجع رواياتهم في عبقات الأنوار ج١، ج ٢.

كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق»)[١].

وخصّص الشيخ أبو المنذر سامي المصري كتابا خاصا للحديث أسماه: (الزهرة العطرة في حديث العترة) أثبت فيه تواتر الحديث.

حيث قال: **(وبعد ثبوت حديث العترة المطهرة عن سبعة من صحابة سيدنا رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، ومن أكثر من ثلاثين طريقاً، وصحّته التي لا مجال للشكّ فيها، وما علمناه من معنى التواتر والمتواتر، وشروط المتواتر، وأقسام المتواتر، وعدد نقلة المتواتر، وصفة نقلة المتواتر، وإفادة المتواتر، يمكننا أن نقول: إنّ حديث العترة المطهّرة قد بلغ حدّ التواتر، وإنّ تواتره معنوي كما نقلنا، وهذا فضلا عن أنّ لفظ: «الكتاب والعترة»، ما تخلّف في نصّ مما سبق، فيكون ـ حسب كلام السيوطي ـ هذا القدر المشترك من الحديث ـ كتاب الله وعترتي ـ متواتر قطعا)**[٢].

وهنا ينبغي التنبيه أنّه من الخطأ علميّا أن يتمّ البحث في أسانيد حديث ثبت تواتره كما فعل الشيخ (السيد) عداب الحمش.

قال الزركشي: **(قال سليم الرازي في التقريب: لا يشترط في وقوع العلم بالتواتر صفات المخبرين بل يقع ذلك بأخبار المسلمين والكفار والعدول والفساق والأحرار والعبيد والكبار والصغار إذا اجتمعت**

---

(١) نجاح الطالب لمختصر المنتهى لابن الحاجب، ص٢٦١.

(٢) الزهرة العطرة في حديث العترة، سامي أنور جاهين، ص٤٣.

الشروط...)[١].

وقال الألباني: (**ولا يشترط في الحديث المتواتر سلامة طرقه من الضعف، لأنّ ثبوته إنّما هو بمجموعها، لا بالفرد منها، كما هو مشروح في المصطلح**)[٢].

وقال الشيخ السبحاني من الإمامية: (**لا وجه لترك الرواية المتواترة أو المستفيضة وإن كان رواتها ضعافا أو مجاهيل، إذ لا تشترط الوثاقة فيهما**)[٣].

وقد روى الطبراني حديث الثقلين بسند صحيح ليس فيه الأعمش ولا العوفي وليس فيه أحد من رجال الشيعة، قال: (**حدّثنا علي بن عبد العزيز ثنا عمرو بن عون الواسطي ثنا خالد بن عبدالله عن الحسن بن عبيدالله عن أبي الضحى عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض**)[٤].

فهل سيقبل أهل العناد الحقيقة؟

---

(١) البحر المحيط ج٣ ص٣٠٠.

(٢) إرواء الغليل، ج٦ ص٩٥.

(٣) كليات في علم الرجال، ص١٩٢.

(٤) المعجم الكبير، ج٥ ص١٦٩ – ١٧٠.

صيغة حديث الثقلين

يحاول السلفيون ومن سار على نهجهم رصد كلّ ما لديهم من أفكار للطعن بحديث الثقلين، حيث سبب لهم مشكلة عويصة وأدّى إلى تشيع الآلاف من الناس، فمرّة يضعّفونه ومرّة يؤوّلونه ومرّة يزعمون أنّ لفظه لا يفيد التمسّك بالعترة الطاهرة.

رواه خمسة وثلاثون صحابيّا كما ذكرنا، وصحّحه كثير من أهل الرجال والحديث، أمثال الطبري والحاكم النيسابوري وابن حجر الهيتمي وابن حجر العسقلاني والذهبي وابن كثير والألباني حيث ذكر تخريجه كاملا وردّ على من طعن به[1].

وكما ذكرنا فإنّه من الخطأ علميّا أن يتمّ البحث في أسانيد حديث ثبت تواتره.

روي الحديث بصيغ مختلفة لا تخلو من تأثير السياسة والمذهبية في صياغة بعض مفرداته، روى مسلم في صحيحه: (...**حدثني: يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدّثنا: يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ ، قال: يا ابن**

(١) راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ ص٣٥٥ – ٣٥٨.

أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثمّ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثمّ قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب ،وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي) [١].

يُلاحظ على هذا النصّ أنّ يزيد بن حيان وحصين بن سبرة ذهبا إلى زيد بن أرقم ليحدّثهما ما سمع من رسول الله، وفي بداية حديث زيد يعترف أنّه كبرت سنّه ونسي بعض الذي وعاه عن رسول الله! وذكر في نهاية الكلام: **(وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي)** [٢].

فوقع الحثّ على التمسّك بالكتاب دون أهل البيت عليهم السلام، وهذا تحريف صريح لنصّ الحديث، لعلّه من زيد الذي كبرت سنّه ونسي! أو من بعض الرواة، أو من مسلم نفسه!

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) . المصدر السابق.

وفي سنن الترمذي والمستدرك على الصحيحين ـ وصحّحه ـ ورد بلفظ آخر: (**إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**)[1].

قال بعض المغرضين تعليقا على هذا النصّ أنّه قال: (**ما إن تمسكتم به**) لم يقل بهما!

ولعلّ أوّل من أشاع هذه الشبهة الواهية ابن تيمية، فقد كان من المتحمّسين للردّ على الشيعة حتّى لو جرّه ذلك للطعن بأهل البيت عليهم السلام وبالأحاديث الثابتة المتواترة، قال في معرض ردّه على العلامة الحلي: (**وهذا اللفظ يدلّ على أنّ الذي أمرنا بالتمسّك به وجعل المتمسّك به لا يضلّ، هو كتاب الله**).

وقال في موضع آخر: (**الحديث الذي في مسلم إذا كان النبي صلى الله عليه وآله قد قاله فليس فيه إلاّ الوصية باتّباع الكتاب، وهو لم يأمر باتّباع العترة، ولكن قال: أذكّركم الله في أهل بيتي**)[2].

وقد ورد الحديث بألفاظ أخرى صريحة تقطع الطريق على كلّ متعصّب عنيد.

---

(١) صحيح الترمذي: ج٥ (كتاب المناقب): ٦٦٣. المستدرك، ج٣ ص١٤٨.

(٢) منهاج السنة: ٤ / ١٠٥ و٨٥.

ففي مسند أحمد: (**إنّي تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض**)[١].

فالنبيّ ﷺ ترك خليفتين، القرآن وهو دستور المسلمين ومرجعهم الأوّل، ثمّ خليفة ثانيا وهو عترته أهل بيته عليهم السلام، جاء في لسان العرب: (**العِتْرة ولدُ الرجل وذريّته وعِقْبُه من صُلْبه، قال: فعِتْرةُ النبيّ ﷺ ولدُ فاطمة البَتُول عليها السلام**)[٢].

وفي هذا دلالة على إخراج الزوجات، لأنّه قال: (**وعترتي أهل بيتي**) والعترة هم ولد الرجل من صلبه، ثمّ لو كانت الخلافة في غيرهم لوجب على العترة التمسّك بأولئك الخلفاء وهو خلاف تصريح الحديث.

من الألفاظ الصريحة التي تلزم المسلم باتّباع عترة النبيﷺ، ما رواه الحاكم: (**عن ابن واثلة، أنّه سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول: نزل رسول الله ﷺ بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس دوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثمّ راح رسول الله ﷺ عشيّة فصلّى، ثمّ قام خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فقال: ما شاء الله أن يقول: ثمّ قال: "أيّها الناس، إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، وهما:**

---

(١) مسند أحمد: ٥ / ١٨٢، وفضائل الصحابة: ٢ / ٦٠٣، وصحّحه الألباني في: السنّة لابن أبي عاصم، ٣٣٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج٤ ص٥٣٨.

كتاب الله، وأهل بيتي عترتي") [١].

فقوله: (**إنّي تارك فيكم أمرين**) يقطع الطريق على كلّ من يحاول التأويل.

قال ابن حجر: (**وفي رواية صحيحة إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي**).

زاد الطبراني: (**إنّي سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم**) [٢].

ورواه صاحب كنز العمال نقلا عن ابن جرير بلفظ: (**أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لم تضلّوا بعدي أبدا...**) [٣].

وهذه ألفاظ صريحة الدلالة على وجوب اتّباعهم والأخذ عنهم للأمن من الضلال.

مثلنا في هذه الأمّة كسفينة نوح عليه السلام

قال ابن أبي شيبة: (**حدّثنا معاوية بن هشام قال ثنا عمار عن الأعمش عن المنهال عن عبدالله بن الحارث عن عليّ قال: إنّما مثلنا في هذه الأمّة**

---

(١) المستدرك ج٣ ص١١٨، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٢١٥ – ٢١٦.

(٢) الصواعق المحرقة ج٢ ص٤٣٩.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص٣٨١، ولم أجده عند ابن جرير الطبري.

كسفينة نوح وكتاب حطّة في بني إسرائيل)[(١)].

حاول البعض الطعن بهذا النصّ الذي يُعدّ شاهدا لحديث السفينة.

وأثناء تجوالي في منتدى أهل الحديث، وهو منتدى مشهور، يجمع علماء وطلّاب علم في هذا الحقل، وجدت هذا الكلام لأحد كبارهم يرد به الحديث المذكور عن عليّ عليه السلام.

قال الشيخ محمّد الأمين: (**سليمان الأعمش: ثقة فيه تشيّع مكثر التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن هنا!، والمنهال بن عمرو: صدوق له أوهام. ولكنّه شيعيّ، وقد نقل ابن حبان والحاكم إجماع أئمة الحديث على عدم جواز تصحيح رواية المبتدع فيما يروّج بدعته**)[(٢)].

ومن كلامه يظهر اعترافه بوثاقة رجال السند، إلاّ أنّه توقف عند الأعمش والمنهال.

الأعمش أولا:

قال: (**ثقة فيه تشيّع مكثر التدليس عن الضعفاء، وقد عنعن هنا**).

ولنا ملاحظات على قوله:

---

(١) المصنف، ج٧ ص٥٠٣.

(٢) كلامه في موقع أهل الحديث، نقله أحدهم، وللشيخ المذكور موقع خاص على الشبكة.

ـ إنّ مجرد رواية الأعمش النصّ بقوله (عن)، دليل على صدقه، وإلاّ كان بإمكانه أن يقول أخبرنا أو حدّثنا مدلّسا بذلك حتّى يقع حديثه موضع قبول أهل الحديث.

ـ كان بعض المتقدّمين يحتجّون بعنعنة الأعمش. قال أبو داود: **(سمعت أحمد سئل عن الرجل يعرف بالتدليس يحتجّ فيما لم يقل فيه سمعت؟ قال: لا أدري. فقلت: الأعمش متى تصاد له الألفاظ أي يتحقّق من تصريحه بالسماع والتحديث؟ قال: يضيق هذا، أي أنّك تحتجّ به)**[1].

قال الألباني: **(لكن العلماء جروا على تمشية رواية الأعمش المعنعنة، ما لم يظهر الانقطاع فيها، وقد قال الذهبي في ترجمته في " الميزان ": " ومتى قال: (عن) تطرّق إليه احتمال التدليس إلاّ في شيوخ له أكثر عنهم كإبراهيم وأبي وائل وأبي صالح السمان، فإنّ روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال" والشاهد من كلامه إنّما هو أنّ إعلال رواية الأعمش بالعنعنة ليس على الإطلاق، وهو الذي جرى عليه المحقّقون كابن حجر وغيره، ومنهم المنذري نفسه، فكم من أحاديث للأعمش معنعنة صحّحها المنذري فضلا عن غيره، وليس هذا مجال بيان ذلك)**[2].

---

(١) سؤالات أبي داود للإمام أحمد، ج١ ص٢٠٠.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤ ص٤٠٣ و٤٠٤.

لقد احتجّ البخاري بعنعنة الأعمش أكثر من ٢٠٠ مرة في صحيحه، واحتجّ مسلم بعنعنته أكثر من ٣٠٠ مرة، فمن لا يحتجّ بعنعنته فعليه أن يرمي أحاديثه التي خرّجها الشيخان والتي تربو على ٥٠٠ حديث!

فهل يقبل هؤلاء برمي هذا العدد من روايات الصحيحين أو الطعن بها؟!

ولا يُقال: إنّ الشيخين قد اطّلعا على التصريح بالسماع من طرق أخرى، إذ أنّ هذا لا دليل عليه، وقد ردّ هذا الكلام الحافظ المزّي فقد سُئل: (**هل وجد لكلّ ما رواه الشيخان بالعنعنة طرق صرّح فيها بالتحديث؟ فقال: إنّ كثيرا من ذلك لم يوجد وما يسعنا إلاّ تحسين الظنّ**)[١].

ـ إنّ الذهبي على تشدّده قد حمل روايات الأعمش على الاتصال إن كانت مرويّة عن شيوخ أكثر من الرواية عنهم، كما قد مرّ في كلام الألباني، وقد راجعت مقدار ما روى الأعمش عن المنهال بن عمرو، فكان أكثر من ٢٣٠ موردا، فهو مكثر عنه، وعليه تُحمل الرواية على الاتصال.

ومما قاله الشيخ محمّد الأمين في ردّ الحديث: (**والمنهال بن عمرو: صدوق له أوهام**).

وعليه ملاحظات:

---

(١) راجع: توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر بن صالح الدمشقيّ ج١ ص٢٤٨ و٦٣٦ وتدريب الراوي ١ / ١٢٣.

ـ إنّ المنهال ممّن روى عنه البخاري فهو من رجاله، وقد وثّق المنهال كلّ من: ابن معين والنسائي والعجلي والألباني وغيرهم، وقال فيه ابن حجر وغيره: **صدوق**[١].

وعبارة ابن حجر في تقريب التهذيب: **(صدوق ربما وهم)**[٢]، وليس كما أطلقها الشيخ: **(صدوق له أوهام)** والفرق بينهما واضح، ولا يضرّ النصّ ما قيل في المنهال من بعض الوهم، فهذه الرواية لها شاهد من حديث السفينة المعروف، وله طرق عديدة لم يقع المنهال فيها.

يبقى الكلام في شبهته الأخيرة حيث قال عن الأعمش: **(فيه تشيّع)**.

وقال عن المنهال: **(ولكنّه شيعيّ وقد نقل ابن حبان والحاكم إجماع أئمة الحديث على عدم جواز تصحيح رواية المبتدع فيما يروج بدعته)**.

ـ قوله: **(فيه تشيّع)** أو: **(لكنّه شيعيّ)**، هل يقصد أنّه يقدّم عليّاًعليه السلام على عثمان أم أنّه رافضيّ ومغال في الرفض؟**!** فإن كان الأوّل فيلزمه ردّ كثير من روايات الصحابة والتابعين الذين فضّلوا عليّاًعليه السلام على عثمان**!**

وإن كان الثاني عليه إثبات هذا الأمر، وإن أثبته، ففيه اعتراف برواية أكثر من ١١ ألف رواية عن الأعمش الرافضي حسب إحصائي لها[٣]**!**

أما قوله عن: **(إجماع أئمة الحديث على عدم جواز تصحيح رواية**

---

(١) ترجمته في: تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٢٨٣ – ٢٨٤

(٢) ج٢ ص٢١٦

(٣) في معجم رواة الشيعة الثقات وعدد أحاديثهم في مصادر أهل السنّة.

المبتدع فيما يروّج بدعته).

فيردّه رواية الصحيحين وغيرهما الكثير من فضائل أهل البيت عليهم السلام، عن رواة شيعة، وفيها ترويج لبدعهم على حدّ تعبيرهم، ومع ذلك أخذوا بها واعتمدوها.

ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم: (عن عَديّ بن ثابت عن زرّ، قال: قال عليٌّ: **(والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأميّ صلى الله عليه وسلم إليّ أن لا يحبّني إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضني إلاّ منافقٌ)** [1].

وعديّ هو قاص الشيعة ومشهور بترفّضه [2].

أما قاعدة ردّ حديث المبتدع فيما يدعو لبدعته، فهي قاعدة أوجدها البعض للتخلّص من لوازم بعض الأحاديث التي تحاصرهم وهي مناورة مفضوحة منهم، ولنا منشورات عن رواية الشيخين عن بعض كبار الرافضة الداعين، وبعضهم من شيوخ البخاري ومسلم.

قال الأمير الصنعاني: **(إنّ أهل الحديث اتّفق لهم في مخالفة فروعهم لأصولهم مثلما اتّفق لأهل سائر الفنون، وأصّلوا أنّه لا يقبل داعية وسمعت قبولهم له وأصّلوا أنّه لا يقبل غلاة الروافض وسمعت قبولهم لهم)** [3].

---

(١) صحيح مسلم، ج١، ص٦١.

(٢) راجع: تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص١٤٨.

وكلام الصنعاني هذا فيه نقض للإجماع المزعوم الذي ادّعاه الشيخ محمّد الأمين.

إنّ المبتدع الثقة الذي يروي ما يقوّي بدعته، هو ثقة سواء روى ما يقوّي بدعته أم لا، فمن يرفض رواياته التي جاءت مقوّية لبدعته فعليه أن يرفض جميع رواياته في سائر الكتب، لأنّه إن كان كاذبا فيها فهو كاذب في سواها، وإذا التزم أهل الفن بوثاقته فينبغي قبول جميع رواياته، وهذا الذي يقبله العقل ويقتضيه الإنصاف.

وقد حاول أحدهم في موقع أهل الحديث تحريف معنى كلام الإمام عليّ عليه السلام، فقال: **(والمتن كذلك لا يدلّ على أنّ عليا رضي الله عنه يقصد به آل البيت كما يفهمه الشيعة وغيرهم، بل يقصد أمّة الإسلام كلّهم، فتأمّل لفظ الأثر ‹إنّما مثلنا في هذه الأمّة كسفينة نوح وكتاب حطّة في بني إسرائيل› فليس فيه تصريح بأنّه يقصد آل البيت) !!**

وعلى كلام هذا السطحي يكون معنى كلام الإمام: **"**إنّما مثل أمّة الإسلام في هذه الأمّة التي هي أمة الإسلام كسفينة نوح...**"**.

وليس عجيبا أن يتذكّر المرء عند هذا الكلام المثل الذي يقول: الفاسقون الخمسة أربعة: الثعلب والديك والأرنب **!!**

تمّ إثبات صحّة حديث الإمام عليّ عليه السلام: **(إنّما مثلنا في هذه الأمّة كسفينة نوح وكتاب حطّة في بني إسرائيل)**.

كتاب عليّ عليه السلام بسند صحيح

أخرج عبد الرّزاق الصنعاني: (**عن ابن عيينة عن جعفر بن محمّد عن أبيه ـ الباقر ـ قال: في كتاب عليّ عليه السلام: الجراد والحيتان ذكيّ**)[1].

(قد روي هذا الحديث عن جعفر بن محمّد عن أبيه دون ذكر عبارة في كتاب عليّ.

ومن مصادر ذلك:

ـ المصنّف لابن أبي شيبة، ج٤ ص ٦٢٠.

ـ التمهيد لابن عبد البرّ، ج١٦ ص ٢٢٦.

ـ الاستذكار لابن عبد البرّ، ج٥ ص ٢٨٥.

ـ تفسير القرطبي، ج٦ ص ٣١٨.

يُستفاد من النصّ التالي:

ـ موافقة النصّ لما ورد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنّ السنّة كتبها عليّ عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يترك النبي صلى الله عليه وآله سنّته عرضة للضياع وللكذب عليه! وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام يتوارثون هذا الكتاب وكان عند الإمام الباقر عليه السلام، ومن أسمائه «الصحيفة» و«الجامعة».

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام لأحد أصحابه وهو أبو بصير: (**يا أبا محمّد وإنّ عندنا (الجامعة) وما يدريهم ما الجامعة! قال: قلت جعلت فداك،**

---

(١) المصنف ج٤ ص٥٣٢.

وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملائه من فلق فيه، وخط عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرش في الخدش) [1].

وعن عذافر الصيرفي، قال: (**كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله، وكان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً، فاختلفا في شيء فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا بنيّ قم فأخرج كتاب عليّ عليه السلام فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه، وجعل ينظر حتّى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذا خطّ عليّ عليه السلام وإملاء رسول الله ﷺ وأقبل على الحكم، وقال: يا أبا محمّد اذهب أنت وسلمة وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالا فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبريل عليه السلام**)[2].

ـ إنّ عليّاً عليه السلام هو أوّل من دوَّن السنّة النبوية وكان له مجلس خاص مع رسول الله لتدوين السنّة، ومما يدلّ عليه ما روي عن أم سلمة رضوان الله عليها: (**دعا رسول الله ﷺ بأديم وعليّ بن أبي طالب عنده، فلم يزل رسول الله ﷺ يملي وعليّ يكتب حتّى ملا بطن الأديم وظهره وأكارعه)** [3].

ـ سند أهل البيت عليهم السلام، أنّ كلّ إمام يروي عن أبيه عن جدّه ...

---

(١) بصائر الدرجات للصفّار، ص١٦٣.

(٢) رجال النجاشي، ص٣٦٠.

(٣) المحدّث الفاصل للرامهرمزي ص٦٠١.

حوار

اعترض على كلامي المتقدّم أحد المتخصّصين في علم الحديث من أهل السنّة الماتريدية، بأنّ سفيان بن عيينة أحد رجال السند مدلّس ولم يصرّح بالسماع، وهذا يعدّ طعنا بالحديث.

قلت في الجواب: إنّ منهج جمهور المحدّثين الاحتجاج بسفيان بن عيينه، وقد احتجّ الشيخان بعنعنته في موارد كثيرة تبلغ ١٧٠ موردا، فعلى كلامك يلزم رمي كلّ هذه الروايات التي في الصحيحين!

إنّ عنعنة ابن عيينة مقبولة لدى المحدّثين، قال الذهبي فيه: (**أحد الثقات الأعلام أجمعت الأمّة على الاحتجاج به وكان يدلّس لكن المعهود منه أنّه لا يدلّس إلاّ عن ثقة وكان قويّ الحفظ**)[1].

وقال ابن حجر عنه: (**ثقة حافظ فقيه إمام حجّة إلاّ أنّه تغيّر حفظه بآخره ...**)[2].

إنّ اعتمادي لعنعنة سفيان بن عيينة كان وفقا لمنهج الجمهور في قبول تدليسه، وما ذهبت إليه أنت مخالف لما عليه جمهور أهل الحديث، فهل تستطيع ذكر بعض المتقدّمين والمتأخّرين ممّن رفض تدليس ابن عيينة؟!

وهذه بعض أقوال أهل الفنّ في تدليس ابن عيينه وقبولهم له، وهذا

---

(١) ميزان الاعتدال ج٢ ص١٧٠.

(٢) تقريب التهذيب ج١ ص٣٧١.

الرأي يعبّر عن مذهب أهل الحديث.

ـ البخاري، احتجّ بعنعنة ابن عيينة في موارد عديدة في صحيحه

ـ مسلم، احتجّ بعنعنة ابن عيينة في موارد عديدة في صحيحه تجاوزت المائة.

ـ الدارقطني، قال: (**فأمّا ابن عيينة فإنّه يدلّس عن الثقات**)[1]

ـ الحافظ ابن حبان، قال: (**اللّهم إلاّ أن يكون المدلّس يعلم أنّه ما دلّس قطّ إلاّ عن ثقة فإذا كان كذلك قبلت روايته وإن لم يبيّن السماع وهذا ليس في الدنيا إلاّ سفيان بن عيينة وحده فإنّه كان يدلّس ولا يدلّس إلاّ عن ثقة متقن ولا يكاد يوجد لسفيان بن عيينة خبر دلّس فيه إلاّ وجد الخبر بعينه قد بيّن سماعه عن ثقة نفسه**)[2].

ـ ابن عبد البرّ، قال ذاكرا رأي أئمّة الحديث: (**قالوا يقبل تدليس ابن عيينة لأنّه إذا وقف أحال ...**)[3].

ـ ابن حجر، ذكر كلاما للغزالي ثمّ قال معقبا: (**ويؤيّد ذلك نقل ابن حبان الاتفاق على قبوله عنعنة سفيان بن عيينة مع أنّه كان يدلّس لكنّه كان مع ذلك لا يدلّس إلاّ عن ثقة فقبلوا عنعنته**)[4]

---

(١) سؤالات الحاكم للدارقطني ص١٧٥.

(٢) صحيح ابن حبان، ج١ ص١٦١.

(٣) التمهيد، ج١ ص٣١.

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح، ص٢٠٧.

فقه الآل

يطعن كثيرون بالشيعة ويشكّكون بانتمائهم لأهل البيت عليهم السلام، وهذا من التعصّب المقيت والجهل الفظيع، وقبل سنين عديدة قام أحد أهل العلم من اليمن وهو الشيخ أمين بن صالح هران الحداء بتأليف كتاب أثبت فيه صحّة الفقه المعمول به لدى الإمامية أسماه: «فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال» يقع في ٧٥٠ صفحة، وقد عمد المؤلف إلى محاولة استقراء فقه آل البيت عليهم السلام من أمهات مصادر أهل السنّة الحديثية والفقهية وبعد جمع فقه الآل من مصادر أهل السنّة تمّت مقارنته بما ينسبه الشيعة إليهم من فقه، بغرض التعرّف على مدى مصداقيّتهم في العزو، وأمانتهم في النقل، وذلك للوصول إلى مدى واقعيّة تهمة انتحال الشيعة لفقه أهل البيت عليهم السلام.

وقد كانت نتيجة تلك الدراسة المقارنة هي موافقة مصادر السنّة للشيعة في الفقه بنسبة ٩٦٪ مما يظهر براءة الشيعة من تهمة انتحال فقه الآل.

وقد عرض البحث على جمهرة كبيرة من مشايخ أهل السنّة في العالم الإسلامي، فأيّدوه وقدّم له بعضهم من أمثال القاضي العمراني، والدكتور حسن الأهدل، والحبيب عمر بن حفيظ، والشيخ علي سالم بكير، ومن سوريا: الدكتور رجب ديب، والدكتور: الحسن البغا...

وقد حاول المؤلّف إثبات عدم إهمال أهل السنّة لفقه الآل من خلال وجود مسائله في كتب الجمهور، وهذه مغالطة واضحة فمجرّد رواية بعض فقههم دون العمل به يُعدّ إهمالا كبيرا، قال أحد مقدّمي الكتاب من كبار

الأساتذة: (**بيد أنّني لا أوافقه على أنّ أهل السنّة لم يهملوا علوم أهل البيت من عقائد وفقه وحديث وتفسير وغيره بل أهملوها غاية الإهمال، ولم يوردوها في كتب الفقه والفتوى إلاّ حين يريدون ردّ دعوى المخالف وحين تكون موافقة الآل فيها تقوية لمذهبهم**)[1].

إنّ الرواة الذين نقلوا فقه الآل في كتب الإمامية وثبتت مصداقيته هم أنفسهم من نقل عقائد الآل التي يعتنقها أتباع أهل البيت عليهم السلام.

فتوى شلتوت

دار حديث عبر الأثير بيني وبين مهندس باحث أنكر الفتوى المنسوبة لشيخ الأزهر محمود شلتوت ـ التي أجاز فيها التعبّد بمذهب الشيعة ـ محتجّا بإنكار الشيخ القرضاوي لها!

فقلت: إنّ الفتوى موثّقة وموجودة في دار التقريب ومطبوعة في مجلة رسالة الثقلين التي كانت تصدر عن دار التقريب، وقد أصدر السلفيّون في ذاك الوقت كتيّبا بعنوان: (تنبيه العوام لانحراف شلتوت عن الإسلام). ثمّ إنّه من مصلحة القرضاوي إنكار هذه الفتوى بسبب عدائه للإمامية، وللإنصاف فقد ذكر الفتوى واعترف بها أكثر من واحد من علماء السنّة. وأنقل هنا بعض من ذكرها:

---

(١) وهو المحدّث عذاب الحمش ص١٣.

ـ شيخ الأزهر الدكتور محمّد محمّد الفحام.

قال: (الشيخ محمود شلتوت، أنا كنت من المعجبين به وبخلقه وعلمه وسعة اطّلاعه وتمكّنه من اللغة العربية وتفسير القرآن ومن دراسته لأصول الفقه، وقد أفتى بذلك ـ أي جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية ـ فلا أشكّ أنّه أفتى فتوى مبنيّة على أساس في اعتقادي)[١].

ـ الداعية الكبير الشيخ محمّد الغزالي.

قال: (وأعتقد أنّ فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، قطعت شوطا واسعا في هذا السبيل، واستئناف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعا، وتكذيب لما يتوقّعه المستشرقون، من أنّ الأحقاد سوف تأكل الأمّة، قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري، بداية الطريق وأوّل العمل... إنّ الشيعة يؤمنون برسالة محمّد، ويرون شرف عليّ في انتمائه إلى هذا الرسول، وفي استمساكه بسنّته، وهم كسائر المسلمين، لا يرون بشرا في الأوّلين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين)[٢].

ـ عبد الرحمن النجار مدير المساجد بالقاهرة.

قال: (فتوى الشيخ شلتوت نفتي بها الآن حينما نسأل بلا تقييد

---

(١) سبيل الوحدة الإسلامية، الرضوي: ص٨.

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة: ص٢٥٧.

بالمذاهب الأربعة، والشيخ شلتوت إمام مجتهد رأيه صادف عين الحقّ. لماذا نقتصر في تفكيرنا وفتاوانا على مذاهب معيّنة وكلّهم مجتهدون)[1].

ـ مصطفى الرافعي

قال: (**ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم، فخّلد في فتواه الصريحة الشجاعة، حيث قال ما مضمونه بجواز العمل بمذهب الشيعة الإمامية)**[2].

ـ الأستاذ محمود السرطاوي

وهو عميد كليّة الشريعة في الجامعة الأردنية وأحد كبار المفتين في الأردن قال: (**إنّني أقول ما قاله سلفنا الصالح: الشيعة الإمامية إخواننا في الدين، لهم علينا حقّ الأخوّة، ولنا عليهم مثل ما لهم علينا، ما يوجد بيننا وبينهم من اختلاف وجهات نظر، إنّما هي في الفروع)**[3].

الإمام الصادق وأئمّة المذاهب

كتب لي أحدهم: (**من الأمور التي أيضا أستغرب منها هو أنّه كيف لإمامين من الأئمّة الأربعة عند السنّة أن يأخذوا علمهم عن الإمام جعفر الصادق** عليه السلام **ويمدحونه ويقولون فيه القول الحسن ثمّ يخالفونه في المعتقد**

---

(١) في سبيل الوحدة الإسلامي لمرتضى الرضوي ص٦٦.

(٢) إسلامنا: ٥٩.

(٣) مجلة رسالة الثقلين، العدد الثاني، السنة الأولى ١٤١٣هـ، ص٢٥٢.

من ناحية العصمة أو الإمامة أو أمور أخرى؟).

إنّ مجرد التتلمذ على يد أستاذ وتبجيله لا يعني أن يوافق التلميذ أستاذه في كلّ ما يرى، خاصّة إذا رأى هذا التلميذ لاحقا أن تكون له مدرسة عقائدية فقهيّة خاصّة بفهمه للدين.

وقد ذكر لنا التاريخ كثيرا ممّن كانوا من تلاميذ الأنبياء وانحرفوا عن مسيرهم.

جاء في «تهذيب الكمال»: (قال مصعب: كان مالك لا يروي عن جعفر بن محمّد حتّى يضمّه إلى آخر من أولئك الرفعاء ثمّ يجعله بعده)[1].

ومعنى هذا أنّ مالكا ما كان يرى جعفراعليه السلام حجة إذا تفرد برواية، وإنّما يجعله مجرّد شاهد لرواية احتج بها!

فإن كان مالك لا يقبل أن يكون جعفر حجّة في رواياته كسائر الرواة فكيف تريده أن يعتقد بما يقوله؟!

تذكر كتب التاريخ والتراجم العديد من الحوارات التي كانت تتم بين الإمام الصادقعليه السلام وأبي حنيفة، أو بين تلاميذ الإمام جعفر الصادقعليه السلام وأبي حنيفة، وفيها يظهر أنّ لأبي حنيفة مذهبا خاصا به.

ولو تصفّح المرء الكتب المنسوبة لأبي حنيفة أو لتلميذيه الشهيرين محمّد بن الحسن وأبي يوسف لما وجد شيئا من فقه جعفر الصادقعليه السلام، وهذا يدلّ

---

(١) للحافظ المزّي، ج٥ ص٧٦.

على عدم اهتمام أبي حنيفة والأحناف بفقه الصادقعليه السلام.

مما لا شكّ فيه أنّه كان هناك انحراف عن أهل بيت النبوّة من قبل الفقهاء. بل يذهب ابن تيمية إلى عدم أخذ أئمة المذاهب عنهم.

قال: (**قال الرافضي ـ ويقصد العلامة الحلي ـ وفي الفقه الفقهاء يرجعون إليه، والجواب أنّ هذا كذب بيّن، فليس في الأئمّة الأربعة ولا غيرهم من أئمّة الفقهاء من يرجع إليه في فقهه أما مالك فإنّ علمه عن أهل... وأما أبو حنيفة فشيخه الذي اختصّ به حماد بن أبي سليمان وحماد عن إبراهيم وإبراهيم عن علقمة وعلقمة عن ابن مسعود وقد اخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره**)[1].

المصطفون بعد النبيصلى الله عليه وآله

أثناء حواري مع أحدهم، سألته: هل اصطفى الله أحدا بعد النبيصلى الله عليه وآله؟ هل هناك مصطفون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

والجواب الذي يخطر على البال حسب عقيدة جمهور المسلمين هو نفي هذا الأمر، فالنبيصلى الله عليه وآله هو آخر المصطفين، وهكذا أجاب محاوري بعدم وجود مصطفين بعد النبيصلى الله عليه وآله.

ربما يكون سبب هذا الجواب ظنّ البعض أنّ الاصطفاء يعني النبوّة والرسالة وهو ليس كذلك، أثبت القرآن الكريم الاصطفاء لغير الأنبياء

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (الوفاة: ٧٢٨ هـ)، ج٧ ص٥٢٩-٥٣٠.

والرسل. قال تعالى: ﴿**ثمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ* جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾[1].

فهذه الآية الكريمة تثبت اصطفاء الله لبعض عباده وتوريثهم علم الكتاب، وقد شكّلت هذه الآية، حيرة لدى المفسّرين. قال القرطبي معترفا: **(هذه الآية مشكلة، لأنّه قال جلّ وعزّ: ﴿اصطفينا من عبادنا﴾ ثمّ قال: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وقد تكلّم العلماء فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. قال النحاس: فمن أصحّ ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ قال: الكافر...)**[2].

الاصطفاء لغة

هو: **(تناول صفو الشيء ... واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده إيّاه صافيا عن الشوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعرّ ذلك من الأوّل، قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ـ إنّ الله اصطفى آدم ونوحا ـ اصطفاك وطهّرك واصطفاك ـ اصطفيتك على الناس ـ وإنّهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾**

---

(١) سورة فاطر ٣٢-٣٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٤ ص٣٤٦

واصطفيت كذا على كذا أي اخترت ﴿أصطفى البنات على البنين ـ وسلام على عباده الذين اصطفى ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾...)[١].

وقال الرازي: (**واعلم أنّ الاصطفاء استخلاص الصفوة**)[٢].

الاصطفاء في القرآن

الذي يراجع القرآن يلاحظ أنّ كلمة اصطفى ومشتقاتها وردت بمعنى خاصّ، حيث كانت ناظرة إلى الصفوة ممّن اختارهم الله، كالأنبياء ومريم وآل إبراهيم وآل عمران.

قال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[٣].

﴿اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[٤].

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأخيار﴾[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص٢٨٣.

(٢) تفسير الرازي، ج١٤ ص٢٣٦.

(٣) آل عمران، ٣٣ و٣٤.

(٤) الحج، ٧٥.

(٥) سورة ص، ٤٦ ـ ٤٧.

﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[١].

﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلاَمِي﴾[٢].

وقال الله عن مريم عليها السلام: **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾**[٣].

وقال تعالى عن طالوت: **﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾**[٤].

وقال تعالى: **﴿قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾**[٥].

مع ملاحظة الآيات السابقة نعلم أنّ المعنى المتبادر الذي يفهمه كلّ عربيّ من آية: **﴿ثمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**. أنّ الله أورث الكتاب بعض الذين اصطفاهم، ووراثة الكتاب وراثة معانيه وعلمه وأحكامه وعقائده.

قال القرطبي: (**قوله تعالى: ﴿أورثنا الكتاب﴾. أي أعطينا. والميراث عطاء حقيقة أو مجازا، فإنّه يقال فيما صار للإنسان بعد موت آخر**

---

(١) البقرة، ١٣٠.

(٢) الأعراف، ١٤٤.

(٣) آل عمران، ٤٢.

(٤) البقرة، ٢٤٧.

(٥) النمل، ٥٩.

و"الكتاب" ها هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده)[١].

فحسب مفهوم الآية أورث الله الكتاب أناسا من عباده اصطفاهم ثمّ قسّم بقية العباد إلى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، فالضمير (هم) في كلمة (فمنهم) يعود على أقرب مذكور وهو عبادنا ولا يعود على الذين اصطفاهم، لأنّ الله لا يصطفي الظالم لنفسه. فهناك المصطفون الذين أورثهم الله علم الكتاب وهناك بقية العباد وهم ثلاثة أصناف ذكرتهم الآية الكريمة.

وهذا أسلوب قرآني، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[٢].

فالضمير (هم) في كلمة (فمنهم) في هذه الآية يعود كذلك على أقرب مذكور وهو الذرية، ولا يجوز رجوعه إلى نوح وإبراهيم عليهما السلام لأنّهما سيكونان من الفاسقين والعياذ بالله، وكذلك الحال في الآية محلّ البحث.

قال الرازي: (...﴿**ثمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾. **أي فمن العباد من هو ظالم لنفسه...)**[٣].

والذي نذهب إليه أنّ هؤلاء الذين اصطفاهم الله وجعلهم مراجع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٤ ص٣٤٧.

(٢) سورة الحديد، ٢٦.

(٣) تفسير الرازي، ج٢٠ ص٥٨.

للأمّة هم أهل بيت النبوّة عليهم السلام، حيث أشار لهم القرآن فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وجعل النبيّ مودّتهم أجر رسالته وباهل بهم نصارى نجران وكان عليّ عليه السلام كنفسه، وقرنهم بكتاب الله في أكثر من مرّة وذكر أنّهم لا يفترقون عنه كما هو مفاد حديث الثقلين (**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**).

وقد ذهب الشافعي إلى أنّ الله اصطفى آل محمّد بعد نبيّه دون سائر الخلق، قال: (**فأعطى سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب دلّ ذلك على أنّ الذين أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمس هم آل محمّد الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليهم معه والذين اصطفاهم من خلقه بعد نبيّه صلى الله عليه وسلم فإنّه يقول: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**)[1].

ومن البعد عن الصواب تفسير المصطفين بالأمّة كما عليه أغلب التفاسير[2]، فهذا يستلزم دخول كلّ هؤلاء الجنّة لأنّ الله عزّ وجلّ يقول في سورة فاطر بعد ذكر المصطفين والأقسام الثلاثة: **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾**.

والأمّة منقسمة إلى فرق كثيرة قد تصل إلى ٧٣ فرقة كما روي عن

---

(١) أحكام القرآن، ج١ ص٧٦ – ٧٧.

(٢) راجع تفسير الطبري مثلا، حيث قال: (والمصطفون هم أمّة محمد) ج٢٣ ص١٦١، تفسير ابن كثير، ج٣ ص٥٦٢.

النبيّ وقد عبّر ﷺ عنهم جميعا بأنّهم أمّته فقال: (**ستفترق أمّتي...**)؛ فهل يصطفي الله أمّة نبيّه ثمّ يدخلهم النار ما عدا فرقة واحدة؟!

مما يدلّ على أنّ الاصطفاء بعد النبيّ محصور بآل محمّد ﷺ، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

ومحمّد وآله من آل عمران. وقال تعالى: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾[2].

فهو عزّ وجلّ يسلم على عباده المصطفين، ثمّ يسلّم صراحة في آية أخرى على آل ياسين، الذين هم آل محمّد، قال تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ**﴾[3]. وهي إحدى القراءات المعتمدة عند البعض.

روى الطبراني: (**حدّثنا عبد الرحمن بن الحسين الصابوني التستري ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن الأعمش عن مجاهد عن بن عباس: سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ، قال نحن آل محمّد ﷺ**)[4].

قال الطبري: (**وقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة: سلام على آل ياسين بقطع**

---

(١) سورة آل عمران،٣٣ و٣٤.

(٢) سورة النمل، ٥٩.

(٣) الصافات، ١٣٠.

(٤) المعجم الكبير، ج١١ ص٥٦.

آل من ياسين، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: سلام على آل محمّد)[١].

قال ابن أبي حاتم: (**عن الحسن في قول الله: ﴿يس والْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ قال: يقسم الله بما يشاء، ثمّ نزع بهذه الآية سلام على آل ياسين كأنّه يرى أنّه سلّم على رسوله)**[٢].

وروى ابن أبي حاتم وهو لا يخرّج إلاّ ما صحّ إسناده لديه: (**عن ابن عباس رضى الله، عنهما في قوله: سلام على آل ياسين قال: نحن آل محمّد آل ياسين)**[٣].

وروى الحاكم الحسكاني: (**...عن الصادق جعفر (بن محمّد) عن أبيه عن آبائه: (صفحة ١٦٨) عن عليّ عليهم السلام في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ قال: ياسين: محمّد ونحن آل ياسين)**[٤].

وفي «الحجّة في القراءات السبع» قال ابن خالويه: (**والحجّة لمن فتح الهمزة أنّه جعله اسمين أحدهما مضاف إلى الآخر معناه سلام على آل محمّد ﷺ وعليهم لأنّه قيل في تفسير قوله: يس، يريد يا محمّد)**[٥].

وقال ابن كثير: (**وقرأ آخرون "سلام على إدراسين" وهي قراءة ابن**

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٣ ص١١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج١٠ ص٣١٨٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج١٠ ص٣٢٢٥.

(٤) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ج٢ ص١٦٧ – ١٦٨.

(٥) ص٢٧٧.

مسعود رضي الله عنه آخرون "سلام على آل ياسين" يعني آل محمّد ﷺ)[١].

وقال السيوطي:(**ومن قرأ ﴿آلِ يَس﴾ فقيل المراد آل محمّد)**[٢].

وقال الشوكاني: (**ومنه قوله تعالى: ﴿سلام على آل ياسين﴾ أي على آل محمّد)**[٣].

ومما يؤيّد أنّ الاصطفاء منحصر في آل محمّد ما رواه مسلم في صحيحه: (**عن أبي عمار شداد أنّه سمع واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)**[٤]

فهنا بيّن النبي ﷺ من هم المصطفون وأين نجدهم، فهم محصورون في بني هاشم، الذين هم أفضل قريش، والذين اصطفاهم الله قد أورثهم علم الكتاب وأسراره، والسلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم كانوا عاجزين عن معرفة أسرار القرآن وعلومه والدليل اختلافهم وإقرارهم بعدم المعرفة، وهذا دليل على أنّهم ليسوا المصطفين وليسوا ممّن أورثوا علم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ج٤ ص٢٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج٢ ص٣٦٩.

(٣) فتح القدير، ج٤ ص٣٥٩.

(٤) صحيح مسلم، ج٧ ص٥٨، كتاب الفضائل، باب نسب النبي.

الكتاب.

وهذه بعض الدلائل على عدم وراثة الصحابة والأمّة للكتاب.

سُئل أبو بكر عن قول الله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾؟ فقال: (**أي سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم**)[1].

وسُئل أبو بكر عن «الكلالة» فقال: (**إنّي سأقول فيها برأيي، فإن كان صوابا فمنّ الله، وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان**)[2].

وورد أنّ عمر بن الخطاب تلا هذه الآية: ﴿**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ قال: (**فكلّ هذا قد عرفناه فما الأبّ؟ ثمّ نقض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمر الله التكلّف! اتّبعوا ما تبيّن لكم هداه من هذا الكتاب**)[3].

والغريب أنّ عمر لم يعرف حكم التيمّم المذكور في القرآن[4].

وأخرج البيهقي (**إنّ عثمان بن عفان** (**رضي الله عنه**) **أتى بامرأة قد ولدت في ستّة أشهر فأمر بها أن ترجم، فقال عليّ بن أبي طالب** (**رضي الله**

---

(١) فتح الباري: ١٣ / ٢٣٠. تفسير القرطبي: ١٩ / ٢٢٣. مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ص٣٠.

(٢) سنن الدارمي، ج٢ ص٣٦٥. تفسير ابن كثير: ١ / ٤٧١.

(٣) المستدرك للحاكم، ج٢ ص٥١٤ وصححه وأقرّه الذهبي في تلخيصه. تفسير الطبري: ٣٠ / ٣٨.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الحيض، باب التيمم.

عنه): «ليس ذلك عليها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وقال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فالرضاعة أربعة وعشرون شهر والحمل ستّة أشهر»، فأمر بها عثمان أن تردّ فوجدت قد رجمت)[1].

هذه نماذج لثلاثة، هم لدى الجمهور من أعلم الأمّة بعد النبي ﷺ وأفضلهم ومع ذلك تخفى عنهم بعض مسائل القرآن، فكيف يكونون ورثة الكتاب؟!

حين يأتي المرء إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام يجد ما يسرّه، فقد جعله النبيّ ﷺ بابا لمدينة علمه ومن أراد المدينة فليأت الباب، وحديث (**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها..**) رواه أكثر من عشرة من الصحابة وأسانيده بين صحيح وحسن وهذا مذكور عن أكثر من ٢٠ عالما منهم: ابن حجر العسقلاني والسخاوي والسيوطي.

وفي المستدرك للحاكم النيسابوري وصحّحه (**ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت عليا رضي الله عنه قام فقال: سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال: من الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار قال منافقو قريش قال فمن الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا قال منهم أهل**

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ج٧ ص٤٤٢، تفسير ابن كثير ج٤ ص١٦٩.

حروراء)[١].

وروى الهيثمّي: (**عن ابن عباس أنّ عليا كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله تعالى والله لئن مات أو قتل لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارثه، فمن أحقّ به منّي!؟**)[٢].

وقد روي عن عليّ عليه السلام ما يؤكّد ما نذهب إليه، ومما قاله عليه السلام:

١ـ (انظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تستبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم فتهلكوا)[٣].

٢ـ (فأين تذهبون؟ وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟ بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم؟ وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن

---

(١) ج٢ ص٣٥٢.

(٢) مجمع الزوائد، ج٩ ص١٣٤. قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح) وذكره الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ص٢٩٦. وقد التزم أن لا يخرّج إلا عن الثقات في كتابه.

(٣) نهج البلاغة ج١ ص١٨٩.

منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش)[١].

٣ـ (أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا، كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إنّ الأئمّة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم)[٢].

٤ـ (نحن الشعار، والأصحاب، والخزنة، والأبواب. لا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها، سمّي سارقا)[٣].

٥ـ (تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، وضياء الأمر)[٤].

٦ـ (إنّما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها)[٥].

وأمثال هذه الأحاديث والآثار كثيرة جدّا، تثبت ما نذهب إليه أنّ عترة النبي عليهم السلام هم المصطفون بعد النبي صلى الله عليه وآله وهم الذين أورثهم الله علم الكتاب، وبهم الهداية والنجاة.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١ ص٢٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص١٢٧.

منظومة أهل البيت عليهم السلام[1]

النبي محمّد صلى الله عليه وآله، لم يرد أن ينتهي دينه ويُوأد على يد الأشرار نتيجة هزيمة عسكرية كما اندثرت نبوّات كثيرة في الأرض، وإنّما أوجد منظومة داخلية، تتمسّك بالديانة وتمنع التحريف، وتصارع بقوة وبطريقة ناعمة، وهي قادرة على تحويل كلّ انتصارات الأشرار إلى هزائم دينية وخزي فكري، وهذه المنظومة هي منظومة أهل البيت عليهم السلام بكلّ خصائصها.

إن منظومة أهل البيت عليهم السلام منظومة عجيبة التنظيم والتكوين، ورغم ذلك فهي عجيبة التأثير في المسار العام في الإسلام، وهذا بحث يطول خارج اختصاص هذا الموضوع.

ولن نتكلّم عن أسرار التنظيم الديني في المنظومة الشيعية الإمامية التابعة كلّيّا لأهل البيت عليهم السلام، فالمكان لا يسمح بمثل ذلك، إنّما نتكلم عن وسائل نشر هذه المنظومة، في ظروف تزايد العداء لها وتزايد القوة ضدّها، وكيف أنّها يمكن تشبيهها بغصن شجرة كلّما قاومته ازداد صلابة حتّى يصل إلى صلابة تفوق الحديد فتكسره. فكلّما ازدادت الضغوط ينتشر التشيع، وسرّ ذلك نابع في التنظيم وفي وسائل التوصيل.

إنّ وسائل توصيل الفكرة الشيعية للإنسان تتكوّن من عدّة فروع:

---

(١) هذه المقالة الرصينة لأحد العلماء كان ينشر باسم (المنار)، ارتأيت جعلها هنا لحفظها، فكلّ ما في الشبكة العنكبوتية قابل للحذف يوما ما.

الأوّل: هو الاعتناء بالعقل ونشر قوة التمييز.

الثاني: هو الروحانية وحقائقها المذهلة.

الثالث: هو العاطفة ومنابعها المتعدّدة.

الرابع: هو الفنّ.

وهذه الأصول الأربعة لنشر الأفكار عند الشيعة جعلتهم متميّزين جدّاً في العالم أجمع، فالشيعة يملكون أكبر نسبة بين الأمم في الاهتمام بالعقل والتمييز العقلي وعلوم العقل، وهم يمتلكون أفضل الروحانيات الحقيقية التي تشرق بالنفس بدون حاجة إلى أيّ شيطان وتلبّسات سحرية مفتعلة، وهم يملكون أفضل الوسائل العاطفية، وهم مخترعو أفضل سبل التواصل الاجتماعي العاطفي، وهم يملكون أفضل وأرقى الفنون حيث إنّ الشيعة يمتلكون أكبر نسبة عالمية من الشعراء ومن ألحان الشعر. فلا يوجد عند أيّ أمّة نسبة شعراء إلى عددهم بهذه النسبة، فإنّك ما تحبّ شاعرا مجيدا إلاّ وتجده شيعيّا، وفي أربع لغات على أقل تقدير هي العربية والفارسية والتركية والهندية.

ولعلّ استراتيجيّة التنظيم الشيعيّ على يد الأئمّة الأطهار عليهم السلام، في قلب الطاولة على رؤوس الأعداء وتحويل بطشهم وتزويرهم إلى نحورهم، هو من الاستراتيجيات العقلية الرائعة، وقد استخدم الأئمة في ذلك الإعلام والعاطفة ومنطق المحاججة بطريقة الخُلف، والإعلام كان في زمنهم هو الشعر والشعراء وفنون الأدب.

والعاطفة كانت تتمحور حول المظلومية لأهل البيت عليهم السلام، وإبراز قبح بطش الظالمين بشكل تجسيمي ظاهر للعيان، يقزز أيّ عاقل من سلوك هؤلاء المخادع للبشر، بحيث سيكتشف كلّ متحوّل إلى الحقيقة، بأنّه وأهله كانوا أُلعوبة بيد مجرمين قبيحين لا يمكن وصف قبائحهم، ولكنّها كانت مستورة إلى درجة رؤياهم لها بطريقة معاكسة، فكلّ الشرّ يظهر أمامهم بأنّه خير لطيف محبوب، وهذا ما يغيظ المكتشف لهذه الجريمة، فإنّه يتعجّب من نفسه ومن أهله، فكيف كانت تنطلي عليهم هذه الحيلة العجيبة؟ وكيف أنّ التشيّع كشف هذه القبائح بطريقة منظّمة جدّا؟ هكذا يتساءلون نتيجة انكشاف حقيقة الجريمة.

شهادة العلامة الحلّيّ

قال العلامة الحلّيّ: (**وما أظنّ أحدا من المحصلين وقف على هذه المذاهب، فاختار غير مذهب الإمامية باطنا، وإن كان في الظاهر يصير إلى غيره طلبا للدنيا حيث وضعت لهم المدارس والربط والأوقاف حتّى تستمرّ لبني العباس الدعوة، ويشيدوا للعامّة اعتقاد إمامتهم. وكثيرا ما رأينا من يدين في الباطن بمذهب الإمامية، ويمنعه عن إظهاره حبّ الدنيا وطلب الرياسة، وقد رأيت بعض أئمة الحنابلة يقول: إنّي على مذهب الإمامية، فقلت له: لم تدرس على مذهب الحنابلة؟ فقال: ليس في مذهبكم البغلات والمشاهرات. وكان أكبر مدرّسي الشافعية في زماننا حيث توفّي أوصى بأن يتولّى أمره في غسله وتجهيزه بعض المؤمنين، وأن يدفن في مشهد**

الكاظم عليه السلام، وأشهد عليه أنّه على دين الإمامية) [١].

ظاهرة موافقة بعض أئمة أهل السنّة الكبار للإمامية

أبو حامد الغزالي أوّلا

قال السبكي: **(الإمام الجليل أبو حامد الغزالي حجّة الإسلام ومحجّة الدين التي يتوصّل بها إلى دار السلام جامع أشتات العلوم والمبرّز في المنقول منها والمفهوم)** [٢].

وقال الذهبي فيه: **(الشيخ الإمام البحر، حجّة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط)** [٣].

قال الذهبي نقلا عن سبط ابن الجوزي: **(ذكر أبو حامد في كتابه «سرّ العالمين وكشف ما في الدارين»: فقال في حديث: "من كنت مولاه، فعليّ مولاه" أنّ عمر قال لعليّ: بخ بخ، أصبحت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثمّ بعد هذا غلب عليه الهوى حبّا للرياسة، وعقد البنود، وأمر الخلافة ونهيها، فحملهم على الخلاف، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا، فبئس ما يشترون، وسرد كثيرا من هذا**

---

(١) منهاج الكرامة، ص٦٧ – ٦٨.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، ج٦ ص١٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٩ ص ٣٢٢ـ ٣٢٣.

الكلام الفسل الذي تزعمه الإمامية، وما أدري ما عذره في هذا؟ والظاهر أنّه رجع عنه، وتبع الحقّ، فإنّ الرجل من بحور العلم، والله أعلم).

ثمّ قال الذهبي: (**هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد، ففي هذا التأليف بلايا لا تتطبّب**)[١].

ومما جاء تتمّة لهذا النصّ الذي ذكره الذهبي وهو في كتاب الغزالي المطبوع: (**ولما مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: ائتوا بدواة وبيضاء لأزيل لكم إشكال الأمر واذكر لكم من المستحقّ لها بعدي. قال عمر رضي الله عنه: دعوا الرجل فإنّه ليهجر**)[٢].

وقال في مقدمة كتابه: (**ختم الأنبياء بمحمّد ﷺ وعلى آله وعترته**)[٣].

لقد شكّك الذهبي بصحّة الكلام الذي نقله سبط ابن الجوزي عن الغزالي، دون برهان ودليل، وقد ذكر الذهبي نفسه كتاب الغزالي أكثر من مرة في كتبه مستدلّا به دون تشكيك فيه، قال في ميزان الاعتدال: (**قال أبو حامد الغزالي ـ في كتاب سرّ العالمين: شاهدت قصّة الحسن بن الصباح ...**)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء-الذهبي -ج ١٩ -ص ٣٢٨ – ٣٢٩٩. وذكر كلام أبي حامد علماء نجد الأعلام في الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج٣ -ص ٣٢٣ دون تشكيك فيه.

(٢) سرّ العالمين وكشف ما في الدارين، ج١ – ص١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١ – ص٧.

(٤) ج١ص ٥٠٠.

وفي تاريخ الإسلام: (**وقال الغزالي في كتاب سرّ العالمين...**)[١].

ونقل عنه ابن حجر في لسان الميزان[٢] دون تشكيك بالكتاب.

ممّن نسب الكتاب لأبي حامد دون ترديد:

ـ سبط ابن الجوزي، في كتابه (تذكرة خواصّ الأمّة).

ـ الإمام أحمد المرتضى الزيدي في شرح الأزهار، حيث قال: (**وله كتاب سرّ العالمين يشهد بذلك**)[٣].

ـ مصطفى بن عبدالله القسطنطينية الرومي الحنفي في (هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)[٤].

ـ إسماعيل باشا البغدادي في (إيضاح المكنون)[٥].

ـ جرجي زيدان في «آداب اللغة العربيّة»، حيث قال: (**ومن كتب الغزالي: ‹سرّ العالمين وكشف ما في الدارين› يبحث في نظام الحكومات ـ نسخة منه خطّيّة في المكتبة الخديويّة، ونسخة في مكتبة برلين**)[٦].

ومن الإمامية:

---

(١) للذهبي، ج٣٤ ص٣١.

(٢) ج٢ ص٢١٥٥.

(٣) ج١ -المقدمة ص٣٦.

(٤) ج٦ ص٨٠.

(٥) ج٢ ص١١.

(٦) ج٤، ص٩٨.

ـ محسن الفيض الكاشاني، قال (**كان عامّي المذهب حين تصنيف (إحياء العلوم) ثمّ تشيّع في آخر عمره، وصنّف كتاب (سرّ العالمين)...)**[١].

ـ المجلسي في بحار الأنوار.

ـ يذكر بعض علماء الإمامية لقاء الغزالي بأحد الأعلام وتشيّعه بعد ذلك، سئل محمّد علي الكرمانشاهي نجل الوحيد البهبهاني في كتاب (قوامع الفضل) عن الغزالي، ومناظرته مع الشريف المرتضي في طريق مكّة، وتشيّعه، وتأليفه كتابه، فقال: كان لقاء الغزالي مع السيّد مرتضى الرازيّ صاحب كتاب (تبصرة العوامّ)[٢].

ـ وقال الطباطبائي الحسني في مقدّمة كتاب (سرّ العالمين) طبعة النجف: ومن الذين نسبوا كتاب (سرّ العالمين) إلى الغزالي: القاضي نورالله التُّستريّ في (مجالس المؤمنين) والشيخ علي بن عبدالعالي الكَرَكيّ، وهو المحقّق الثاني فيما نقل عنه، والمولى محسن الفيض صاحب (الوافي) والطريحي في (مجمع البحرين)[٣].

---

(١) المحجّة البيضاء» للفيض الكاشاني، ج١، ص١.

(٢) انظر: قوامع أو مقامع الفضل، محمد علي الكرمانشاهي (المتوفى ١٢٢٦هـ).

(٣) مجلة تراثنا، مؤسسة آل البيت، ج٢ ص٩٧. انظر: مقدمة «سرّ العالمين» مطبعة النعمان النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ. ص٦.

فخر الدين الرازي ثانيا

قال ابن خلكان في ترجمته في: (**الفقيه الشافعي فريد عصره ونسيج وحده فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل له التصانيف المفيدة في فنون عديدة...**)[١].

قال فخر الدين الرازي في كتابه «المطالب العالية من العلم الإلهي» وقد كتبه في آخر حياته: (**وجماعة من الشيعة الإمامية يسمّونه بالإمام المعصوم، وقد يسمّونه بصاحب الزمان، ويقولون بأنّه غائب، ولقد صدقوا في الوصفين أيضاً، لأنّه لما كان خالياً عن النقائص، التي هي حاصلة في غيره، كان معصوماً من تلك النقائص، وهو أيضاً صاحب الزمان، لأنّا بيّنّا أنّ ذلك الشخص هو المقصود بالذات في ذلك الزمان، وما سواه فالكلّ أتباعه، وهو أيضا غائب: غائب عن الخلق لأنّ الخلق لا يعلمون أنّ ذلك الشخص هو أفضل أهل هذا الدور، وأكملهم**)[٢].

وقد حاول البعض مثل سعيد فودة الأشعري، تمييع كلام الرازي، فناور دون جدوى[٣]، فالرازي يوافق الشيعة الإمامية بأنّه: الإمام المعصوم، بأنّه صاحب الزمان، بأنّه غائب.

وقد ذهب الدكتور هاني نعمان فرحات في كتابه (مسائل الخلاف بين

---

(١) وفيات الأعيان، ج٤ ص٢٤٩.

(٢) ج٨ ص١٠٤، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا. ط. دار الكتاب العربي.

(٣) وذاك في منتداه في الإنترنت المسمى بمنتدى الأصلين.

فخر الدين الرازي ونصير الدين الطوسي) إلى تشيّع الرازي اعتمادا على كلامه هذا!

ابن الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦هـ) يتشيّع!

قال ابن رجب الحنبلي في ترجمته: (**سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد، الطوفي الصرصري ثمّ البغدادي، الفقيه الأصولي، المتفنّن، نجم الدين أبو الربيع: ولد سنة بضع وسبعين وسبعمائة ...**

وكان فاضلاً صالحاً ... ولقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والمزّي والشيخ مجد الدين الحراني، وجالسهم...

وأقام بالقاهرة مدة، وولي بها الإعادة بالمدرستين: المنصورية، والناصرية، في ولاية الحارثي. وصنّف تصانيف كثيرة ... ـ وذكر له ٣٢ كتابا ـ ...وكان مع ذلك كلّه شيعياً منحرفاً في الاعتقاد عن السنّة، حتّى أنّه قال في نفسه: حنبلي رافضي أشعري هذه أحد العبر ووجد له في الرفض قصائد، وهو يلوح في كثير من تصانيفه، حتّى أنّه صنّف كتاباً سماه "العذاب الواصب على أرواح النواصب".

ومن دسائسه الخبيثة: أنّه قال في شرح الأربعين للنووي: اعلم أنّ من أسباب الخلاف الواقع بين العلماء: تعارض الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أنّ السبب في ذلك: عمر بن الخطاب، وذلك أنّ الصحابة استأذنوه في تدوين السنّة من ذلك الزمان، فمنعهم من ذلك وقال: لا أكتب مع القرآن غيره، مع علمه أنّ النبي ﷺ قال: " اكتبوا لأبي شاه خطبة الوداع

"، وقال: " قيدوا العلم بالكتابة ". قالوا: فلو ترك الصحابة يدوّن كلّ واحد منهم ما روى عن النبيﷺ لانضبطت السنّة، ولم يبقَ بين آخر الأمّة وبين النبيﷺ في كلّ حديث إلاّ الصحابي الذي دون روايته، لأنّ تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم إلينا، كما تواتر البخاري ومسلم ونحوهما. فانظر إلى هذا الكلام الخبيث المتضمّن: أنّ أمير المؤمنين عمر رضي اللهّ عنه هو الذي أضلّ الأمّة، قصداً منه وتعمّداً... وقد كان الطوفي أقام بالمدينة النبوية مدّة يصحب الرافضة: السكاكيني المعتزلي ويجتمعان على ضلالتهما...

قال تاج الدين أحمد بن مكتوم القيسي في حقّ الطوفي: قدم علينا ـ يعني الديار المصرية ـ في زيٍّ أهل الفقر، وأقام على ذلك مدة، ثمّ تقدّم عند الحنابلة، وتولّى الإعادة في بعض مدارسهم، وصار له ذكر بينهم. وكان يشارك في علوم، ويرجع إلى ذكاء وتحقيق، وسكون نفس، إلاّ أنّه كان قليل النقل والحفظ، وخصوصاً للنحو على مشاركة فيه، واشتهر عنه الرفض، والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة رضي الله عنهما، وفي غيرهما من جملة الصحابة رضي الله عنهم، وظهر له في هذا المعنى أشعار بخطّه، نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له، منها قوله في قصيدة: كم بين من شُكّ في خلافته * وبين من قيل: إنّه اللهَ، فرفع أمر ذلك إلى قاضي قضاة الحنابلة سعد الدين الحارثي، وقامت عليه بذلك البينة، فتقدّم إلى بعض نوّابه بضربه وتعزيزه وإشهاره، وطيف به، ونودي عليه بذلك، وصرف عن جميع ما كان بيده من

المدارس، وحبس أياماً، ثمّ أطلق)[١].

وقال المؤرّخ المقريزي في ترجمته (ت ٨٤٥هـ):

(العلّامة نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفي في كتاب «الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية» قوله عزّ وجلّ: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا، احتجّ بها الشيعة على أنّ أهل البيت معصومون، ثمّ على أنّ إجماعهم حجّة، وكلّ من كان كذلك فهو معصوم. أمّا الأوّلى: فلنصّ هذه الآية. وأما الثانية: فلأنّ الرجس اسم جامع لكلّ شرّ ونقص، والخطأ وعدم العصمة بالجملة شرّ ونقص، فيكون ذلك مندرجا تحت عموم الرجس الذاهب عنهم، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد، والعصمة بالجملة ثابتة لهم، وأيضا فلأنّ الله عزّ وجلّ طهّرهم، وأكّد تطهيرهم بالمصدر حيث قال: ويطهّركم تطهيرا أي ويطهّركم من الرجس وغيره تطهيرا؛ إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم من كلّ ما ينبغي التطهّر منه عرفا أو عقلا، أو شرعا؛ والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك، فيكونون مطهّرين منه، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم وعصمتهم. ثمّ أكدوا دليل عصمتهم من الكتاب والسنّة في عليّ رضى الله عنه وحده، وفي فاطمة عليها السلام وحدها، وفي جميعهم ... وأما دليل

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، ج٤ ص٣٦٦ – ٣٦٩.

العصمة في جميعهم، أعني في فاطمة رضى الله عنها، فقوله ﷺ «فاطمة بضعة منّي يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها» والنبيّ ﷺ معصوم، فبضعته ـ أي جزؤه، والقطعة منه يجب أن تكون معصومة. وأما دليل العصمة في جميعهم، أعني عليا وفاطمة وولديهما، فلقوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» رواه الترمذي. ووجه دلالته أنّه لازم بين أهل بيته، والقرآن المعصوم، وما لازم المعصوم فهو معصوم. قالوا: وإذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون إجماعهم حجّة لامتناع الخطأ والرجس عليهم بشهادة السمع المعصوم، وإلاّ لزم وقوع الخطأ فيه وإنّه محال)[1].

قال ابن حجر في ترجمة الطوفي:

(سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم بن سعيد ابن الصفي المعروف بابن أبي عباس الحنبلي نجم الدين ولد سنة ٦٥٧ وهو الطوفي بضم الطاء وسكون الواو بعدها فاء أصله من طوف قرية ببغداد، ثمّ قدم الشام فسكنها مدة ثمّ أقام بمصـر مدّة واشتغل في الفنون وشارك في الفنون وتعاني التصانيف في الفنون وكان قوي الحافظة شديد الذكاء

... وقرأت بخط القطب الحلبي كان فاضلا له معرفة وكان مقتصدا في

(١) رسائل المقريزي، ج١ ص١٨٨ – ١٨٩.

لباسه وأحواله متقللا من الدنيا وكان يتّهم بالرفض وله قصيدة يغض فيها من بعض الصحابة...

وقال الصفدي كان وقع له بمصر واقعة مع سعد الدين الحارثي وذلك أنّه كان يحضر دروسه فيكرمه فيبجله وقرره في أكثر مدارس الحنابلة فتبسط عليه إلى أن كلمه في الدرس بكلام غليظ فقام عليه ولده شمس الدين عبد الرحمن وفوض أمره لبدر الدين ابن الحبال فشهدوا عليه بالرفض وأخرجوا بخطّه هجوا في الشيخين...

فعزّر وضرب فتوجّه إلى قوص فنزل عند بعض النصارى وصنّف تصنيفا أنكروا عليه منه ألفاظاً ثمّ أستقام أمره وأقبل على قراءة الحديث والتصنيف وشرح الأربعين للنووي واختصر روضة الموفق في الأصول على طريقة ابن الحاجب حتّى أنه استعمل أكثر ألفاظ المختصر وشرح مختصره شرحا حسنا وشرح مختصر التبريزي في الفقه على مذهب الشافعي وكتب على المقامات شرحا واختصر الترمذي)[1].

وقال الذهبي:

(ومات العلامة النجم سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي الشيعي الشاعر، صاحب شرح الروضة، وكان على بدعته كثير العلم، عاقلا،

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢ ص٢٩٥ – ٢٩٧.

متديّنا. مات ببلد الخليل كهلا) [١].

قال الزركلي: (**فقيه حنبلي من العلماء**) [٢].

وقال الحجوي الثعالبي الفاسي عنه: (**أصولي، متفنّن في العربية والمنطق والأصلين وغيرها، بابن البوقي يسمّى "الإشارات الإلهية والمباحث الأصولية" ليس له نظير في بابه، و "والإكسير في قواعد التفسير" وشرح مقامات الحريري في مجلّدات، وكان شيعيّا**) [٣].

ملاحظاتي:

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية [٤]: (**وتولّى الطوفي التدريس ونال مكانة في عصره، ووصفه العلماء بالفضل، والمشاركة في العلوم، وسعة المعرفة، وشدّة الذكاء، وقوة الحافظة، وكثرة العبادة، والتقلّل من الدنيا**).

ـ نصّ أكثر من واحد من علماء الجمهور على تشيّعه وترفّضه، فما الذي دعاه إلى هذا الامر، وفي ذلك خسارة لوجاهته ورزقه، وسيُتّهم وقد يُحاكم؟!

---

(١) العبر في خبر من غبر، ج٤ ص٤٤.

(٢) الأعلام، ج٣ ص١٢٧.

(٣) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ج٢ ص٤٣٧ – ٤٣٨.

(٤) وهي مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ج٣٦ ص٣٣٦.

وكما مرّ من خلال ترجمته فهو علامة كبير، من تلاميذ ابن تيمية [١]، شهدوا له بالعلم والتصنيف والتدريس، وجلّ كتبه التي ألّفها تخصّصية في اللغة والفقه وأصول الفقه والتفسير، وله مؤلفات في الردّ على النصارى ...

هل سيقول بعض الجهلة أنّ إيران هي التي أغرته في القرن الثامن الهجري؟!!

ـ عاش هذا العَلَم في زمن العلَّامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) ولعلّه أحد الأفراد الذين أشار العلامة الحلّي إليهم برجوعهم لأهل البيتعليهم السلام كما ذكرنا ذلك سابقا.

ـ ينبغي الاهتمام بمؤلفات هذا العَلَم خاصّة كتابه: (العذاب الواصب على أرواح النواصب) وقد ذكره المرحوم الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة [٢].

تساؤلات

قد يتسائل الباحث المستبصر في شؤون المذاهب وعقائد الفرق عن سبب عدم ورود أحاديث صريحة في كتب المحدّثين من الجمهور بشأن تعيين الأئمة كما هو حال الأحاديث في كتب الشيعة.

---

(١) عدّه من تلاميذ ابن تيمية محقّق كتاب النبوءات لابن تيمية، ص٦٣، والمحقق هو عبد العزيز الطوبان.

(٢) ج١٥ ص٢٤٠.

لماذا غابت أسماء الأئمة الاثني عشر والنصّ عليهم من كتب الجمهور؟

لماذا لم يحتجّ الأئمة بإمامتهم ويبيّنوا أحقّيتهم؟

لماذا نجد أحاديث حول عصمة أئمّة الشيعة في كتب الإمامية ولا نجدها في كتب السنّة؟

لماذا غابت أحداث الاعتداء على بيت الزهراءعليها السلام بتفاصيلها المؤلمة والجريئة؟

لماذا غابت كثير من الأمور التي فيها إساءة للصحابة؟!

لماذا لا نجد مواقف الصحابة كسلمان وعمار ... واعتراضهم على الخلفاء؟

لماذا لا نجد الصراع بين عليّ والخلفاء أو بين الصحابة أنفسهم كما تصفونه أنتم؟

إنّ هذا السائل يفترض أنّ أئمة الحديث والتاريخ أمثال ابن حنبل والبخاري والطبري ... قد نقلوا بكلّ أمانة كلّ ما حصل في تلك القرون!

هو يفترض أنّ الرواة كانوا ينقلون بأمانة منقطعة النظير كلّ ما يسمعونه ولو كان مخالفا لاعتقاداتهم!

هو يفترض أنّ كلّ ما قاله أئمة أهل البيتعليهم السلام قد وصل إلى المحدّثين، وأنّ المحدّثين كانوا يتزاحمون لسماع حديث الأئمة حيث لا يجدون مكانا للجلوس!

لقد تمّ كتابة السنّة والتاريخ تحت رقابة الحكّام والمحدّثين، ففي عهد الخلفاء الثلاثة منعوا رواية السنّة، وحرقوا الأحاديث المكتوبة، وفي عهد المحدّثين استغلّ هؤلاء سطوتهم، فمرّة يحرقون الأحاديث التي لا تعجبهم، ومرّة يمسحونها ومرّة يجرّون راويها ويضربونه، ومرّة يسدّ المحدّث أذنيه حتّى لا يسمع حديث الراوي وإن كان من كبار الرواة الثقات، فكيف والحال هذه ستصل تلك النصوص التي سأل عنها البعض؟

كان أحمد بن حنبل من أشدّ المعارضين لرواية أحاديث المثالب وما جرى بين الصحابة، وقد أورد الخلال الحنبلي العديد من الشواهد على ذلك، منها[1]:

(قال أبو عبدالله ـ أي ابن حنبل ـ: لا أحبّ لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبيّ ﷺ).

(أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبدالله: تعرف أبا سيار سماه، بلغني أنّه ردّ على أبي همام حديثا حدث به، قال أبو بكر: وحدّث أبو همام بحديث فيه شيء على أصحاب رسول الله ﷺ، وظنّ أبو همام أنّه فضيلة، فلما كان المجلس الثاني، ونحن حضور فوثب جماعة، وقالوا: يا أبا همام، حدّثت بحديث رديء؟ فقال: قد أخطأت، اضربوا عليه، ولا تحكوه

---

(١) هذه النصوص وغيرها في كتاب السنة، ج٣ ص٥٠٢. وج٣ – ص٣٠٧ –٣١١.

عنّي...)

(أخبرني محمّد بن جعفر، أنّ أبا الحارث حدّثهم قال: سألت أبا عبدالله قلت: هذه الأحاديث التي رويت في أصحاب النبيﷺ ترى لأحد أن يكتبها؟ قال: لا أرى لأحد أن يكتب منها شيئا...)

(أخبرني موسى بن حمدون، قال: ثنا حنبل، قال: سمعت أبا عبدالله، يقول: كان سلام بن أبي مطيع أخذ كتاب أبي عوانة الذي فيه ذكر أصحاب النبيﷺ فأحرق أحاديث الأعمش تلك).

(... ثنا يحيى، قال: سمعت خالد بن خداش، قال: جاء سلام بن أبي مطيع إلى أبي عوانة، فقال: هات هذه البدع التي قد جئتنا بها من الكوفة، قال: فأخرج إليه أبو عوانة كتبه، فألقاها في التنور، فسألت خالدا ما كان فيها؟ قال: حديث الأعمش ... قال: حديث عليّ: «أنا قسيم النار»، قلت لخالد: حدّثكم به أبو عوانة، عن الأعمش؟ قال: نعم ....).

(وأخبرنا عبدالله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: سلام بن أبي مطيع من الثقات من أصحاب أيوب، وكان رجلا صالحا، حدّثنا عنه عبد الرحمن بن مهدي، ثمّ قال أبي: كان أبو عوانة وضع كتابا فيه معايب أصحاب النبيﷺ وفيه بلايا، فجاء إليه سلام بن أبي مطيع، فقال: يا أبا عوانة، أعطني ذلك الكتاب، فأعطاه، فأخذه سلام فأحرقه).

(أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: حدثني أبو بكر بن أبي طالب، قال: جاء عبد الرحمن بن صالح إلى أبي معمر، فذكر بعض الأحاديث الرديئة،

فقال أبو معمر: خذوا برجله، وجرّوه، وأخرجوه من المسجد، فجرّ برجليه، وأخرج من المسجد).

(وأخبرني العباس بن محمّد بن إبراهيم، قال: سمعت جعفرا الطيالسي، يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول: كانوا عند عبد الرزاق: أحمد، وخلف، ورجل آخر، فلما مرّت أحاديث المثالب وضع أحمد بن حنبل إصبعيه في أذنيه طويلا حتّى مرّ بعض الأحاديث، ثمّ أخرجهما، ثمّ ردّهما حتّى مضت الأحاديث كلّها أو كما قال).

(وأخبرني محمّد بن علي، قال: ثنا مهنى، قال: سألت أحمد عن عبيد الله بن موسى العبسي؟ فقال: كوفيّ، فقلت: فكيف هو؟ قال: كما شاء الله، قلت: كيف هو يا أبا عبدالله؟ قال: لا يعجبني أن أحدّث عنه، قلت: لم؟ قال: يحدّث بأحاديث فيها تنقّص لأصحاب رسول الله ﷺ).

قال الذهبي: (كما تقرّر عن الكفّ عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين ومـــا زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغي طيّه وإخفاؤه بل إعدامه)[1].

لا شكّ أنّه من حقّ المسلم أن يطّلع على ما جرى بين الصحابة ليحتاط لدينه ويعرف المصيب من المخطئ، وما ذكره الذهبي هو طمس للحقيقة

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٠ ص٩٢.

والتاريخ، وهذا هو الضعف بعينه، فأيّ أمّة تخجل من تاريخها وما جرى بين رجالها؟!

وقد كان الرواة ومحدّثو السلطة يمارسون الضغط على بعض الرواة خاصّة الشيعة لعدم رواية بعض الأحاديث الصحيحة التي تؤرّقهم.

روى العقيلي: **(عن عيسى بن يونس، يقول: ما رأيت الأعمش خضع إلاّ مرّة واحدة، فإنّه حدّثنا بهذا الحديث، قال عليّ: أنا قسيم النار. فبلغ ذلك أهل السنّة فجاءوا إليه فقالوا: أتحدّث بأحاديث تُقوِّي بها الروافضة والزيدية والشيعة؟ فقال: سمعته فحدّثت به. فقالوا: فكلّ شيء سمعته تحدّث به؟ قال: فرأيته خضع ذلك اليوم!)** [1].

وروى ابن عساكر: **(قال: قال يعقوب: وسمعت الحسن بن الربيع يقول: قال أبو معاوية ـ الضرير الشيعي ـ قلنا للأعمش: لا تحدّث هذه الأحاديث. قال: يسألونني فما أصنع، ربما سهوت، فإذا سألوني عن شيء من هذا وسهوت فذكّروني. قال: وكنّا يوماً عنده فجاء رجل فسأله عن حديث (قسيم النار) قال ـ أي أبو معاوية ـ: فتنحنحت. قال: فقال الأعمش: هؤلاء المرجئة لا يدعوني أحدّث بفضائل عليّ (رضي الله عنه) أخرجوهم من المسجد حتّى أحدّثكم!)** [2].

---

(١) ضعفاء العقيلي، ج٣، ص٤١٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٢٩٩.

وكان بعض المحدّثين يخفون الحقائق ولا يروونها، ومثاله ما رواه أحمد بن حنبل: (**حدثني محمّد بن عبدالله قال: حدّثنا أبو داود، عن شعبة، قال: لقد حدّثنا الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عليّ شيئا لو حدّثتكم به لرقصتم، والله لا تسمعونه منّي أبدا. وحدّثنا به محمود بن غيلان، مثله، وقال: لترفّضتم. قال أبو عبدالرحمن وهو أشبه ـ أي أولى بالصواب ـ**)[1].

وسنده صحيح.

قال الزهري: (**والله إنّ عندي من فضائل عليّ ما لو تحدّثت بها لقتلت**)[2].

ومن أسباب عدم ورود تلك النصوص هو خوف الرواة:

جاء في (تهذيب الكمال) للمزي: (**عن يونس بن عبيد، قال: سألت الحسن ـ البصري ـ، قلت: يا أبا سعيد إنّك تقول: قال رسول الله ﷺ وإنّك لم تدركه؟ قال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، ولولا منزلتك منّي ما أخبرتك، إنّي في زمان كما ترى ـ وكان في عمل الحجّاج ـ كلّ شيء سمعتني أقول: قال رسول الله ﷺ، فهو عن عليّ بن أبي طالب، غير أنّي في زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً**)[3].

بل وصل خوفهم من الاتّصال بأهل البيت عليهم السلام والرواية عنهم حتّى في المنام:

---

(١) الجامع في العلل ومعرفة الرجال، ص٣٦١.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير، ج١ ص٣٠٨.

(٣) ج٦ ص١٢٤.

روى الخطيب البغدادي: (**حدثني محمّد بن عمر بن فارس قال: سمعت فتح بن شخرف يقول: كنت بأنطاكية، وبها جبل يقال له المطل، فنويت أن أصعد عليه ولا أنزل حتّى أختم القرآن ـ أو أتعلم القرآن ـ فحملتني عيني فنمت، فبينا أنا نائم إذا أنا بشخصين، فقلت للذي يقرب منّي: من أنت يا هذا؟ فقال لي: من ولد آدم قلت: كلّنا من ولد آدم، قلت: فما الذي وراءك؟ قال لي عليّ بن أبي طالب، قال: قلت له: أنت قريب منه ولا تسأله، قال أخشى أن يقول الناس إنّي رافضي**)[1].

ومن الأسباب التي منعت وصول تلك النصوص أيضا تعصّب الناس وعدم تحمّلهم، قال الذهبي في ترجمة الصولي: (**الصولي العلامة الأديب ذو الفنون، أبو بكر، محمّد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمّد بن صول، الصولي البغدادي، صاحب التصانيف ... توفّي بالبصرة مستترا، لأنّه روى خبراً في [حقّ] عليّ عليه السلام، فطلبته العامّة لتقتله**)[2].

ووصل الأمر ببعض الحكّام كالمتوكّل أن ضرب نصر بن عليّ ألف سوط لأنّه روى حديثا في فضل الحسنين عليهما السلام كما في تاريخ بغداد[3].

وفي عمّار بن معاوية قال ابن المديني عن سفيان: (**قطع بشرُ بن مروان**

---

(١) تاريخ بغداد، ج١٢ ص٣٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١٥ ص٣٠١ – ٣٠٢.

(٣) الخطيب البغدادي، ج١٣ ص٢٨٩.

عرقوبيه في التشيّع)[١].

ومن أسباب عدم وصول أمثال تلك النصوص أيضا تخاذل بعض أئمّتهم.

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي: (**يزيد بن محمّد الرهاوي: سمعت أبي يقول: قلت لعيسى بن يونس: أيهما أفضل: الأوزاعي أو سفيان؟ فقال: وأين أنت من سفيان؟ قلت: يا أبا عمرو: ذهبت بك العراقية! الأوزاعي، فقهه، وفضله، وعلمه! فغضب، وقال: أتراني أؤثر على الحقّ شيئا؟ سمعت الأوزاعي يقول: ما أخذنا العطاء حتّى شهدنا على عليٍّ بالنفاق، وتبرّأنا منه، وأخذ علينا بذلك الطلاق والعتاق وأيمان البيعة ...**)[٢].

هذا الأوزاعي يعتبر من كبار الأئمّة، له مذهب فقهيّ، شهد على عليّ عليه السلام بالنفاق وتبرّأ منه، ثمّ ذهب يبيع بيته ... ليكفّر عن ذنبه، وأين هو من سعيد بن جبير رضوان الله عليه الذي آثر الحقّ ولم يخضع للحجّاج، فقتله؟

ومن يشهد على عليّ عليه السلام بما قد ذكرناه ـ ولو مُكرَهاً ـ كيف يجرأ على الحديث بمناقبه ومثالب غيره؟!

ومن أمثلة كتمان المؤرّخين ما قاله الطبري في تاريخه: (**وحدّثني يزيد بن**

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج٧، ص٣٥٥ – ٣٥٦، والعُرْقُوبُ من الإنسانِ: وتَرٌ غليظٌ فوق عِقبِهِ.

(٢) ج٧ ص١٣٠ – ١٣١.

ظبيان الهمداني أنّ محمّد ابن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولّي فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعها العامّة).

وقال بشأن أبي ذرّ: (**وأما الآخرون فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورا شنيعة كرهت ذكرها**)[1].

وكان بعض المحدّثين والرواة لا يعجبهم الرواية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام لأنّهم بنظرهم يروون العجائب عن آبائهم**!!**

وهذه شهادة منهم بصحّة ما ينقله الشيعة عنهم.

جاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي: (**كتب الفضل بن الربيع إلى أبي فقال: لا تحدّث عن جعفر بن محمّد فقلت لأبي هذا أبو البختري ببغداد يحدّث عن جعفر بن محمّد بالأعاجيب ولا ينهى؟ فقال: يا بنيّ أمّا من يكذب على جعفر بن محمّد فلا يبالون به وأمّا من يصدق على جعفر فلا يعجبهم**)[2].

وقال ابن حبان (**عليّ بن موسى الرضا يروي عن أبيه العجائب روى عنه أبو الصلت وغيره كأنّه كان يهمّ ويخطئ ...**)[3].

---

(١) راجع هذين النصين في تاريخ الطبري، ج٣ ص٥٥٧. وج ٣ ص٣٣٧.

(٢) ج٩ ص٢٥ ترجمة رقم: (١١٦).

(٣) المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، ج٢ ص١٠٦ -١٠٧.

وقال ابن طاهر: (**يأتي عن آبائه بعجائب**)[(١)].

النتيجة:

مع حرق أحاديث المثالب ومنع الرواة من التحدّث بفضائل الآل وحقّهم، وسدّ الأذنين كي لا تسمعا بعض الحقائق ومع ظلم الحاكم للرواة ومع جرح الراوي الشيعي لكونه روى ما لا يعجبهم ومع تحريفهم الأحاديث وبترها، ومع مقاطعتهم لأئمّة أهل البيت عليهم السلام لأنّهم بنظرهم يروون العجائب كما أسفلنا فكيف والحال هذه يتوقّعون وصول أحاديث الأئمّة الاثني عشر والنصّ على أسمائهم وعلى إمامتهم وسائر الحقائق؟!!

أسئلة الشيخ البوطي

استمعت إلى مقطع فيديو للشيخ البوطي، ثمّ أثار أحد الأخوة الباحثين ما تضمّنه المقطع من أسئلة طرحها الشيخ البوطي، وطلب منّي الإجابة عليها.

لماذا انفردت الإمامية بفقه خاصّ بهم؟

بدأ الخلاف حول موضوع الإمامة والخلافة ثمّ تطوّر ليتشكّل مذهب لماذا أصبح هذا الخلاف فيما بعد خلافا فقهيّا تعبّديا نتج عنه مذاهب

---

(١) المغني في الضعفاء للذهبي، ج٢ ص٩٨.

إسلامية؟!

المفروض أنّ أهل البيت عليهم السلام وخطهم ومنهجهم الفقهي والعقائدي هو الأصل، الذي أرجعنا له رسول الله في حديث الثقلين الصحيح بل المتواتر، وكل من يخالفهم هو الـمُلام، لهذا من حقّ السؤال أن يكون:

ـ لماذا خالفت الأمّة أهل البيت عليهم السلام وكوّنت لنفسها مذاهب فقهية تخالف فقه أهل البيت عليهم السلام ؟

ـ لماذا لم يرجع الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام فتتوحّد الأمّة؟

كان المفروض بالشيخ أن يوجّه اللوم إلى أصحاب المذاهب ومؤسّسيها الذين انفردوا بفقه يناسب مدارسهم وقواعدها.

إنّ تفرّق الأمّة إلى مذاهب فقهيّة وعقائديّة سببه هو عدم الرجوع لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وتأسيس أئمّة المذاهب فقها خاصّا بهم ساهم في انقسام الأمّة أكثر وأكثر.

مما يدلّك على وجود فقه للعترة الطاهرة، ما ذكره الذهبي: **(عن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمّد. لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمّد فهيّئ له من المسائل الشداد، فهيّأت له أربعين مسألة. ثمّ بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة. فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمّد جالس عن يمينه، فلما أبصرت به، دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمّد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر!! فسلّمت عليه**

فأومأ إليّ فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبدالله هذا أبو حنيفة. قال جعفر: نعم ـ ثمّ أتبعها ـ قد أتانا. كأنّه كره ما يقول فيه قوم أنّه إذا رأى الرجل عرفه. ثمّ التفت المنصور إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبدالله مسائلك. فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا. فربما تابعهم وربما خالفنا جميعا، حتّى أتيت على الأربعين مسألة. ثمّ قال أبو حنيفة: ألسنا روّينا أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس)[1].

يكمل الشيخ البوطي فيقول: (**الإمام أبو حنيفة والإمام مالك كانوا يتردّدون على الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويأخذون منه فلماذا اتّسعت الفجوة وأصبحنا مختلفين هذا الاختلاف ومن المسؤول عنه؟**).

إن كان أبو حنيفة ومالك يأخذان عن الصادق عليه السلام وهو أستاذ لهما، فلماذا خالفاه، وانفردا بآراء صارت لاحقا مذهبا لكلّ واحد منهما؟!

كيف يتركان سيّد العترة في زمانه ويؤسّسان مذاهب لأنفسهما؟

ومما يثير العجب أنّ مالك بن أنس ما كان يحتجّ بجعفر الصادق عليه السلام حتّى يضمّ إليه غيره من الرواة!

(**قال مصعب: كان مالك لا يروي عن جعفر بن محمّد حتّى يضمّه**

---

(١) تذكرة الحفاظ، ج١ ص١٥٧.

إلى آخر من أولئك الرفعاء ثمّ يجعله بعده)[1]!!

عدم أخذ الإمامية بروايات الجمهور

السؤال الثاني الذي طرحه الشيخ البوطي: (**لماذا أصبح شرطاً عند الأخوة الشيعة عدم نقل أيّ رواية إلاّ من معصوم علماً بأنّ الإمام زين العابدين وجعفر الصادق ومحمّد الباقر عليهم السلام جميعاً نقلوا روايات عديدة عن صحابة سيدنا رسول الله ولم يشترطوا هم أنفسهم هذا الشرط؟**).

وكأنّ السائل يريد القول: ما هو سبب عدم أخذ الشيعة عن الصحابة عن رسول الله!

وجواب هذا السؤال يكون في عدّة نقاط:

ـ يمكن عكس السؤال ليكون جوابا نقضيا: لماذا يأخذ الجمهور ما روي عن طرقهم عن رسول الله، ولا يأخذون بما رواه الإمامية عن الأئمة عن رسول الله؟!

قد تكون بعض الإجابات هي عين جوابنا.

ـ إنّ رجوعنا للرواة عن الأئمة وليس لغيرهم إنّما هو التزام منّا بوصية النبي ﷺ بإرجاع الناس إلى عترته أهل بيته، لهذا رجع الشيعة إلى أئمة أهل

(١) تهذيب الكمال للمزي، ج٥ ص٧٦:

البيتعليهم السلام وسجّلوا أحاديثهم في كتب خاصّة، نقلها أصحاب المصنفات الحديثية الكبيرة إلى كتبهم، ثمّ تعبّدا من الشيعة بأقوال الأئمّة نجد أنّ الإمامعليه السلام أرجع الشيعة إلى رواة الحديث أثناء الغيبة، حيث قال: (**وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**)[١].

وامتثال أمرهعليه السلام هو امتثال لأمر رسول الله الذي أوصى بالتمسّك بالكتاب والعترة.

ـ إنّ سنن الإسلام وتشريعاته قد دوّنها الإمام عليّعليه السلام في زمن النبيصلى الله عليه وآله وكان له مجلس خاص يُدّون فيه ما يمليه عليه النبيّصلى الله عليه وآله، وهذا الكتاب أو الصحيفة أو الجامعة، يتوارثها الأئمّة كما في النصوص التي تبيّن ذلك، وكانواعليهم السلام يرجعون إليها ويحدّثون الناس منها، في حين أنّ صحابة النبيصلى الله عليه وآله تجاوز عددهم ١٤ ألف صحابيا وكلّهم سمع منه، ومع ذلك لم يرو إلاّ عن حوالي ١٥٠٠ وكانوا يتحدّثون من حفظهم! وهذا أدّى لضياع بعض السنن والأحكام[٢]، على عكس ما هو موجود لدى الإماميّة.

ـ إنّ فترة التشريع لدى مدرسة الجمهور امتدّت من العهد المكّي حتّى

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة، ص٤٨٤.

(٢) وفي كتاب وركبت السفينة، فصل ضياع السنّة، أثبت ضياع كثير من السنّة النبوية، فالبخاري مثلا كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، لكن في صحيحه حولي ٨٠٠٠ حديث، فأين بقية الأحاديث التي كان يحفظها؟!

وفاة النبيﷺ، وهي ٢٣ سنة وهي مدّة غير كافية لبيان الأحكام المستجدّة، فاضطرّ مُنظّرو مدرسة الجمهور لإضافة القياس والاستحسان وسنّة الخلفاء ... كمصادر تشريع إضافية، فلم تكن النصوص التشريعية كافية، حيث جمعها ابن حجر في (بلوغ المرام) فبلغت حوالي ٥٠٠ حديث، في حين أنّ فترة التشريع عند الإماميّة امتدّت من بدء الدعوة النبوية حتّى نهاية الغيبة الصغرى أي سنة ٣٢٩هـ، وخلال هذه المدَّة تمّ استيعاب وتدوين أهمّ مسائل الحلال والحرام وأهمّ ما يحتاجه المسلم في حياته، لهذا نرى كميّة هائلة من أحاديث الأحكام لدى المدرسة الإماميّة، فهناك وسائل الشيعة للحرّ العاملي وعدد أحاديثه حوالي ست وثلاثين ألف حديث، وقد استدرك عليه الشيخ النوري في (مستدرك الوسائل) أكثر من ثلاث وعشرين ألف حديث، فهناك حوالي: ستين ألف حديث في الأحكام.

ـ إنّ جميع الأحاديث الصحيحة لدى الجمهور تبلغ ٤٤٠٠ حديثا بدون تكرار كما ذكر ذلك ابن حجر وغيره، في حين صحّ من أحاديث الكافي ما يتجاوز هذا الرقم دون تكرار!!

هذا فضلا عن بقية الكتب، فليس الشيعة في حاجة للرجوع لغيرهم والأخذ منهم، ولعلّ الآخرين هم أحوج إلى ذلك!

ـ إنّ طريقة تلقّي الصحابة للحديث عن رسول فيها إشكالات كثيرة، قد بيّنت أكثرها في كتاب وركبت السفينة، فصل إشكالات على مرجعية الصحابة، فيرجى مراجعته ففيه تفصيل، وسأذكر إشكالين بشكل مختصر:

١. إنّ الراوي عن رسول الله ﷺ وهو الصحابي قد يكذب أو يخطئ في النقل، واتهام الصحابة لأبي هريرة بالكذب والخطأ كثير في مصادر الحديث والتاريخ. روى ابن قتيبة:

(عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أنّ رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا إنّ أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه قال إنّما الطيرة في المرأة والدابّة والدار، فطارت شفقا ثمّ قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، من حدّث بهذا عن رسول الله ﷺ؟! إنّما قال رسول الله ﷺ كان أهل الجاهلية يقولون إنّ الطيرة في الدابة والمرأة والدار...)[1].

فعائشة كذّبت أبا هريرة، والجمهور قالوا بعدالة الصحابة فلا يطبّقون عليهم موازين الجرح والتعديل، وهذه أحد أهمّ الأسباب في عدم أخذ الإمامية لأحاديث الصحابة. ولنفترض أنّ تكذيب عائشة لأبي هريرة يعني الخطأ كما هو تبرير البعض، فهذا يعني أنّ الصحابي قد يخطئ بالنقل، وقد صحّحت عائشة كذلك لابن عمر عدّة مرّات، مع أنّها هي معرضة للخطأ لأنّها غير معصومة ومعرّضة للنسيان والسهو.

٢. كان هناك من الصحابة من يحدّث عن أهل الكتاب، وينقل أحاديثهم، ومن هؤلاء عبدالله بن عمرو بن العاص. قال ابن حجر عنه: **(إنّه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها**

---

(١) تأويل مختلف الحديث، ص٩٨.

ويحدّث منها، فتجنّب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمّة التابعين)[١].

يظهر من كلام ابن حجر هذا أنّ ابن عمرو كان يحدّث عن الرسول والزاملتين. وقد التبس على السامعين مصدر كلامه، لذلك تجنّب الأخذ عنه كثير من أئمّة التابعين على حدّ تعبير ابن حجر. وكان عند عبدالله بن عمرو بن العاص مائتا زاملة وكان يحدّث منها لمن نزل عليه من الناس!

وقال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره: (**إنّ عبدالله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدّث منهما)**[٢].

ـ إنّ مدرسة الجمهور تأخذ بمراسيل الصحابة، وهي الأحاديث التي سمعها الصحابة من بعضهم البعض ونسبوها للنبيﷺ دون ذكر الصحابي الذي أخبرهم بالحديث، وإحسانا للظنّ بهم ولقولهم بعدالتهم أجازوا هذا النوع من الأحاديث وحملوه على الاتصال. وهذه معضلة شديدة، فالمنافقون منتشرون بين الصحابة وبعضهم لا يعلمهم إلاّ الله، وكان عددهم في غزوة أُحد حوالي ٣٠٠ من الصحابة وسَمّى النبيﷺ ٣٦ منهم، وكما روى حذيفة وهو أخبر الناس بهم: إنّهم اليوم يجهرون! فربما روى صغار الصحابة كابن عباس أو ابن عمر أو غيرهما عن بعض هؤلاء المنافقين ما افتروه على رسول الله، ونسبه هؤلاء الصحابة للرسول إحسانا للظنّ بهم، وهذه المعضلة غير

---

(١) فتح الباري: ج١ ص١٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ج١ ص٤.

واردة على الإماميّة، فهم يشترطون دراسة أحوال الرواة حتّى لو كانوا أصحاب الأئمة أو أصحاب النبي صلى الله عليه وآله.

ـ إنّ الإماميّة لم يترجموا لرواة السنّة في كتبهم الرجالية ولا يثقون بعلماء الجرح والتعديل السنّة، لما هم عليه من تعصّب ومزاجيّة في تقييم الرواة، وبعضهم مشهور بالنصب كالجوزجاني الناصب، فكيف والحال هذه يأخذون بأحاديث الجمهور؟! كما أنّ بعض الرواة منحرفون عن أهل البيت عليهم السلام ومتّهمون بالكذب كعكرمة البربري ومع ذلك يوثّقونه ويأخذون عنه!!

ـ جمهور أهل السنّة يأخذون بروايات النواصب وهم مبغضو عليّ وأهل البيت عليهم السلام، بل إنّهم يجعلون النصب من علامات الصدق ومن النواصب مثلا الذين يروون عنهم: حريز بن عثمان، حيث كان يقول عن عليّ عليه السلام: (**لا أحبّه، قتل آبائي**). وقال: (**هذا الذي يرويه الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، حقّ ولكن أخطأ السامع. قلت: فما هو؟ فقال: إنّما هو أنت منّي بمنزلة قارون من موسى قلت: عمّن ترويه؟ قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر**)[1].

فحريز هذا روى عنه البخاري[2]، وقد وقع في سند الكثير من الروايات

---

(١) راجع تهذيب التهذيب، ج٢ ص٢٠٧.

(٢) صحيح البخاري، ج٤ ص١٦٤.

تتجاوز المائة رواية.

ومع ما قيل عن نصبه قال فيه أحمد بن حنبل: ثقة ثقة، ووثّقه ابن معين وابن المديني وغيرهم[١].

يوثّقونه ـ مع عدم ثبوت توبته ـ ويروون عنه مع أنّه ورد في الحديث الصحيح: (**عن عديّ بن ثابت عن زرّ قال: قال عليٌّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي الأمّي ﷺ إليّ: أن لا يحبّني إلاّ مؤمن ولا يبغضني إلاّ منافق**)[٢].

فالناصبي منافق، ومن صفات المنافق (**إذا حدّث كذب**)[٣].

فيكون حال الناصبي أقرب للكذب من الصدق، فكيف والحال هذا يطالبون الشيعة بالرجوع للأخذ من الجمهور وبينهم الكثير من النواصب، الذين هم في حقيقتهم منافقون؟!![٤]

ـ إنّ الإماميّة يأخذون ببعض أحاديث الجمهور فيما عدا مسائل الأحكام الشرعية والعقائد، على تفصيل ليس هذا محلّه.

ـ إنّ قول الشيخ البوطي: (**علماً بأنّ الإمام زين العابدين وجعفر الصادق ومحمّد الباقر عليهم السلام جميعاً نقلوا روايات عديدة عن صحابة**

---

(١) ن. م.

(٢) صحيح مسلم، ج١ ص٦١.

(٣) صحيح البخاري، ج١ ص١٤.

(٤) للاستزادة، يمكن مراجعة كتاب: معجم نواصب المحدّثين، عبد الكريم العقيلي.

سيّدنا رسول الله ولم يشترطوا هم أنفسهم هذا الشرط) عليه ملاحظات:

فهذه المرويّات التي رواها الأئمّة عن الآخرين على حدّ قوله لا نثق بها لنقلها عن طريق الجمهور، وكثيرا ما كذب الناس على أهل البيتعليهم السلام، ونقلُ الإمام عن آحاد الناس قد يكون لإلزام الآخرين وإلاّ فإنّ الأئمّة صرّحوا: إنّ كلّ ما حدّثوا به فهو عن آبائهم. وهناك تواتر معنوي حول قولهم هذا.

قال سعيد بن أبي مريم: قيل لأبي بكر بن عياش: **(مالك لم تسمع من جعفر ـ الصادق ـعليه السلام وقد أدركته؟ قال: سألناه عما يتحدّث به من الأحاديث، أشيء سمعته؟ قال: لا ولكنّها رواية روّيناها عن آبائنا)**[1].

وقد تتبّعت أحاديث الإمام الرضاعليه السلام في كتب الجمهور فلم أجد له رواية إلاّ وينقلها عن آبائه.

---

(١) تهذيب التهذيب: ٢ج ص٨٨



الفصل الثامن

الإمامة والأئمة

من مات بغير إمام

أخرج مسلم: (**ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة**)[1].

وأخرج أحمد: (**عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة**)[2].

شكّل هذا الحديث لُغزاً في مدرسة الجمهور، وتحاشاه كثير من الشرّاح والنقّاد، فهو يطرح قضية خطيرة، تتمثّل في موت العبد ميتة جاهليّة أي كأنّه على غير دين الإسلام إن مات بغير إمام أو بغير بيعة، فمن هو الإمام المقصود؟ ولمن تكون البيعة؟

هل الإمام هو العالم الذي يفتي مثلا أو هو شيخ المسجد الذي يأتمّ الناس به؟ مع العلم أنّ شيخ المسجد أو العالم في التشريع مطالب أيضا أن يكون له إمام حتّى لا ينطبق عليه الحديث فيموت ميتة جاهليّة!

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٢) مسند أحمد، ج٤ ص٩٦.

وعلى افتراض حديث البيعة، فمن يبايع المسلم، والبلاد الإسلامية تتجاوز الخمسين بلدا؟ وما حال المسلم الذي يعيش في بلاد الكفر؟ هل يبايع المسلم حاكم بلده حتّى ينجو من الميتة الجاهليّة؟

وأكثر الحكّام من أهل الفسق يشربون المسكر ... فهل بيعة المسلم لأحدهم تنجية من الميتة الجاهليّة؟!

لا شكّ أنّ الإمامية قد أراحوا أنفسهم من بحث هذا الإشكال منذ قرون عديدة حين رجعوا لأئمّة أهل البيتعليهم السلام واتّخذوهم أئمّة يأتمّون بهم.

القرآن وأسماء الأئمّة

من الأسئلة والشبهات التي تطرح كثيرا قولهم: لو كانت إمامة أهل البيتعليهم السلام من أركان الدين وأسسه فلماذا لم يذكرها الله في قرآنه، ولماذا لم يذكر أسماء الأئمّة بنصّ صريح؟

الجواب: الصلاة من أركان الدين، والله ذكر في قرآنه أصل الصلاة ولم يذكر تفاصيلها، فقال: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾[1].

والإمامة ركن من أركان الدين فذكر الله أصل الإمامة وأنها بجعل وعهد منه ولم يذكر تفاصيلها، قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[2].

---

(١) البقرة، ٤٣.

(٢) البقرة، ١٢٤.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

إنّ الصوم كذلك من أركان الدين وذُكر في القرآن، وتفاصيل أحكامه موكول للسنّة وتفاصيل أحكام الصلاة موكول للسنّة. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[٣].

فلا يصحّ أن نقول إنّ صلاة العشاء وهي أربع ركعات ليست موجودة في القران!! فهذا سؤال خاطئ.

ـ من المعلوم أنّ فاطمة عليها السلام أفضل من مريم عليها السلام ولم يذكر اسمها في القرآن، ومريم ذكر اسمها ٣٤ مرة.

ـ لو ذُكرت أسماء الأئمة في القرآن فقد يؤدّي هذا لارتداد الناس فحين أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يكتب للناس كتابا قالوا حسبنا كتاب الله.

ـ لو ذُكرت أسماء الأئمّة ففيه خطر على حياتهم وسيترصّدهم الظالمون ليقتلوهم.

إنّ الذي يراجع حياة الأئمّة يلحظ هذا الأمر، فقد كان العباسيّون

---

(١) الأنبياء، ٧٣.

(٢) السجدة، ٢٤.

(٣) النحل، ٤٤.

يرصدون الإمام جعفر الصادقعليه السلام لمعرفة من سَيُعيَّن بعده ليقتلوه، فأوصى إلى خمسة أحدهم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وهذا ليفوِّت الفرصة عليهم.

ـ لو ذُكرت أسماء الأئمّة في القرآن، لقام بعض الظالمين من الطامعين بالحكم بتسمية أنفسهم أو أبنائهم بتلك الأسماء ليضلّلوا الناس ويخدعوهم ويصلوا إلى هدفهم، ولهذا كان ذكر مواصفات الأئمّة أفضل من ذكر أسمائهم.

ـ لقد ذكر الله اسم أحد الصحابة في القرآن وهو زيد، قال تعالى: ﴿**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها**﴾[1].

وقد كان هناك عشرات الأشخاص بين الصحابة يحملون هذا الاسم، منهم: زيد بن أرقم، زيد بن إساف، زيد بن حارثة، زيد بن خارجة ...[2].

فلا يكفي ذكر الأسماء لمعرفة المقصود من الاسم، ولابدّ من الرجوع إلى السنّة النبوية لفهم الأمر على حقيقته، وقد نصت السنّة النبوية بشكل صريح على الإمام من بعده يوم الغدير.

ـ لا يكفي ذكر الأسماء في القرآن لبيان الأمر جليّا، وقد يؤدّي هذا إلى الاختلاف وتأويل النصوص وحرف معناها. قال ابن حزم: (**وهل اختلف الناس إلاّ في المنصوصات. والله العظيم ـ قسما برّا ـ ما اختلف اثنان قطّ**

---

(١) سورة الأحزاب، ٣٧.

(٢) بلغ عدد من اسمه زيد في موسوعة ابن حجر (الإصابة) ١١٣ صحابيا، راجع: ج٢ ص٤٨٧ـ٥١٨.

فصاعدا في شيء من الدين إلاّ في منصوص بين في القرآن والسنة، فمن قائل: ليس عليه العمل، ومن قائل: هذا تلقّي بخلاف ظاهره، ومن قائل: هذا خصوص، ومن قائل: هذا منسوخ. ومن قائل: هذا تأويل)[(١)].

ـ من المعلوم أنّ اسم النبي محمّد ﷺ كان مذكورا في التوراة والإنجيل، والقارئ اليوم لهما لا يجد اسمه، قد يقول قائل لأنهم حرفوهما، وهذا ما نقوله فالله لم يذكر اسم عليّ عليه السلام والأئمة حتّى لا تُحرّف الأمّة أسماءهم، فيُحرّف القرآن الذي تكفّل الله بحفظه ضمن أسباب طبيعيّة.

ـ يمكن نقض الإشكال المذكور وردّه على صاحبه بالقول إنّ البعض قد جعل الإمامة من أعظم واجبات الدين ومن أصوله وأركانه، فلماذا لم يعين الله إماما بعد النبي ﷺ إن كانت من أصوله وأركانه وأمرها عظيم كما ذكروا؟!

قال ابن تيمية: (**يجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إلاّ بِهَا**)[(٢)].

وقال أبو حيان الأندلسي: (**قد ذكر بعض المفسرين هنا أحكام الإمامة الكبرى، وإن كان موضوعها أصول الدين**)[(٣)].

وقال القرطبي عن الإمامة العظمى: (**فدلّ على وجوبها وأنّها ركن من**

---

(١) الإحكام، ج٧ ص٩٨٧ – ٩٨٨.

(٢) مجموعة الفتاوى، ج٢٨ ص٣٩٠.

(٣) تفسير البحر المحيط، ج١ ص٥٥٠.

أركان الدين الذي به قوام المسلمين) [١].

وتعدّ الإمامة عند القاضي المفسّر البيضاوي من أعظم مسائل أصول الدين الذي مخالفته توجب الكفر والبدعة[٢]، وذهب البعض إلى تكفير من لا يقول بخلافة أبي بكر.

قال ابن حجر: **(فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ من أنكر خلافة الصدّيق أو عمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم وقال الصحيح أنّه كافر، والمسالة مذكورة في كتبهم في الغاية للسروجي والفتاوى الظهيرية والأصل لمحمّد بن الحسن وفي الفتاوى البديعية فإنّه قسّم الرافضة إلى كفّار وغيرهم وذكر الخلاف في بعض طوائفهم وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وزعم أنّ الصحيح أنّه يكفر وفي المحيط أنّ محمّدا لا يجوّز الصلاة خلف الرافضة ثمّ قال لأنّهم أنكروا خلافة أبي بكر وقد اجتمعت الصحابة على خلافته وفي الخلاصة من كتبهم أنّ من أنكر خلافة الصديق فهو كافر)** [٣].

وقال محمّد أنور شاه: **(والأكثر على تكفير منكر خلافة الشيخين...)**[٤].

فلماذا لم يذكر الله خلافته في القرآن ما دام منكرها كافر؟

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١ ص٢٦٥.

(٢) نقل كلامه السيد المرعشي في شرح إحقاق الحق، ج٢ ص٣٠٧.

(٣) الصواعق المحرقة، ج١ ص١٣٨.

(٤) إكفار الملحدين في ضروريّات الدين ص٥١-٥٢.

وإن قيل إنّ الأمر شورى كما زعموا، فلماذا لم يبيّن القرآن معالم هذه الشورى وحدودها؟ لماذا لا نجد حديثا واحدا يوضّح أمر الشورى ويبيّنه؟

أسماء الأئمة بنص صحيح

أخرج الفضل بن شاذان في كتابه «مختصر إثبات الرجعة» بسند صحيح: (**حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن بزيع ـ رضي الله عنه ـ، قال: حدّثنا حماد بن عيسى، قال: حدّثنا إبراهيم بن عمر اليماني، قال: حدّثنا أبان بن أبي عيّاش، قال: حدّثنا سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذرّ شيئا من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله غير ما في أيدي الناس، ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنتم تخالفونهم فيهما وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل، أفترى الناس يكذبون على الله وعلى رسوله متعمّدين ويفسّرون القرآن بآرائهم؟!**

قال: فقال عليّ عليه السلام: قد سألت فافهم الجواب ...وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء، ولا كلّ من يسأله فيفهم، ولا كلّ من يفهم يستحفظ، وقد كان فيهم قوم لم يسألوه عن شيء قطّ، وكانوا يحبّون أن يجيء الأعرابي (أو) الطارئ أو غيره فيسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يسمعون. وكنت أدخل عليه في كلّ يوم دخلة وفي كلّ ليلة دخلة، فيخليني فيها يجيبني بما أسأل، وأدور معه حيثما دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما يأتيني رسول الله

صلى الله على وآله وسلم في بيتي أكثر من ذلك في بيته، وكنت إذا دخلت عليه في بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه ولا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة (في بيتي) لم تقم عنّي فاطمة عليها السلام ولا أحد من بنيّ، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله ﷺ آية من القرآن إلاّ أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، وظهرها وبطنها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه عليّ وكتبته منذ دعا لي الله بما دعا، وما ترك شيئا علّمه الله من حلال أو حرام، أو أمر أو نهي، أو طاعة أو معصية، أو شيء كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد من قبله، إلاّ علّمنيه وحفظته، فلم أنس حرفا واحدا منها. وكان رسول الله ﷺ إذا أخبرني بذلك كلّه وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا، وكان يقول: اللّهم علمه وحفّظه ولا تنسه شيئا ممّا أخبرته وعلّمته. فقلت له ذات يوم: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله (إنّك) منذ دعوت لي الله بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء مما علّمتني، وكلّ ما علّمتني كتبته، أتتخوّف عليّ النسيان؟ فقال: يا أخي، لست أتخوّف عليك النسيان و(لا) الجهل، وإنّي أحبّ أن أدعو لك، وقد أخبرني الله تعالى أنّه قد أخلفني فيك وفي شركائك الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعتي وقال فيهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر

منكم﴾.

قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين هم الأوصياء من بعدي، والذين لا يضرّهم خذلان من خذلهم، وهم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتّى يردوا عليّ الحوض، بهم تنصر أمّتي، وبهم يمطرون، وبهم يدفع البلاء، وبهم يستجاب الدعاء. قلت: سمّهم لي يا رسول الله؟ قال: أنت يا عليّ أولهم، ثمّ ابني هذا ـ ووضع يده على رأس الحسن ـ ثمّ ابني هذا ـ ووضع يده على رأس الحسين ـ ثمّ سَمِيُّك عليّ ابنه زين العابدين، وسيولد في زمانك يا أخي فأقرئه منّي السلام، ثمّ ابنه محمّد الباقر، باقر علمي وخازن وحي الله تعالى، ثمّ ابنه جعفر الصادق، ثمّ ابنه موسى الكاظم، ثمّ ابنه علي الرضا، ثمّ ابنه محمّد التقي، ثمّ ابنه عليّ النقي، ثمّ ابنه الحسن الزكي، ثمّ ابنه الحجّة القائم، خاتم أوصيائي وخلفائي، والمنتقم من أعدائي، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله إني لأعرف جميع من يبايعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء أنصاره، وأعرف قبائلهم.

قال محمّد بن إسماعيل: ثمّ قال حماد بن عيسى: قد ذكرت هذا الحديث عند مولاي أبي عبدالله عليه السلام فبكى وقال: صدق سليم، فقد روى لي هذا الحديث أبي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي قال:

سمعت هذا الحديث من أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله سليم بن قيس)[1].

كلّمني أحد الباحثين وقال إنّه بحث ووصل إلى التشيّع لكنّه يبحث عن تفسير لعدم وجود أحاديث في كتب أهل السنّة في النصّ على أئمّة أهل البيت عليهم السلام مع ذكر أسمائهم!

فقلت له: ما دمت آمنت بالتشيّع فيكفيك الأحاديث التي وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام وهي كثيرة جدّا، أما الجمهور فقد أخفوا أمثال هذه الأحاديث خاصّة التي تقوّي الشيعة في ذاك الوقت، والأدلّة كثيرة على هذا الأمر وسأكتفي بمثالين أو ثلاثة.

روى العقيلي **(عن عيسى بن يونس، يقول: ما رأيت الأعمش خضع إلاّ مرة واحدة، فإنّه حدّثنا بهذا الحديث، قال عليّ: أنا قسيم النار. فبلغ ذلك أهل السنّة فجاءوا إليه فقالوا: أتحدّث بأحاديث تقوّي بها الروافضة والزيدية والشيعة؟ فقال: سمعته فحدّثت به. فقالوا: فكلّ شيء سمعته تحدّث به؟ قال: فرأيته خضع ذلك اليوم)**[2]!

وروى ابن عساكر، **(قال: قال يعقوب: وسمعت الحسن بن الربيع**

---

(١) مختصر إثبات الرجعة، مطبوع في مجلة تراثنا، ج١٥ ص٢٠١ ـ ٢٠٦، وصحة السند لمن لا يرتضي أبان بن أبي عيّاش تظهر في المقطع الأخير: (قال محمد بن إسماعيل: ثم قال حمّاد بن عيسى: قد ذكرت هذا الحديث عند مولاي أبي عبد الله عليه السلام فبكى وقال: صدق سليم، فقد روى لي هذا الحديث أبي...).

(٢) ضعفاء العقيلي، ج٣، ص٤١٦.

يقول: قال أبو معاوية ـ الضرير الشيعي ـ قلنا للأعمش: لا تحدث هذه الأحاديث. قال: يسألونني فما أصنع، ربما سهوت، فإذا سألوني عن شيء من هذا وسهوت فذكّروني. قال: وكنّا يوماً عنده فجاء رجل فسأله عن حديث (قسيم النار) قال ـ أي أبو معاوية ـ: فتنحنحت. قال: فقال الأعمش: هؤلاء المرجئة لا يَدَعوني أحدث بفضائل عليّ (رضي الله عنه) أخرجوهم من المسجد حتّى أحدّثكم) [1] **!**

وقال الذهبي في ترجمة الصولي: **(الصولي العلامة الأديب ذو الفنون، أبو بكر، محمّد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمّد بن صول، الصولي البغدادي، صاحب التصانيف ... توفّي بالبصرة مستترا، لأنّه روى خبرا في [حقّ] عليّ عليه السلام، فطلبته العامّة لتقتله)** [2].

ولا يخفى عليك ما جرى على الحاكم النيسابوري حين صحّح حديث الطير وكسروا منبره [3]، فكيف يكون الحال لو تجرأ أحدهم وروى روايات النصّ على الأئمّة؟!

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٢٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج١٥ -ص ٣٠١ – ٣٠٢.

(٣) انظر: الردّ على أبي بكر الخطيب البغدادي، ابن النجار البغدادي (الوفاة: ٦٤٣هـ)، ص١٤٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي (الوفاة: ٧٤٨هـ)، ج١٧ ص١٧٥. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي (الوفاة: ٧٧١هـ)، ج٤ ص١٦٣. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي (الوفاة: ٥٩٧هـ)، ج١٥ ص١١٠.

ولادة المهديّ عليه السلام

ذهب البعض للتشكيك بولادة الإمام المهديّ عليه السلام[1]، اعتماداً على نقد الروايات سنديّا، وقد غاب عن ذهن هؤلاء، أنّه ينبغي بحث الأمر من جميع جهاته، لنخرج بصورة كاملة المعالم وهذا ما يقتضيه البحث العلمي المجرد، ولنا ملاحظات على منهج أولئك المشكّكين.

ـ إنّ روايات النصّ على اثني عشر إماما متواترة، وحديث الثقلين ينصّ على وجود إمام في كلّ زمن لا يفارق القرآن، وحديث: (**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**)[2] دالّ على ضرورة وجود إمام في زماننا.

ـ بلغت الروايات حول غيبته عليه السلام حوالي ٧٠٠ رواية، وهي تفيد التواتر قطعا، وهذه الروايات مدونة في الأصول التي كتبها أصحاب الأئمة في زمانهم وقبل ولادة المهديّ عليه السلام، ثمّ جمعها أصحاب الكتب الكبيرة كالشيخ الطوسي والصدوق وغيرهما.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: (**وذلك أنّ الأئمّة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم واستحفظ في الصحف ودون في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقلّ أو أكثر،**

---

(١) كأحمد الكاتب والمحدّث عداب الحمش من أهل السنة في كتابه: (المَهـديُّ المـنتظَرُ في روايات أهلِ السُنَّة والشيعةِ الإمامية دراسة حديثيّة نقديّة).

(٢) إكمال الدين للشيخ الصدوق، ص٤٠٩.

فليس أحد من أتباع الأئمّة عليهم السلام إلاّ وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودونه في مصنفاته وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمّد عليهم السلام من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين، وقد أخرجت ما حضرني من الأخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة، فألّفوا ذلك في كتبهم ودوّنوه في مصنّفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللبّ والتحصيل، أو أن يكونوا (قد) أسّسوا في كتبهم الكذب فاتّفق الأمر لهم كما ذكروا وتحقّق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم، وهذا أيضا محال كسبيل الوجه الأوّل، فلم يبق في ذلك إلاّ أنّهم حفظوا عن أئمّتهم المستحفظين للوصيةعليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دوّنوه في كتبهم وألّفوه في أصولهم، وبذلك وشبهه فلج الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا)[1].

يظنّ بعض المشكّكين أنّ أحاديث الغيبة وكلّ ما يتعلّق بالإمام المهديّعليه السلام قد تمّ بلورته وكتابته في عهد الصدوق والطوسي والمفيد ...

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة، ص١٩.

وهذا خطل من القول، فقد كانت مؤلفات أصحاب الأئمةعليهم السلام موجودة آنذاك وفيها أخبار المهديّعليه السلام وغيبته وعلامات ظهوره، وعن هذه المؤلفات نقل الصدوق والطوسي وغيرهما، ولم تكن الرواية مشافهة كما يتصوّر البعض، وإنّما كانوا ينقلون عن كتب قديمة وصلت إليهم يدا بيد وبسند صحيح كما ذكروا في مشيخاتهم. وهذه أسماء بعض الأصول والكتب القديمة التي أُلّفت في الغيبة والتي سبقت الغيبة الصغرى:

١ـ إبراهيم بن صالح الأنماطي، ثقة له كتاب الغيبة. كان معاصرا للإمام الباقرعليه السلام[1].

هذه يعني أنّه ألّف كتابه هذا في أواخر القرن الهجري الأوّل أو خلال النصف الأوّل من القرن الهجري الثاني. فكيف علم هذا الراوي بأمر الغيبة منذ ذاك الوقت؟!

٢ ـ إبراهيم بن إسحق الأحمري النهاوندي، له كتاب الغيبة[2].

٣ـ الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، له كتاب الغيبة[3].

٤ـ الحسن بن محمّد بن سماعة، له كتاب الغيبة[4].

(١) رجال النجاشي، ص١٥، والفهرست للطوسي ص٣٤، ورجال البرقي ص١١.

(٢) رجال النجاشي، ص١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٤١. والفهرست للطوسي ص١٠٣.

٥ـ علي بن الحسن بن علي بن فضال، كان معاصرا للأمام الرضاعليه السلام. له كتاب الغيبة[١].

٦ـ علي بن محمّد بن علي، له كتاب الغيبة[٢].

٧ـ العباس بن هشام أبو الفضل الناشري، توفي سنة ٢٢٠هـ. له كتاب الغيبة[٣].

فكلّ هؤلاء عاشوا قبل استشهاد الإمام الحسن العسكريعليه السلام وكتبوا عن غيبة الإمامعليه السلام. فإمّا أنّهم كانوا يعلمون الغيب، وهذا لا يقبله أحد أو أنّهم نقلوا في كتبهم عن الأئمّةعليهم السلام.

قال الشيخ الطبرسي: (**ومن جملة ثقات المحدّثين والمصنفين من الشيعة: الحسن بن محبوب الزراد، وقد صنف كتاب المشيخة الذي هو في أصول الشيعة أشهر من كتاب المزني وأمثاله قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه بعض ما أوردناه من أخبار الغيبة، فوافق الخبر الخبر، وحصل كلّ ما تضمنه الخبر بلا اختلاف. ومن جملة ذلك: ما رواه عن إبراهيم الخارقي، عن أبي بصير، عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قلت له: كان أبو جعفرعليه السلام يقول: "لقائم آل محمّدعليه السلام غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة". قال: فقال لي: "نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأخرى، ثمّ**

---

(١) رجال النجاشي ص٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨٠.

لا يكون ذلك ـ يعني ظهوره ـ حتّى يختلف ولد فلان، وتضيق الحلقة، ويظهر السفياني، ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل، ويلجأون منه إلى حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ) [(١)].

وفيما ذكرناه رد على من يقول إنّ غيبة الإمام فكرة متأخرة من مخترعات الشيعة.

ـ أما الروايات التي تتحدّث عن ظهوره الشريف والعلامات المصاحبة له فهي بالآلاف، وكلّ هذا يفيد تواتر وجوده وظهوره عليه السلام يوما مّا.

ـ نصّ علماء الأنساب على ولادته، وادّعى بعض أعلام أهل السنّة لقاءهم به.

ـ إنّ روايات ولادته عليه السلام، ولو افترضنا بأنّ أكثرها ضعيفة سندا فهي مستفيضة إن لم تكن متواترة معنى، وحينها لا يُنظر لضعف السند إن كان فيها، وسأكتفي هنا بعرض روايات صحيحة السند.

ـ إنّ الروايات الصحيحة حول ولادته ووجوده كثيرة، منها ما رواه الثقة الجليل الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ) [(٢)]: **(حدّثنا محمّد بن عبد**

---

(١) إعلام الورى ج٢ ص٢٥٨ـ٢٥٩.

(٢) قال الشيخ النجاشي في (فهرست أسماء مصنّفي الشيعة) ص٣٠٦ – ٣٠٧ في ترجمته: (وروى عن أبي جعفر الثاني، وقيل [عن] الرضا أيضا عليهما السلام وكان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء والمتكلّمين. وله جلالة في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه. وذكر الكنجي أنّه صنّف مائة وثمانين كتابا ...).

الجبار[١]**، قال: قلت لسيدي الحسن بن عليّ ـ العسكريّ ـ عليه السلام: يا ابن رسول الله ـ جعلني الله فداك ـ أحبّ أن أعلم من الإمام وحجّة الله على عباده من بعدك؟ قال عليه السلام: إنّ الإمام والحجّة بعدي ابني، سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه، الذي هو خاتم حجج الله وآخر خلفائه. قال: ممّن هو يا ابن رسول الله؟ قال: من (ابنة) ابن قيصر ملك الروم، إلاّ أنّه سيولد فيغيب عن الناس غيبة طويلة، ثمّ يظهر ويقتل الدجال، فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، فلا يحلّ لأحد أن يسمّيه باسمه أو يكنّيه بكنيته قبل خروجه صلوات الله عليه)**[٢].

وروى الفضل بن شاذان بسند صحيح: (**حدّثنا أحمد بن إسحاق بن عبدالله الأشعري، قال: سمعت أبا محمّد الحسن بن علي العسكري سلام الله عليه يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتّى أراني الخلف بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخلقا، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثمّ يظهره فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا**)[٣].

وروى الفضل أيضا بسند صحيح: (**حدّثنا محمّد بن علي بن حمزة**[٤] **بن**

---

(١) وهو ثقة، وثّقه الشيخ الطوسي في رجاله، ص٣٩١، فيكون السند صحيحا.

(٢) مختصر إثبات الرجعة، منشور في مجلة تراثنا، مؤسسة أهل البيت ع، ج١٥ ص٢١١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) قال الشيخ النجاشي في(فهرست أسماءمصنفي الشيعة)ص٣٤٧في ترجمته:(ثقة، عين في الحديث، صحيح الاعتقاد،له روايةعن أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام واتصال مكاتبة).

الحسن بن عبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالبعليه السلام، قال: سمعت أبا محمّدعليه السلام يقول: قد ولد وليّ الله وحجّته على عباده وخليفتي من بعدي مختونا ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين عند طلوع الفجر، وكان أوّل من غسّله رضوان خازن الجنان مع جمع من الملائكة المقرّبين بماء الكوثر والسلسبيل، ثمّ غسّلتْه عمّتي حكيمة بنت محمّد بن عليّ الرضاعليهم السلام. فسئل محمّد بن علي بن حمزة عن أمّه ـعليها السلامـ قال: أمّه مليكة التي يقال لها في بعض الأيام: سوسن، وفي بعضها: ريحانة، وكان صقيل ونرجس أيضا من أسمائها)[1].

وروى بسند صحيح: (حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن فارس النيشابوري [2]، قال: لما همّ الوالي عمرو بن عوف بقتلي ـ وهو رجل شديد النصب، وكان مولعا بقتل الشيعة فأُخبرت بذلك وغلب عليّ خوف عظيم، فودّعت أهلي وأحبّائي، وتوجّهت إلى دار أبي محمّدعليه السلام لأودّعه وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاما جالسا في جنبه، وكان وجهه مضيئا كالقمر ليلة البدر، فتحيّرت من نوره وضيائه، وكاد أن ينسيني ما كنت فيه. فقال: يا إبراهيم، لا تهرب فإنّ الله تبارك وتعالى سيكفيك شرّه. فازداد تحيّري، فقلت لأبي محمّدعليه السلام: يا سيدي، جعلني الله فداك، من هو وقد

---

(١) مختصر إثبات الرجعة، منشور في مجلة تراثنا، مؤسسة أهل البيت ع، ج١٥ ص٢١١.

(٢) ذُكر توثيقه في (اختيار معرفة الرجال) للشيخ الطوسي، ج٢ ص٨١٢.

أخبرني بما كان في ضميري؟ فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي، وهو الذي يغيب غيبة طويلة ويظهر بعد امتلاء الأرض جورا وظلما فيملأها عدلا وقسطا، فسألته عن أسمه، قال: هو سمّي رسول الله ﷺ وكنيّه، ولا يحلّ لأحد أن يسميّه باسمه أو يكنّيه بكنيته إلى أن يظهر الله دولته وسلطنته، فاكتم يا إبراهيم ما رأيت وسمعت منّا اليوم إلاّ عن أهله. فصلّيت عليهما وآبائهما وخرجت مستظهرا بفضل الله تعالى واثقا بما سمعته من الصاحب عليه السلام، فبشّرني عّمي علي بن فارس بأنّ المعتمد قد أرسل أبا أحمد ـ أخاه ـ وأمر بقتل عمرو بن عوف، فأخذه أحمد في ذلك اليوم وقطعه عضوا عضوا، والحمد لله رب العالمين)[1].

وقد بلغ عدد الروايات التي رواها الفضل بن شاذان رحمه الله حول ولادة المهديّ عليه السلام ووجوده ست عشرة رواية أغلبها صحيحة السند.

ومن الروايات حول وجوده الشريف ما رواه الشيخ الصدوق بسند صحيح: (**حدّثنا أبي، ومحمّد بن الحسن، ومحمّد بن موسى المتوكّل رضي الله عنهم قالوا: حدّثنا سعد بن عبدالله، وعبدالله بن جعفر الحميري، ومحمّد بن يحيى العطار جميعا قالوا: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عيسى، وإبراهيم بن هاشم، وأحمد بن أبي عبدالله البرقي، ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطاب**

---

(١) مختصر إثبات الرجعة، منشور في مجلة تراثنا، مؤسسة أهل البيت ع، ج١٥ ص٢١٢ – ٢١٣.

جميعا، قالوا: حدّثنا أبو علي الحسن ابن محبوب السراد، عن داود بن الحصين، عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهديّ من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقا وخُلقا، تكون له غيبة وحيرة حتّى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)[1].

اليمانيّ المزعوم

ظهر رجل سنة ١٩٩٩ يُدعى أحمد الحسن من البصرة في العراق وادّعى أنّه اليمانيّ، وبدأ ينشر دعوته ويدعو لنفسه وتبعه السذّج وبعض المستبصرين ممّن لم يلجأوا إلى ركن وثيق، وقد كانت لي علاقات قوية مع بعضهم حتّى وجدتهم يدعونني للالتحاق بهم. لقد مرَّ على دعوة أحمد الحسن أكثر من سبع عشرة سنة، ولم يقدّم شيئا ملموسا لصالح المسلمين في خضمّ الصراعات في المنطقة والعالم، فظهور داعش في العراق كان كفيلا بأن يُدمّر العراق ويحكمه السلفيون ويهدّموا المراقد ويقتلوا البشر، والذي وقف في وجههم هو فتوى المرجع السيد السيستاني حفظه الله، والمؤمنون الذين لبّوا النداء ولم يقدّم اليماني المزعوم شيئا.

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٢٨٧.

ولو نظرنا لما يجري في اليمن وفلسطين وسائر بلاد المسلمين من ظلم ومجازر بحق الأبرياء، لا نجد للرجل أثرا، ربما إلاّ البيانات التي لا تسمن ولا تغني.

والذي يلفت النظر أنّ أحمد الحسن يمتلك فضائية ومواقع في النت تروّج لدعوته ولا يظهر بشخصه أمام الناس أو الكاميرا خوفا على حياته، وإنّما له برامج يظهر فيها صوته. ومن السذاجة أن يظنّ أحد أنّ المخابرات العالمية لا تدري بشأنه أو مكانه وشخصه، فهم يستطيعون عبر تقنياتهم الحديثة معرفة مكان البثّ ومكان تواجد المتكلّم سواء كان في بيته أم في أيّ مكان آخر.

إنّ اليماني الموعود سيقود حركة تمهّد لصاحب الأمر وسيكون وزيره، فكيف يسمحون له أن يمارس نشاطه بكلّ حرية في حين يحاربون بعض الفضائيات ويمنعون بثّها؟

بعد النظر في هذه الدعوة تبيّن لي أنّها حركة مدعومة من المخابرات العالمية وذلك لإجهاض أيّ تحرك يمانيّ مهدويّ في المستقبل، فالغرب لديه مراكز بحثيّة تتابع عن قرب مسار الأحداث وهم على اطّلاع على طبيعة تفكير المسلمين.

لقد بنى أتباع اليماني أدلّة دعوتهم على نصوص آحاد ظنّية الدلالة، ولجأوا إلى الاستخارة والمنامات، ولا شكّ أنّ هذه حيلة العاجز، فمتى كان الدين والاعتقادات الحقّة تُبنى على المنامات والاستخارة.

ـ لقد نصّت الروايات عن أهل بيت العصمةعليهم السلام أنّ خروج اليماني والسفياني والخراساني في السنة نفسها، في شهر واحد في يوم واحد، منها ما رواه الشيخ النعماني عن الإمام الصادقعليه السلام: **(خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه فإنّ رايته راية هدى، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم)** [(١)].

لقد أعلن أحمد الحسن حركته عام ١٩٩٩م أي منذ أكثر من سبع عشرة سنة، وحسب الرواية يخرج هو والسفياني والخراساني في السنة نفسها، في شهر واحد في يوم واحد، ولم يظهر شخص السفياني للعلن ولم تظهر حركته بالرغم من مرور سنين على دعوة أحمد الحسن، ولا يمكن الادعاء بأنّ أتباع السفياني هم داعش والنصرة الذين ظهروا بشكل واضح في العراق وسوريا، فهذا لا دليل عليه، والمفروض أن يظهر شخص السفياني والخراساني عند ظهور اليماني، وهذا لم يحدث، ولو افترضنا أنّ المجموعات المقاتلة في سوريا هي

---

(١) الغيبة، ص٢٦٤.

جيش السفياني، فهذا يعني أنّ حركة السفياني قد تأخّرت أكثر من عشر سنين عن حركة أحمد الحسن، وهذا خلاف النصّ الذي أوردناه.

أضف لهذا أنّ الخراساني يظهر مع اليماني والسفياني في الوقت نفسه من السنة والشهر واليوم، وهذا لم يحصل إلى الآن، وإنّما ظهر اليماني وحده!

وقد تنبّه أحمد الحسن صاحب الدعوة لهذا الإشكال، فقام بمناورة بيِّنة الضعف، فقال: (**كما أنّ البعض يفهم من الرواية أنّ الثلاثة أي (اليماني والخراساني والسفياني) يبتدؤون دعوتهم ويظهرون في يوم واحد، لأنّهم يخرجون في يوم واحد حسب نصّ الرواية. وواضح أن لا ملازمة بين وحدة زمن خروجهم للقتال وبين وحدة ابتداء دعوتهم الناس الانضواء تحت راياتهم والتي تسبق الخروج للقتال بكلّ تأكيد**)[1].

فهو يرى أنّ خروجهم في يوم واحد في سنة واحدة في شهر واحد، إنّما هو القيام بالسيف والقتال، ويُلاحظ عليه أنّه ليس هناك دليل في الرواية على هذا المعنى الذي تبنّاه، وهو خلاف الظاهر، ولو افترضنا صحّة ما ذهب إليه، فأين بدأت دعوة السفياني؟ وأين هو الخرساني ودعوته؟

إنّ الرواية تقول: (**وإذا خرج اليماني فانهض إليه ...**).

فالنصّ يدعو الناس لمناصرة اليماني حين خروجه، وأحمد الحسن يرى أنّ الخروج يعني القتال! وعليه ينبغي لأتباعه ترك دعوته الآن وانتظار ظهوره

---

(١) مع العبد الصالح، ج٢ ص٤٦ ـ ٤٧.

للعلن وإعلانه قتال السفياني حتّى يناصروه، وإلاّ يكونوا قد خالفوا الرواية وعصوا إمامهم!

إنّ فهم أحمد الحسن للرواية متهافت، فلا يقبل عاقل أن يترك اليماني في بدء دعوته، ويبقى منتظرا مراقبا حتّى يقاتل السفياني، فهذا من الخبط والسفه.

وعلى فهم أحمد الحسن ينبغي لأتباعه ـ إن لم يتركوه ـ الكفّ عن دعوة الناس إليهم، فالناس ينتظرون قتاله للسفياني حتّى يلتحقوا به وبهذا جاءت الرواية حسب فهم اليماني المزعوم!

أمّا إذا تراجع وفسَّر الخروج بابتداء دعوته، فيأتي الإشكال بأنّ السفياني والخراساني يبدآن دعوتهما معه في الوقت نفسه، وهذا ما لم يحصل إلى الآن ولا يُعرف لهما وجود!

ـ جاء في التوقيع الشريف الصادر عن الحجّة عليه السلام: (**وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم**)[1].

هذا النصّ يردّ دعوة اليماني فهو يدّعي لقاءه بالإمام المهديّ عليه السلام والتعلّم منه، مع عدم خروج السفياني وقبل حدوث الصيحة.

ـ إنّ الإمامة تثبت بالنصّ القطعي والمعجزة باتّفاق الإماميّة، وهذا ما لم يستطع أحمد الحسن إثباته، فلم يأت بنصّ قطعيّ ولا معجزة.

---

(١) الغيبة، ص٣٩٥، إكمال الدين للشيخ الصدوق، ص٥١٦.

قال الشيخ المفيد: (**اتّفقت الإمامية: إنّ الإمامة لا تثبت لمدّعيها مع عدم المعجز إلاّ بالنصّ على عينه والتوقيف**)[١].

وقال الشيخ الطوسي: (**فصل في إيجاب النصّ على الإمام أو ما يقوم مقامه من المعجز الدالّ على إمامته**)[٢].

وقال العلامة الحلي: (**...اتّفقت الأمّة بعد ذلك على أنّ نصّ النبيّ ﷺ على شخص بأنّه الإمام طريق إلى كونه إماما، وكذلك الإمام إذا نصّ على إنسان بعينه على أنّه إمام بعده، ثمّ اختلفوا في أنّه هل غير النصّ طريق إليها أم لا، فقالت الإمامية: لا طريق إليها إلاّ النص بقول النبيّ ﷺ أو الإمام المعلومة إقامته بالنصّ، أو بخلق المعجز على يده**)[٣].

ـ بخصوص المعجز، فقد تواترت الأخبار بحدوث المعجزات والكرامات للأئمّة عليهم السلام. قال الشيخ الطبرسي أثناء كلامه عن إمامة الحسين عليه السلام: (**وفي حديث حبابة الوالبية الذي رويناه هناك ما فيه من ظهور الآية المعجزة على يده الدالّة على إمامته**)[٤].

وقال: (**إذا ثبت بالدليل العقلي وجوب الإمامة، ...وثبت وجوب النصّ على من هذه صفته من الأنام، أو ظهور المعجز الدالّ عليه المميّز له**

---

(١) أوائل المقالات، ص٤٠.

(٢) تلخيص الشافي، ج١ ص٢٧٥.

(٣) الألفين، ص٤٤.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى، ج١ ص٤٢٣.

عمّن سواه) [١].

وقال الشيخ الطبرسي عن السفراء الأربعة: (**ولم تقبل الشيعة قولهم إلاّ بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كلّ واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام، تدلّ على صدق مقالتهم، وصحّة بابيّتهم**) [٢].

وروى الشيخ الصدوق: (... **سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام: بم يعرف الإمام؟ قال: بخصال أولها: نصّ من الله تبارك وتعالى عليه ونصبه علماً للناس حتّى يكون عليهم حجّة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصب عليّاً عليه السلام وعرفه الناس باسمه وعينه وكذلك الأئمّة عليهم السلام ينصب الأوّل الثاني وأن يسأل فيجيب وأن يسكت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما يكون في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان ولغة**) [٣].

روى الطبري الشيعي: (**حدّثنا مهلب بن قيس، قال: قلت للصادق(عليه السلام): بأيّ شيء يعرف العبد إمامه؟ قال: أن يفعل كذا. ووضع يده على حائط، فإذا الحائط ذهب، ثمّ وضع يده على أسطوانة فأورقت من ساعتها، ثمّ قال: بهذا يعرف الإمام**) [٤].

وقال: (... **حدّثنا إبراهيم بن سعد، قال: رأيت الصادق (عليه السلام) وقد**

---

(١) المصدر نفسه، ج٢ ص٢٢٥.

(٢) الاحتجاج، ج٢ ص٢٩٧.

(٣) معاني الأخبار، ص١٠١ – ١٠٢.

(٤) دلائل الإمامة، ص٢٥٠ – ٢٥١.

جيء إليه بسمك مملوح، فمسح يده على سمكة فمشت بين يديه، ثمّ ضرب بيده إلى الأرض فإذا دجلة والفرات تحت قدميه، ثمّ أرانا سفن البحر، ثمّ أرانا مطلع الشمس ومغربها في أسرع من لمح البصر) [١].

(... عن ابن سعد، قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر الصادق(عليه السلام) وقد أظلّتنا هاجرة صعبة، فأظهر لنا ثلجا وعسلا ونهرا يجري في داره بالمدينة من غير حفر حيث لا ثلج ولا عسل ولا ماء جاريا) [٢].

وروى الفضل بن شاذان: (**حدّثنا عبدالله بن أبي يعفور، قال: قال أبو عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام: ما من معجزة من معجزات الأنبياء والأوصياء إلاّ ويظهر الله تبارك وتعالى مثلها في يد قائمنا لإتمام الحجّة على الأعداء)** [٣].

فهل يعرف أحمد الحسن جميع اللغات كسائر الأئمّة؟ ثمّ كيف للناس أن يختبروه وهو مختف عنهم؟ كيف يقيم الحجّة على الناس بأنّه هو اليماني دون إمكانية التواصل معه وامتحانه كما كان يفعل أصحاب الأئمّة؟

هذه نبذه يسيرة من معجزات الأئمّة، وهو ما لم نره عند من يزعم أنّه اليماني، وما جعلوه في النت من مقاطع فيديو يمكن أن يخدعوا بها البسطاء غير مُعتبرة في نظر العقلاء، فمن السهل جدّا القيام بأمثال هذه الأعمال بعيدا عن

---

(١) دلائل الإمامة، ص٢٤٩.

(٢) ص٢٥٠.

(٣) مختصر إثبات الرجعة.

أعين الناس ثمّ تسجيلها وبثّها، كما نراه في الكثير من مقاطع الفيديو المنتشرة في النت.

كيف يكون المهديّ عليه السلام إماماً هادياً وهو غائب؟

هذا السؤال يتكرّر كثيرا من قبل مخالفي الإمامية السلفيّين، وهم يظنّون بذلك أنّهم نقضوا المذهب.

وقد وجدت جوابا لطيفا لأحد الفضلاء، حيث قال ما ملخّصه:

قال الله تعالى عن نبينا محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1].

ينبغي أن تكون هذه الآية على مبنى السلفيين كذبا، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله التحق بالرفيق الأعلى، ولم ينذر الهنود الحمر في أمريكا، وهؤلاء لم يعلم بوجودهم أحد من البشر حتّى عهد كولومبس قبل ثلاثة قرون أو أربعة، وكذا لم يُنذر الأسكيمو في القطب الشمالي، وقبائل التتار في آسيا، ووو...، فكيف يقول الله تعالى: ﴿**كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾؛ فيلزم أصحاب الإشكال أحد أمرين: **الأوّل**: تكذيب الآية، وهذا كفر. **الثاني**: أنّ النبي صلى الله عليه وآله أنذرهم وبشّرهم دون أن يصل إليهم، حتّى من بعد عشرة قرون؛ لقول الله تعالى: ﴿**كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾!

---

(١) سورة سبأ، ٢٨.

مثال لفهم أسباب غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام

جاء الإسلام هداية للناس والنبي صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيين، لا نبيّ بعده، وقد أرسل الله آلاف الرسل؛ ﴿**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ**﴾، وإذا كان الدين للبشريّة جمعاء والنبيّ صلى الله عليه وآله غير مخلّد فمن يُكمِل المسيرة بعده؟ الصحابة؟ العلماء؟ الأمّة؟! لكنّهم اختلفوا واقتتلوا وتفرّقوا؟ ماذا ترك لنا الرسول صلى الله عليه وآله ليحفظ دينه من الضياع والتحريف؟ هل فعلا نهى عن تدوين السنّة والقرآن لم يجمعه في كتاب واحد؟ هل ترك تشريعات الإسلام وقوانينه مفرّقة في صدور الصحابة وهم يقاتلون في ساحات الحروب ويموتون في الأمراض ويتعرّضون للنسيان؟

أم أنّ الله الحكيم قد أكرم البشريّة بهداة وحجج حتّى يوم الدين؟ هذه إثارات للتحفيز فقط على التفكير، ليس هدفي أن أجيب عليها وإنّما سأضرب مثالا يبيّن عظمة الطرح الشيعي في تبنّيه لمفهوم الإمامة، وإقامة الحجّة من خلال اثني عشر إماما لا يخلو الزمن من أحدهم. السؤال المعتاد أين إمامكم أين اختفى إلى متى تنتظرون ولماذا اختفى؟

لو افترضنا أنّ هناك مدينة تعيش في ظلام دامس ويكثر فيها التصادم والفوضى بسبب الظلمة، وكان حاكم المدينة رجلا حكيما، فاكتشف للناس مصباحا يضيء المدينة بأكملها، فوضع المصباح ليستضيء به الناس وينير دربهم، وفرح الناس وبعد مدّة قام بعض الناس برمي المصباح بحجر فكسروه، ولأنّ حاكم المدينة محبّ لشعبه، وضع مصباحا آخر، وكسره

الناس، وجعل مصباحا آخر وكسروه، حتّى وضع إحدى عشر مصباحا، والناس تكسر المصابيح، ولم يبق عنده سوى مصباح واحد، فماذا يفعل؟ إن أخرجه للناس سيكسروه ويعيشون هم وذراريهم في ظلمات. الحكمة تقول والعقل يقول المحافظة على هذا المصباح أفضل وهو عين الصواب، وفعلا أخفاه الحاكم، حتّى يأتي يوم ويعي الناس أهميّة هذا المصباح حتّى يستطيعوا الاستضاءة به والدفاع عنه وحمايته!

هكذا جعل الله بعد نبيّه اثني عشر إماما وهم مصابيح الدجى لكن الناس قتلوهم واحدا بعد واحد، فأخفى الله آخر إمام خوفا عليه وحبّا للناس لكي يهتدوا به حين تتوفّر الظروف لذلك.

هذا المثال يجيب على كثير من الأسئلة حول غيبة الإمام وأسبابها، والحمد لله على توفيقه!

المحتويات

الفصل الثالث: الصحابة من جديد

الفصل الرابع: زواج الهاشميّات من الخصوم

الفصل الخامس: من فكر آل البيت عليهم السلام

الفصل السادس: مظلومية الآل

الفصل السابع: الثقلين ومواضيع أخرى

الفصل الثامن: الإمامة والأئمة